

الزاوية الدلائية

ودورها الديني والعلمي والسياسي

يرأس هذا الكتاب إمام الجليل في تاريخ المغرب والخطبة الأدبية
بالرباط فلاح بن المؤلف في تاريخ المغرب والخطبة الأدبية

تأليف

محمد حجي

أستاذ مساعد بكلية الآداب بالرباط

المطبعة الوطنية بالرباط.

1384 - 1364

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

تقدير واعتراف ⁽³⁾

بسم الله الرحمن الرحيم

أرى لزاما على قبل كل شيء، أن أتقدم الى أستاذي
الكبير الدكتور حسن ابراهيم حسن بأخلص عبارات الشكر
والامتنان لما أولانيه سيادته من عناية واهتمام، ولما أسداه الى
من معونة ثمينة وتوجيه سديد. فقد كنت أجد فيه طيلة
الستين اللتين قضيتهما في اعداد هذه الرسالة تحت اشرافه
الاستاذ الخير المحض الذي لا يخل على بكل ما أطلب من
ارشادات ومساعدات، والعالم المتواضع الصبور الذي يتسع
صدره لاستفساراتي المتكررة، ويفتح بابه في وجهي
باستمرار. كما أشكر كلا من الاستاذ محمد ابراهيم
الكتاني الذي كان أول من أوحى الى بموضوع الزاوية
الدلائية وظل يمدني بما لديه من معلومات وامراجع،
وصديقي الاستاذ محمد المنوني الذي أفدت كثيرا من خبرته
الواسعة واطلاعه الكبير على خبايا المخطوطات المغربية،
والاستاذ عبد الله الرجراجي الذي وضع رهن اشارتي كل
ما احتجت اليه في بحثي من مصادر مخطوطة ومطبوعة؛
فاليهم جميعا والى سائر العاملين في المكتبة الوطنية، والزملاء
الذين لم ييخلوا على بما لديهم من معلومات ووثائق أصدق
عبارات التقدير والاعتراف بالجميل.

سلا في 8 أبريل 1963

محمد حجي

4

فهرس موضوعات الرسالة

3 تقدير واعتراف
8 فهرس موضوعات الرسالة
18 المقدمة

الباب الاول

نشأة الزاوية الدلائية

21	1 - لمحة عن عصر الدلائيين
23	2 - الزاوية والرباط والرابطة
26	3 - أصل الدلائيين
30	4 - تأسيس الزاوية الدلائية
34	5 - موقع الزاوية الدلائية

الباب الثاني

تعاليم الزاوية الدلائية

43	1 - الزاوية الدلائية كمركز ديني
43	(أ) الشيخ أبو بكر مؤسس الزاوية الدلائية
45	(ب) اطعام الطعام في الزاوية الدلائية
47	(ج) احتفال الدلائيين بعيد المولد النبوي الشريف
48	2 - طريقة الزاوية الدلائية
48	(أ) سند الدلائيين في الشاذلية
52	(ب) اذكار الزاوية الدلائية
54	(ج) مريدو الزاوية الدلائية
56	3 - علاقة الزاوية الدلائية بغيرها من الزوايا
57	(أ) الزاوية الناصرية
61	(ب) الزاوية الفاسية
64	(ج) الزاوية العياشية

71	1 - الأهمية العلمية للزاوية الدلائية
72	(أ) العلوم التي كان يدرسها الدلائيون
74	(ب) تفوق الدلائيين في اللغة وقواعدها
75	2 - أساتذة الزاوية الدلائية من أبنائها
76	(أ) محمد بن أبي بكر الدلائى
81	(ب) بقية أساتذة الزاوية الدلائية من أبنائها
86	3 - أساتذة الزاوية الدلائية من غير أبنائها
86	(أ) أحمد بن القاضي
94	(ب) أساتذة آخرون درسوا في الزاوية الدلائية
97	4 - تلاميذ الزاوية الدلائية
97	(أ) الحسن اليوسى
108	(ب) أحمد المقرئ
113	(ج) العربى القاسى
114	(د) علماء آخرون تخرجوا في الزاوية الدلائية

الباب الرابع

الدلائيون والسياسة

131	1 - موقف الدلائيين من الاضطرابات الداخلية
131	(أ) علاقة الدلائيين بالملوك السعديين
132	(ب) موقف الدلائيين من ابن أبى محلى وأبى زكريا الحاحى
138	(ج) موقف الدلائيين من أبى حسون السملالى
143	(د) علاقة الدلائيين بالمجاهد العياشى
149	2 - زعامة محمد الحاج السياسية
149	(أ) من هو محمد الحاج ؟
150	(ب) نزوع محمد الحاج الى الحكم
153	(ج) تأسيس مدينة الدلاء
153	(د) بيعة أهل المغرب لمحمد الحاج

154	3 - أعمال محمد الحاج الحربية
154	(أ) الحملتان الدلائيتان الاوليان (وقعة ابي عقبة)
155	(ب) مهاجمة المجاهد العياشي
158	(ج) غزو شرفاء سجلماسة (وقعة القاعة)
159	(د) الجهاد ضد الاسبانيين في المعمورة
163	(هـ) حملات تاديبية في بلاد زعير والحياينة

الباب الخامس

انتشار نفوذ الدلائيين السياسي

167	1 - الموريسكيون ينضمون تحت لواء الدلائيين
167	(أ) المدجنون والموريسكيون
168	(ب) الموريسكيون في تطوان
170	(ج) الموريسكيون في الرباط
174	(د) أسطول الجهاد أو القرصنة السلاوية
175	(هـ) عبد الله الدلائي أمير سلا
177	2 - علاقات الدلائيين بأوروبا
179	(أ) الدلائيون وفرنسا
181	(ب) الدلائيون وأنجلترا
184	(ج) الدلائيون والاراضي الواطئة (هولاندا)
197	(د) السفارة المغربية في لاهاي
203	(هـ) قضية تنصر أمير دلائي
208	3 - الدلائيون في فاس
209	(أ) أحمد بن محمد الحاج الدلائي أمير فاس
210	(ب) محمد الدلائي يخلف أخاه في امارة فاس
211	4 - آثار الدلائيين
211	(أ) المباني في الدلا وفاس
212	(ب) النقود الاشقوبية

الباب السادس

(8)

نهاية الزاوية الدلائية

- 1 - بدء انتفاض الاطراف على الدلائيين 217
 - (أ) ثورة الخضر غيلان في الشمال 217
 - (ب) زوال نفوذ الدلائيين من فاس 219
 - (ج) قضية البلديين بفاس 221
- 2 - الثورة ضد الدلائيين في سلا والرباط 223
 - (أ) عوامل الثورة 223
 - (ب) حصار عبد الله الدلائي في القصبة 224
 - (ج) هل حاول الدلائيون تسليم القصبة الى دولة أوربية ؟ 224
- 3 - القضاء على الزاوية الدلائية - تخريبها 226
 - (أ) ظهور السلطان الرشيد بن الشريف العلوي 226
 - (ب) استيلاء الرشيد على فاس 228
 - (ج) معركة (بطن الرمان) - تخريب الزاوية الدلائية 230

الباب السابع

أثر الدلائيين في خارج زاويتهم

- 1 - خروج الدلائيين الى فاس 235
 - (أ) تغريب الدلائيين الى تلمسان 235
 - (ب) ثورة أحمد الدلائي على السلطان اسماعيل 238
- 2 - العلماء الدلائيون في فاس ومكناس 240
 - (أ) محمد المسناوي الدلائي شيخ الجماعة بفاس 243
 - (ب) تلاميذ الدلائيين في فاس 247
- 3 - الكتب التي ألفها الدلائيون 249
 - (أ) جدول مؤلفات الدلائيين 251
 - (ب) جدول الكتب التي ألفت في الدلائيين 254

257 بقايا البيت الدلائي	4 -
257 مساكن قبيلة مجاط اليوم	(أ)
258 أحفاد الدلائين في فاس والدار البيضاء والرباط	(ب)
265 الخاتمة	

الملاحق

269 ملحق رقم 1
270 ملحق رقم 2
273 ملحق رقم 3
275 ملحق رقم 4
277 ملحق رقم 5
278 ملحق رقم 6
280 ملحق رقم 7
282 ملحق رقم 8
285 ملحق رقم 9
287 ملحق رقم 10

مصادر الرسالة

289 المصادر العربية
297 المصادر الاجنبية
299 فهرس اللوحات المصورة
300 جدول الخطأ والصواب



خرجة تواجه القادم الى الدلاء
وتستر بقايا مسجد ابي بكر بالزاوية الدلائية القديمة

تصوير المؤلف

42

المقدمة

اخترت (الزاوية الدلائية) موضوعا لبحثي نظرا لما قامت به هذه الزاوية من أدوار هامة في تاريخ المغرب ، في ميادين الدين والعلم والسياسة ، ولاسيما في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) في تلك الفترة المضطربة التي تقع بين الدولتين السعدية والعلوية . ولما كان الدلائيون قد حاربوا العلويين ونافسوهم في السلطان الى أن قضى الملك الرشيد بن الشريف العلوي على زوايتهم ، فإن المؤرخين الذين عاصروا تلك الاحداث قد أحجموا عن تدوينها ، وبخاصة ما يتعلق منها بمجد الدلائيين والجوانب الحسنة في حياتهم السياسية ، وبذلك لم تحظ الزاوية الدلائية بما تستحقه من الاهتمام ، اللهم الا ما كان هنالك من أخبار يسيرة جاءت متفرقة في كتب التاريخ والتراجم .

وفي القرن الماضي بدأ الاهتمام بالدلائيين يكثر ، وألفت فيهم ثلاثة كتب أولها أرجوزة تشتمل على 275 بيت لحمد بن أبي بكر اليازغي سماها **حدائق الازهار الندية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية البكرية** . تكلم فيه - كما سمح له النظم - عن أصلهم ، وأتى بتراجم كثير منهم مستعملا حروف الجمل كرموز لسنى الولادة والوفاة . وثاني الكتب المؤلفة في الدلائيين هو **نزهة الاخيار المرضيين في مناقب العلماء الدلائيين البكرين** ، لعبد الودود بن عمر التازي ، اهتم فيه بأنساب الدلائيين وذكر الآباء منهم وما خلفوه من أبناء . على أن أهم كتاب ألف في الدلائيين هو **البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية** ، لأبي الربيع سليمان الحوات ، وهو أجمع كتاب لأخبار الدلائيين يقع في أكثر من ستمائة صفحة استقى مؤلفه أخبار الزاوية وأهلها من والده الذي تتلمذ للدلائيين ، وأحاط بكل ما قيل فيهم أو كتب عنهم . لكن عيب البدور الضاوية أن مؤلفه لم يأت ببحث موضوعي كمؤرخ محايد يستهدف الحقيقة لذاتها حسنة كانت أم قبيحة ، ولا يتردد في الحكم على من يؤرخ لهم متى استلزمت نتائج البحث ذلك . وإنما كان يعنيه أن يذكر محاسن الدلائيين

دون مساوئهم ، فهم جميعا عنده علماء صلحاء نزهاء الخ . وأى بشر سليم من النقص والخطأ ؟ هذا بالإضافة الى حسو الكتاب بكثير من الاساطير وكرامات الاولياء المبالغ فيها ، والسير على نهج المؤلفين القدماء فى التحلية بالالقاب الرفيعة الرتيبة التى قد تستغرق نصف صفحة أو أكثر بحيث يصعب العثور على اسم الشخص الذى يترجم له ، ثم لا يفيد الباحث شيئا من عبارات الاطراء المتعة التى تتكرر فى كل ترجمة ولا يتبدل فيها غالبا الا الترتيب والسجع .

وهكذا وجدت أن تاريخ الدلائيين قد بقى غامضا مبعثرا بالرغم عن هذه الكتب الخاصة ، فحاولت أن أكتب عن الزاوية الدلائية بحثا نزيها أذكر فيه ما للدلائيين وما عليهم ، وأحلل - ما استطعت - بعض الجوانب الغامضة فى تاريخهم ، وأعالج هذا الموضوع من نواحيه الدينية والعلمية والسياسية . وقد رجعت فى بحثى الى كثير من الكتب التى عرضت لعصر الدلائيين ، وأقمت من أكثر من مائة مرجع عربى وفرنجى ، أكثرها مخطوط ؛ منها الكتب الثلاثة المتقدمة وبخاصة الدور الضاوية التى اخترت منها مادة هامة فيما انفرد به مؤلفها من الروايات الخاصة ، أو من النقول عن بعض المصادر التى لم يتيسر الوقوف عليها . ورجعت الى المطان فى كتب التاريخ والتراجم ، والرحلات ، والتصوف ، والنوازل ، والدواوين الادبية ، أخص بالذكر منها كتاب مباحث الانوار فى أخبار بعض الاخيار لاحمد بن يعقوب الولاى الذى عاش طالبا فى الزاوية الدلائية فترة طويلة من حياته ، ووصفها عن حس ومشاهدة . والمحاضرات ، والفهرست للحسن اليوسى أشهر تلاميذ الزاوية الدلائية ، وقد أتى فى هذين الكتابين بكثير من أخبار الدلائيين وتراجم أعيانهم . كما اعتمدت على كتاب مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبى المحاسن ، لأبى حامد محمد العربى الفاسى الذى أقام عو أيضا مدة فى الزاوية الدلائية ، وتعرض فى كتابه لبعض أخبارها ، وترجم لشيخه محمد بن أبى بكر الدلائى . وكتابت الاحيا والانتعاش فى تراجم سادات زاوية آيت عياش ، لعبدالله العياشى . وتعتبر الزاوية العياشية أو الحمزاوية كما تسمى اليوم ربيعة الزاوية الدلائية ، إذ كان مؤسسها محمد بن أبى بكر العياشى من تلاميذ الشيخ أبى بكر الدلائى ، وهذا الأخير هو الذى هياه للمشيخة وأمره أن يتخذ زاوية فى آيت عياش بالسفح الجنوبى الشرقى للاطلس الكبير . ويشتمل كتاب الاحيا على معلومات عامة عن موقع الزاوية الدلائية القديمة ومدينة محمد الحاج التى تفرعت عنها . ورجعت كذلك الى كتاب الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل

بجبال غمارة لعبد العزيز بن الحسن مهدي الزياتى الذى عاش فى العصر الاول للزاوية الدلائية وذكر كثيرا من فتاوى العلماء فى موضوع الاضطرابات

التي دعت الدلائيين الى التدخل في شئون البلاد السياسية ، ولاسيما مايتعلق منها بجهاد الرئيس محمد العياشي وحصاره المورسكيين في الرباط والقصبة . ونزعة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، وصفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر ، لتلميذ الدلائيين محمد الصغير اليفراني الذي عرض في مواضع كثيرة من كتابيه لأخبار الزاوية الدلائية وأهلها والى كتابي **التحفة القادرية** ، و **تقايد تاريخية** لعبد السلام بن عبد الله الخياط القادري الذي يروي بواسطة عن عم والده أحمد بن عبد القادر القادري تلميذ الدلائيين وصهرهم الذي عاش معهم في الزاوية الى أن وقع تخريبها . وينفرد هذان الكتابان بأخبار هامة ودقيقة عن الزاوية الدلائية ، وعن الفترة الاخيرة لنفوذ الدلائيين في فاس . وأغدت أيضا عن كتاب **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني** ، و **نشر المثاني الكبير الخطي** لمحمد بن الطيب القادري الذي أخذ عن تلاميذ الدلائيين ، وترجم لعدد كثير من علماء هذه الاسرة وصلحاتها ، وعرض في حوادث السنين المتسلسلة لأهم الاحداث التي وقعت أيام الامارة الدلائية .

ولم أغفل ما كتبه الاجانب عن الدلائيين ، وأفدت بالخصوص من ليفي بروغنسال في كتابه « **Les Historiens des Choria** » ومن الكونت دو كاستري في سلسلة وثائقه القيمة « **Les sources inédites de l'Histoire du Maroc** » ومما نشرته في هذا الموضوع مجلة هسبيريس « **Hespéris** » ومجلة وثائق مغربية « **Archives marocaines** »

قسمت الموضوع الى سبعة أبواب . بحثت في الباب الاول منها نشأة الزاوية الدلائية وأطوارها الاولى أيام الشيخ أبي بكر الدلائي ، وتحدثت في الباب الثاني عن تعاليم الزاوية الدلائية وطريقتها الشاذلية ، وعلاقتها بغيرها من الزوايا الكبرى التي عاصرتها ولاسيما الفاسية ، والناصرية ، والعياشية . وعالجت في الباب الثالث أهمية الزاوية الدلائية من الناحية العلمية ، وترجمت لطائفة من أشهر المتخرجين منها ، كالحسن اليوسفي ، وأحمد المقرئ ، والعربي الفاسي . والاخوين العكاريين محمد وعلي وغير هؤلاء من فطاحل العلماء .

وتناولت في الباب الرابع الناحية السياسية ، وموقف الدلائيين من الاضطرابات التي انتشرت في المغرب على اثر وفاة السلطان أحمد المتصور الذهبي . وأشارت الى علاقات الدلائيين بالملوك السعديين المتأخرين ، وبالشوار زكريا الحاحي ، وأبي حسون السملالي ، والمجاهد العياشي السلاوي . وعرضت لزعامه محمد الحاج السياسية ، وتأسيسه مدينة الدلاء أو الزاوية الدلائية

الحديثة ، وبيعة أهل المغرب له ، وقيامه ببعض الأعمال الحربية الداخلية ، وجهاده ضد الأسبانيين في حصن المعمورة المحتل . وألمت في الباب الخامس ببعض مظاهر انتشار النفوذ السياسى للدلائين ، فذكرت ما كان من انضواء المورسكيين في تطوان والرباط تحت لوائهم ، وسيطرتهم على أسطول الجهاد أو القرصنة السلاوية ، وعلاقاتهم بالدول الأوروبية البحرية ، كهلاندا ، وأنجلترا ، وفرنسا التي عقدوا معها معاهدات ساعدت على ازدهار التجارة في الموانئ المغربية ، وعملت على تزويد الخزينة الدلائية بأموال ضخمة من الضرائب الجمركية المفروضة على الصادرات والواردات وسمحت كذلك باستجلاب العتاد الحربى الحديث من مدافع وبنادق ومسحوق البارود لتسليح الجيش النظامى الدلائى .

وأفردت الباب السادس لذكر مراحل تفهقر الدلائين ، فعرضت لبدء انتفاض الاطراف عليهم بسبب ثورة الخضر غيلان في الشمال ، وانهازم محمد الحاج الدلائى في معركة (وادي بوحريرة) تلك الهزيمة التي أدت الى قيام الثورة ضد الدلائين في فاس وسلا والرباط وسائر بلاد الغرب ، وحصار الأمير عبد الله الدلائى في قصبة سلا . ثم ألمت بمسألة ظهور السلطان الرشيد بن الشريف العلوى في المغرب الشرقى ، وتمكن أمره في الشمال والجنوب ثم زحفه الى مواطن الدلائين وتغلبه عليهم في معركة (بطن الرمان) أوائل عام 1079/1668 واقصائه اياهم عن الزاوية الدلائية التي أصبحت حصيدا كان لم تغن بالامس .

أما الباب السابع فقد تناولت فيه أثر الدلائين في خارج زاويتهم ، وألمت الى ثورة أحمد الدلائى الكبرى ضد السلطان اسماعيل ، ثم تحدثت عن مركز العلماء الدلائين في فاس ومكناس ، وبخاصة شيخ الجماعة الامام محمد المستاوى الدلائى الذى انتهت اليه رئاسة التدريس والتأليف والافتاء في فاس ، وكاد يكون جميع علماء المغرب في عصره من تلاميذه . واعدت بعض مشاعير تلاميذ الدلائين في العاصمة العلمية ، والكتب التي ألفها الدلائين في مختلف الفنون ، من حديث وسيرة ، وفقه وأصول ، ولغة ونحو وصرف وبلاغة ، وأدب وأنساب . ويقع بعض هذه الكتب في عدة مجلدات مثل نتائج التحصيل في شرح التسهيل لمحمد المرابط الدلائى ، وهو في أربعة أجزاء ، طبعت شهرته المغرب والشرق ، وبيعت منه في حياة المؤلف نسخ في مصر باتمان مرتفعة ، وأعجب به علماء الازهر وقرطوه . وأخيرا تكلمت على بقايا البيت الدلائى ومساكن قبيلة مجاط اليوم

انه لا يكاد يخلو كتاب من الكتب التاريخية المغربية التي ألفت بعد القرن العاشر الهجري من ذكر الدلائيين وزاويتهم ، لكنه ذكر عابر لا يجاوز السطر أو السطرين ، وقد يطول صفحة أو أكثر ، ويتكرر أحيانا ليتحدث عن جزئيات خاصة ، وأحداث معينة مجردة من الاسباب والتفاصيل في الغالب . وحتى الكتب التي ألفت في الدلائيين لم تكن الا بجمع الاخبار والروايات على علاقتها ، وكيل المديح للدلائيين جزافا . فجاءت هذه الرسالة لتأخذ (الزاوية الدلائية) موضوعا تعنى بالبحث فيه بدقة ، وتدرسه دراسة نقدية شاملة للتواحي الدينية والعلمية والسياسية ، وتعرف اخواننا المؤرخين المحدثين في المشرق بالاسرة الدلائية المغربية حتى لا يعود بعضهم يكتب كلمة (كذا) اذا ورد ذكر الدلاء والدلائيين في النصوص القديمة التي يطلعون عليها ، وحتى يعرف (المثقفون منهم) ان الدلائيين هم من صميم المغاربة لا يمتنون بأية صلة الى مدينة (دلالية) الاندلسية .

تضع هذه الرسالة حدا للافتراضات والتخرصات حول موقع الزاوية الدلائية الذي ظل المؤرخون المغاربة والاوربيون يختلفون فيه حتى اليوم ، وتبين أن هناك زاويتين دلائيتين قديمة جبلية ، وحديثة أسست في سفح الأطلس لتكون عاصمة الامارة الدلائية ، ما تزال أطلالهما معا ماثلة للعيان . وقد زودت الرسالة بعدة صور شمسية التقطتها بنفسى أثناء زياراتي للزاويتين أو اقتبسيتها من بعض الكتب . ومن ناحية أخرى عرضت لتعاليم الزاوية الدلائية ، ووضعت جدولا يوضح الشيوخ الذين أخذ عنهم الدلائيون وتسلسلهم الى الامام أبي الحسن الشاذلي ، مشيرا الى ما كان من تفاعل بين الزاوية الدلائية وغيرها من الزوايا المهمة التي عاصرتها .

وتعمل الرسالة أيضا على إبراز الزاوية الدلائية كمركز علمي هام في الأطلس المتوسط ، كاشفة القناع عن المادة التي كانت تدرس في هذا المركز ، معرفة بالاساتذة الذين اضطلعوا فيه بالتدريس ، سواء كانوا من أبناء الزاوية أو من العلماء الطائرين عليها من فاس ومراكش وغيرها من المراكز الثقافية المغربية الأخرى . كما تلقي الرسالة بعض الاضواء على جانب من الحياة الاجتماعية لطلبة الزاوية الدلائية وتقدم أرقاما تتعلق بالمدارس الداخلية العظيمة الملحقة بها وبالكتب التي احتوت عليها خزائنها ، اعتمادا على مصادر خطية أصيلة نادرة .

ومن الناحية السياسية تهتم الرسالة بتحليل الاحداث التي جرت للدلائيين وربطها بعضها ببعض لتكون منها وحدة متصلة يمكن وضعها في

إطارها الحقيقي على الصعيد الوطنى . وتعرض الرسالة لأول مرة باللغة العربية إلى جانب مهم من نشاط الدلائيين السياسى وهو علاقاتهم بالدول الأوروبية الكبرى ، وعملهم التجارى فى أقطار الشمال الأفريقى ، كما تنشر نص معاهدات ومراسلات ووثائق أخرى مما تبادلته الدلائيون مع الأجانب . وأخيرا تعنى الرسالة بالنهضة العلمية التى ظهرت فى المغرب صدر الدولة العلوية مبرزة مدى اسهام الدلائيين فيها ، وتأتى باحصاء أولى للكتب التى ألفها الدلائيون أو ألفها الناس فيهم ، فى جدول يشتمل على أسماء الكتب ومؤلفيها والمكتبات التى أودعت فيها .

لقد أثبت فى البوامش تنبيها على المراجع لمن أراد مزيد التوسع ، وأتى فى الأخير بثبت للمصادر العربية والأفريقية مرتبة على أسماء المؤلفين بحسب حروف الهجاء ، وذيلت الرسالة بعدة ملاحق تشتمل على نصوص هامة لم أثبتها فى الصلب - أطولها - حتى لا تقطع تسلسل الأفكار على القارئ .

وأرجو أن يكون بحثى المتواضع هذا قد أسهم بنصيب فى توضيح فترة غامضة معقدة من تاريخنا القومى ، ومهد السبيل أمام الباحثين لدراسة التراث الأدبى الضخم الذى خلفه الدلائيون .

الباب الاول

نشأة الزاوية الدلائية

- 1 - لمحة عن عصر الدلائيين
- 2 - الزاوية والرباط والرابطة
- 3 - أصل الدلائيين
- 4 - تأسيس الزاوية الدلائية
- 5 - موقع الزاوية الدلائية

1 - لمحة عن عصر الدلائيين

تسبب الشرفاء السعديون عرش المغرب خلال النصف الاول من القرن العاشر الهجري (القرن 16م) فانتعشت بيم الأعمال ، وبدأ استرداد الشغور التي سبق أن استولى عليها الاوربيون . وعرف المغرب في أيام واسطة عقد هذه الدولة أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012 / 1578 - 1603) (1) عهد استقرار وازدهار في السياسة الداخلية والخارجية على السواء . إذ كان من نتائج معركة وادي المخازن الشهيرة في عام 1578/986 والانتصار المغربي على البرتغاليين ، أن طارت للبلاد شهرة في جميع الاقطار ، أخذت معها الدول الأجنبية تخطب ود عاهل مراكش وتتقرب اليه بالسفارات والهدايا ، رغبة في ربط أواصر الصداقة معه ، كما تناقل الناس في الداخل أخبار هذه المعركة الفاصلة وأحاطوا شخصية بطلها المنصور بنالة من التقدير والاحلال وازدادت منزلة أحمد المنصور رفعة في أعين الشعب بعد أن احتلت جيوشه بلاد السودان في مطلع القرن الحادي عشر للهجرة (أواخر القرن السادس عشر للميلاد) وتدفقت منها على المغرب سيول الذهب والرقيق . ذلك إلى ما كان عليه هذا الملك العظيم من الحزم والحرص على حفظ النظام وعدم التردد في انزال أقسى العقوبات بالمشاغبيين الذين يسعون في الارض فسادا . فساد الأمن في البلاد وعاش الناس في دعة وطمأنينة ، وأخذوا يتنقلون من أقصى المملكة إلى أقصاها دون أن يعترض طريقهم أحد أو يلحق أموالهم وأمتعتهم ضياع .

غير أنه لم تكد تخدم أنفاس المنصور الذهبي عام 1603/1012 حتى انقلبت الاحوال في المغرب وظهرت في الجو سحب الفتنة والاضطراب . فقد كانت وفاة المنصور فجأة وهو يتهيأ للخروج من فاس ليعود إلى عاصمة ملكه مراكش ، فأصيب بالوباء الذي أخذ يكتسح إذ ذاك أطراف البلاد . ولم يكن قد بت بعد في أمر ولاية العهد ، بعد أن ثار عليه ولده البكر محمد الشيخ المامون خليفته بفاس وولى عهده السابق ، فقبض عليه وأودع به السجن . وقد بادر أهل فاس إلى مبايعة زيدان بن المنصور بمجرد ما انتهوا من دفن الملك الراحل . وكان زيدان عاملا على اقليم تادلة ، استصحبه أبوه معه إلى فاس ثم استخلفه عليها قبيل وفاته . ولما بلغ خبر الوفاة والبيعة إلى مراكش ثارت ثورة أهلها وراوا في تصرف الفاسيين واستبدادهم بالامر دونهم استخفافا بشانهم فبايعوا أبا فارس

(1) الأرقام التي تأتي بعد ذكر الملوك ، ترمز إلى المدة التي ظلوا فيها مترعين على العرش .

ابن المنصور لانه كان الخليفة الرسمي لوالده بحاضرة ملكه . وبسلا من أن يسعى ذوو المكانة والنفوذ في تلافي الامر وحل المشكل تسرع علماء فاس فاقتوا بوجوب قتال المراكشيين عملا بحديث : اذا بويح لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما . والتقى جيش الملكين الآخرين على ضفة نهر أم الربيع ، وكان أبو فارس لم يحضر القتال بنفسه ، وإنما أناب عنه أخاه الشيخ المامون بعد اخراجه من السجن . واستمرت المعركة عن الهزام زيدان وفراره الى تلمسان ، ووجد المامون نفسه في عزة ومنعة . بعد أن انضم اليه جند أخيه المهزوم فقلب ظهر المجن لأبي فارس وأعلن نفسه ملكا على فاس .

ظل الاخوة الثلاثة زيدان ، وأبو فارس ، والشيخ المامون يتنازعون الملك مدة طويلة ، دون أن يتم الامر لواحد منهم ، وعمت الاضطرابات أرجاء البلاد كلها ، وانتهى أمر الشيخ المامون بتسليم مدينة العرائش الى الاسبانيين عام 1610/1019 طمعا في مساعدتهم له . فغضب عليه الشعب وقتله في ضواحي تطوان عام 1613/1022 . كما قتل أخوه أبو فارس خنقا قبله . وقبع زيدان أخيرا في مراكش صارفا نظره عما وراء نهر أم الربيع ، تاركاً أمر فاس وغيرها لعبد الله بن الشيخ المامون ومنافسيه من التوار . وقد انقرض أمر السعديين في فاس بموت عبد الملك بن الشيخ المامون في أواخر عام 1627/1036 (1) وبقي أبناء زيدان يتوارثون إمارة مراكش الى أن قتل آخرهم أبو العباس أحمد بن الشيخ بن زيدان عام 1658/1069 (2) . وعرفت هذه الفترة الحالكة من تاريخ المغرب أواخر الدولة السعدية الى جانب المجاهد العياشي السلاوي كثيرا من أرباب الزوايا المتزعمين الذين استغلوا فرصة اضطراب الأحوال لتحقيق مآمهم في الحكم والرئاسة ، أمثال ابن أبي محلي السجلماسي ، وأبي زكريا الحاحي ، وأبي حسون السملالي .

(1) تولى الشيخ المامون إمارة فاس في فترات منقطعة الى أن قتل عام 1613/1022 . وتولى من بعده ابنه عبد الله كذلك الى أن توفي عام 1623/1032 ثم عبد الملك بن المامون الى أن توفي في أواخر عام 1627/1036 . وقد دخل بعد ذلك الى فاس أحمد بن زيدان السعدي ودعى الإمارة فلم يتم له الامر .

(2) مات زيدان بن المنصور عام 1627/1037 تولى إمارة مراكش ابنه عبد الملك الى أن قتل عام 1641/1040 ثم الوليد بن زيدان الى أن قتل عام 1645/1045 ثم محمد الشيخ بن زيدان الى أن قتل عام 1653/1063 ثم ابنه أبو العباس أحمد الى أن قتل عام 1658/1069 فانقرض بذلك أمر السعديين بالمغرب واستتد غروب السمات بإمارة مراكش الى أن استرجع الامر من يدهم السلطان الرشيد العلوي عام 1668/1079 .

وقد شاعت الزاوية الدلالية في بداية عهدها العصر الذهبي للمسلمين . ثم أدركت زمن الفتنة والتدهور . غير أنها نظرا لمناخها في جبال الأطلس ومكانة رجالها الصالحين ، استطاعت أن تحتضن الثقافة الإسلامية في عصر عصفت فيه الاضطرابات بأركان العلمية التقليدية مثل فاس ومراكش . وعمرت الزاوية الدلالية زهاء قرن ظلت فيه مركز إشعاع بالعلم والدين .

2 - الزاوية والرباط والرابطة

لم تظهر الزاوية في تاريخ المسلمين كمركز ديني وعلمي إلا بعد الرباط والرابطة . والرباط لغة مصدر رباط يربط بمعنى أقام ولازم المكان . ويطلق في اصطلاح الفقهاء والصوفية على سيئين أولهما البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد ورد هجوم العدو عنها . والثاني عبارة عن المكان الذي يلتقي فيه صالحو المومنين لعبادة الله وذكره ، والتفقه في أمور الدين . وجاء في القرآن الكريم : «واصبروا لهن ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» (1) «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» (2) وقال الرسول عليه السلام : «رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه» . وقد عرف المغرب الرباط مع الفتح الإسلامي وورد ذكر رباط ماسة بالسوس الأقصى في أخبار عقبة بن نافع الفهري ، وموسى بن نصير . وادريس الأول . ويذكر المؤرخون أن «رباط شاكرا» المعروف اليوم بسيدي شيكر على ضفة وادي نفيس بحوز مراكش ، هو مدفن المجاهد العربي شاكرا من أصحاب عقبة بن نافع وقد بنى هذا الرباط يعلى بن مصلين أحد رجال رجاجة السبعة الذين يقال أنهم وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فأسلموا ورجعوا إلى المغرب دعاة للدين الحنيف .

كان يعلى يقيم في هذا الرباط لقتال كفار برغواطة (3) ثم صار رباط شاكرا «مجمعاً للصالحين من قديم ولاسيما في رمضان يفدون إليه من كل حذب» (4) . كذلك أقام المسلمون رباطاً آخر في شمال تامسنا ، على ضفة نهر

(1) سورة الانفال الآية 60

(2) سورة آل عمران الآية 200

(3) برغواطة مثل من رابرة مصونة كانوا يسكنون بلاد تامسنا فيما بين نهر أم الربيع شمالا ووادي أبي قرق جنوبا . وقد يحسن اسلام البوغواطيين في بادئ الامر ثم كانوا من الصار ميسرة المظفرى الحفصى الذى تار على العرب عام 122 هـ واشتغل عدهب الجوارح الصغرية وأعلن نفسه خليفة . وبعد هلاك ميسرة تزعم أحد قواد جيشه أبو حبيب شريف أمر برغواطة وأفسد عليهم دينهم ، ثم خلفه ابنه صالح الذى ادعى النبوة وشرع للمورغواطيين ديانة جديدة . وقد لقي المسلمون عننا كثيرا من الجورغواطيين خلال عدة قرون الى ان غلبت شوكتهم المرابطون .

(4) يوسف بن الزيات ، التصوف . 26 .

أبي رقرق ، أو وادي سلا كما يسميه ابن حوقل في كتابه **الممالك والممالك** . وكانت مدينة سلا القديمة قد خربت في أوائل القرن الرابع الهجري «والناس يسكنون ويرابطون برباط يحف بها . وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان يزيدون وينقصون ورباطهم على برغواطة ...» (1) وتكاثرت الربط في المغرب ولاسيما على السواحل إلى أن صارت تعد بالعشرات .

وخصص الخطيب ابن مرزوق التلمساني المتوفى عام 1379/781 الباب التاسع والثلاثين من كتاب **المسند الصحيح الحسن** للكلام على الربط التي أنشأها السلطان أبو الحسن المريني (731 - 1331/752 - 1351) على السواحل المغربية والجزائرية ، إذ كان القراصنة الأوربيون كثيرا ما يأتون يسفّنهم إلى هذه السواحل ويختطفون منها أهل البوادي ليستعبدوهم في بلادهم . فكانت الربط التي أسسها أبو الحسن المريني تمتد من آسفي جنوبا إلى آخر المغرب الأوسط وأول بلاد إفريقية - تونس - «إذا وقعت النيران في أعلاها تتصل في الليلة الواحدة أو في بعض ليلة . وذلك في مسافة تسير فيها القوافل نحو من شهرين ، وفي كل محرس منها رجال مرتبون نظار وطلّاع يكشفون البحر فلا تظهر في البحر قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين إلا والتفتير يبدو في المحارس فأمنت السواحل في أيامه السعيدة ...» (2) .

وتأتى الرابطة بمعنى الرباط سواء في الإطلاق على مكان الجهاد أو مكان العبادة ، وإن كان بعضهم يسمي الجيش المقيم في الربط رابطة . (3) وقد سمي المؤرخون «رابطة» المكان الذي أقام فيه عبد الله بن ياسين وجماعة من اللمتونيين الصنهاجيين في إحدى الجزر الساحلية بأقصى الجنوب الغربي ، وذلك في أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) . وتلاحق الصنهاجيون برباط ابن ياسين لينقطعوا معه فيه إلى عبادة الله تعالى ، وليتعلموا منه أمور دينهم إلى أن بلغ عددهم نحو ألف رجل فدعاهم لجهاد القبائل الزائغة عن تعاليم الإسلام ، وتطور أمرهم إلى أن كونوا دولة المرابطين . وقد ذكر ابن الزيات التادلي المتوفى عام 1230/627 في كتابه **التشوف** أحد عشر رباطا وتسع رابطات ، أكثر أسمائها بربرية . مثل رباط (تيطنمطر) - عين الفطر - الذي يقع على ساحل المحيط الأطلنطي جنوبي مدينة الجديدة .

(1) ابن حوقل ، **الممالك والممالك** . ص 56 .

(2) الخطيب ابن مرزوق ، **المسند الصحيح الحسن** . ص 49/157 .

(3) محمد بن علي الدكالي . كتاب في الرباطات . ص 2 .

على بعد نحو 11 كلم ، وهو اليوم خراب ويسمى تيط . وكرباط (تينممل) بالاطلس الكبير ، الذى هو دار المهدى بن تومرت ، ورباط (تانوتن) من بلاد دكالة ، ورباط (تاسماطت) من عمالة مراكش ، وكرابطة (آنبذور) خارج سجلماسة ، ورابطة (تامنغاطت) بالقرب من ساحل آفلا : الدار البيضاء .

أما الزاوية فهي عبارة عن مكان معد للعبادة ، وإيواء الواردين المحتاجين وإطعامهم . وتسمى في الشرق خانقاة وهو لفظ أعجمى يجمع على خانقاهات أو خانقاوات أو خوانق . وقيل في تعريف الزاوية المغربية أنها : «مدرسة دينية ودار مجانية للضيافية . وهي بهذين الوصفين تشبه كثيرا الدير في العصور الوسطى» (1) ولم تعرف الزاوية في المغرب إلا بعد القرن الخامس الهجرى ، وسميت في بادىء الامر (دار الكرامة) ، كالتي بناها يعقوب المنصور الموحدى في مراكش ، ثم أطلق اسم (دار الضيوف) على ما بناه المرينيون من الزوايا ، كالزاوية العظمى التي أسسها أبو عنان المريني في خارج فاس وهي التي ذكرها ابن بطوطة في رحلته . وقد جدد الدلائيون بناءها أيام انتشار نفوذهم في العاصمة الادريسية . فظن بعض المؤرخين أنهم مؤسسوها (2) ومن أقدم الزوايا التي حملت هذا الاسم في المغرب زوايا الشيخ أبي محمد صالح الماجرى (33/631 - 1234) في آسفي ، وقد تعددت زواياه حتى بلغت ستا وأربعين ، وانتشرت فيما بين المغرب ومصر ، إذ كان هذا الشيخ يشجع أصحابه على حج بيت الله الحرام ، واستكثر من اتخاذ الزوايا في الطريق التي يسلكها ركب الحجاج ليأووا اليها في مراحل سفرهم الطويل . وفي القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) تكاثرت الزوايا في المغرب ، ولدت حولها مدارس استقر فيها طلبة العلم ، الامر الذى حدا بملوك بني مرين أن يشيّدوا كذلك مدارس بجانب المراكز التعليمية الكبرى خصوصا جامع القرويين بفاس . وقد أقرده الخطيب ابن مرزوق التلمساني الباب الواحد والأربعين من كتاب **المسند الصحيح الحسن** لذكر المدارس الكثيرة التي أسسها السلطان أبو الحسن المريني (3) .

وتطور أمر الزوايا بالمغرب خلال القرن العاشر الهجرى «السادس عشر الميلادى» حيث تغلب النصارى على المسلمين في الاندلس وساموهم سوء

- (1) دائرة المعارف الإسلامية ، العدد التاسع من المجلد العاشر ، ص 332 .
- (2) محمد بن علي الدكالي السلوى ، **الكناسة العلمية** ، ص 278 . وقد ذكر ابن بطوطة زاوية أبي عنان في موضعين من رحلته (الطبعة الاولى بمطبعة وادى النيل - القاهرة عام 1287هـ) في صحيفة 22 وصحيفة 177 . وقال انها أعظم زاوية شهدتها في المغرب والشرق تقع على شفير النخس (وادي الجواهر) خارج المدينة البيضاء (فاس الجديد) ، ولا يوجد في هذا الموقع اليوم إلا بقايا أسوار يظن أنها أطلال تلك الزاوية العظمى .
- (3) الخطيب ابن مرزوق ، **المسند الصحيح الحسن** ، ص 158 وما بعدها .

العذاب ، ثم امتدت أطماعهم الى احتلال الشغور المغربية وضعفت الدولة الوطاسية عن الدفاع عن حوزة الوطن . هنالك بدأت الزوايا تتدخل في شؤون البلاد السياسية وتدعو الى الجهاد ومقاومة الاجنبى . ووجد نداء الصوفية آذانا صاغية ، فهب الشعب يذود عن حصى البلاد وحمل السلاح معهم فقادوه في معارك ظافرة انتهت بطرد البرتغال من الشغور التي كان يحتلها في الجنوب ، ونصب رجال الزوايا الشريف أبا عبد الله القائم السعدى (915 - 1510/923 - 1517) ملكا على المغرب . وقد كان تأسيس الزاوية الدلائية في عهد الدولة السعدية هذه .

3 - أصل الدلائيين

تطلق كلمة (الدلاء) على الارض التي أسس فيها المجاطيون زاويتهم بالجنوب الغربى للاطلس المتوسط المشرف على سهول تادلا . ولفظ الدلاء عربى (جمع دلو: اناء يستقى به الماء) استعمله بهذا المعنى - مقصورا وممدودا - كتاب عاشوا في الزاوية الدلائية ، مثل الحسن اليوسى ، ومحمد المربط الدلائى . واذا كان من المستغرب اطلاق هذا الاسم العربى القح على بقعة تقع في وسط بربرى صرف فانا لاندرى كذلك لهذه التسمية سببا ولا تاريخا ، اللهم الا ها يبدو من تقارب لفظى بين الدلا وتادلا . الامر الذى يجعلنا نفترض أن الاسمين كانا مترادفين لسمى واحد . ويؤيد هذا الافتراض أن عبد العزيز الفشتالى - وهو معاصر للزاوية الدلائية - أطلق لفظ الدلا على تادلا حينما تحدث عن توزيع المنصور الذهبى لاقاليم المملكة على أبنائه . فقال : «... وعقد للمولى زيدان أصغرهم على الدلا ، ثم بدا له أن يديل كلا منهما بالآخر فنقل المولى أبا الحسن للدلا وعقد له على أعمالها وشفعيا له ببلاد أدحسان (1) جارتها والمتاخمة لأعمالها» (2) ونحن نعلم من سائر المصادر التاريخية أن ولاية زيدان وأبى الحسن ابنى المنصور كانت شاملة لاقليم تادلا كله . ولعل الزاوية الدلائية بعد أن اشتهرت خصوصا عندما تزعمت الحركة السياسية بالمغرب اختصت باسم الدلا ، بينما بقيت السهول المجاورة لها تسمى تادلا . ونجد المؤرخ أبا القاسم الزيانى (يبريس)

(1) أدحسان : جبل في الاطلس المتوسط بالقرب من خنيفرة . وهناك قلعة تدعى أيضا أدحسان. انظر أبا القاسم الزيانى . الترجمة الكبرى ، ص 463 .

(2) عبد العزيز الفشتالى ، مناهل الصفا . ص 191 .



صحن مسجد أبي بكر في الزاوية الدلاية القديمة

عن مجلة عسبريس



بقايا صومعة مسجد أبي بكر في الزاوية الدلالة القديمة

أحيانا لفظ الدلا فيكتبه (يدلا) (1) وذلك ما نجده جاريا على السنة سكان تلك الناحية حتى اليوم .

ينتسب الدلائيون الى قبيلة مجاط ، احدى فروع صنهاجة التي هي جذم من البرانس الذين يرجع اليهم مع البتر جميع انساب البربر (2) . ولا عبرة بما ادعاه بعض المؤرخين المتأخرين من رفع نسب الدلائيين الى أبي بكر الصديق (3) وانما هم ببناء على انتساب الدلائيين أنفسهم - من قبيلة لتونة الصنهاجية التي كانت تسكن بأقصى الصحراء المغربية ، وفصيلتهم القريبى هي بنو الطالب ، ويقال لهم بلسان البربر (آيت يتيندر) في عداد قبائل الاطلس المتوسط . وكانت مساكن مجاط قبل انتقالهم الى الدلا على ضفاف نهر ملوية (4) العليا فيما بين تونفيت وعيدلت . ثم تفرق المجاطيون بعد ذهاب عزهم أيدي سباً ، واستقروا في جهات مختلفة بالمغرب كما سنراه في الباب الاخير .

وأول من استوطن من المجاطيين أرض الدلاء الشيخ الصالح أبو حفص عمر المجاطي ، ثالث أجداد الشيخ أبي بكر مؤسس الزاوية الدلائية ، وذلك في أواخر القرن الثامن الهجري ، بناء على القاعدة التي ذكرها ابن خلدون من أن كل مائة سنة لايسعها الا ثلاثة آباء . (5) «وكان بنو عريش يعظمون السادات الدلائيين غاية ، وربما قاموا واجلسوا أحدهم في مكانهم» (6) .

(1) أبو القاسم الزياتي ، اليستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف . ورقة 1/5 .

(2) ابن خلدون ، المقير (القسم الذي نشره دسلان) ج 1 ، ص 106 .

(3) رفع نسب الدلائيين الى أبي بكر الصديق محمد بن أبي بكر اليازغي في حقائق الازهار الندية ، وعبد الودود التازي في نزهة الاخيار المرضيين . وسليمان الحوات في البدور الضاوية .

(4) ذكر الاستاذ أحمد بن قاسم المنصوري في كتابه : تاريخ زيان تفاصيل مهمة عن مجرى نهر ملوية اختصرها فيما يلي : نهر ملوية من الاودية العظام بالاطلس المتوسط ومنبعه من عين تسمى (عين سييت) في الاطلس الكبير ببلاد آيت يحيى مركز تونفيت في سفح جبل يسمى (توجيط) ثم يهبط ماؤها نحو الشمال ويلتقي بعيون أخرى فتشكون منها اودية صفار ، كزادي (تواليت) ووادي (أنزكبير) الكل من دائرة عيدلت ، فيهبط الجميع قاصدا الشمال من تحت مدينة عيدلت على نحو 30 كم غربها . وهنا يظهر تضخم نهر ملوية ويتجه نحو (الاقصابي) على 50 كم شمال عيدلت ثم مركز ميسور على 80 كم من عيدلت ثم مركز اوطاط الحاج . ومنه يدخل تراب المغرب الشرقي فيصل الى مدينة كرسيف حيث تطل عليه جبال رشيدة . ويستغل نهر ملوية من أوائل متبعه في قبائل بربرية من دائرة عيدلت كآيت يحيى ، وآيت عياش ، وآيت يزدك . . .

(5) ابن خلدون ، المقدمة . طبعة دار الكتاب اللبناني 1961 . ص 304 .

(6) سليمان الحوات ، البدور الضاوية . ورقة 1/5 .

ولا يعرف للشيخ عمر المجاطي ولا لابنه أحمد تاريخ ولادة ولا وفاة ، وإنما يذكر لأول اجتهد في العبادة ، وللتأني علم وصلاح . أما الشيخ سعيد ابن أحمد بن عمر فقد كان حيا عام 953 هـ (1546 م) وذكر في حقه صاحب نزعة الفكر (1) أنه « كان طالبا قارئا فاضلا خيرا دينيا فائقا مكثرا للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مولعا بها (. . .) وكان له عند أمراء وقته التعظيم التام ، والتوقير الكثير والاحترام ، لما كان عليه من الاشتغال بالعلم والدين ، وما سلف من العلم والصلاح في آبائه الاقدمين ، رحمة الله عليهم أجمعين . وكانت عنده ظواهر (كذا) ملوكية من بنى مرين وبنى وطاس وغيرهم تتضمن الاحترام والتوقير والتنزيه عن الوظائف الجارية على العامة والتحرير . وتتضمن قطاعات (كذا) لارضيين له ببلاده واستمرت بأيدي بنيه من بعده من أولاد الشيخ سيدي أبي بكر الى أن كانت رحلتهم لتلمسان ففقدت » (2) .

وعناك ظهير للسلطان محمد الشيخ السعدي (951 - 1544/964 - 1557) يوصي بتعظيم سعيد بن أحمد الدلائي ، ويشير الى وجود ظواهر قديمة عنده ويقره على التصرف في اقطاعاته (3) . ولا نعرف عن الشيخ محمد بن سعيد الدلائي ، الذي يدعى بلسان قومه (حمي) الا انه كان موسر الحال ، مستقيم السيرة ، سنيا تقيا ، خلف ولدين هما أبو اسحاق ابراهيم ، وأبو الجمال أبو بكر مؤسس الزاوية .

4 - تأسيس الزاوية الدلائية :

لانعرف بالضبط متى وجدت زاوية الدلاء ، غير انه يمكننا الاطمئنان الى القول بأن تأسيسها كان في الثلث الاخير من القرن العاشر الهجري ، حوالي عام 974 هـ 1566 م أسسها أبو بكر بن محمد بن سعيد الدلائي بإشارة من شيخه أبي عمر القسطلي (4) . فقد ذكرت كتب التراجم أن هذا الشيخ كان يكرم

(1) نزعة الفكر في مناقب الشيخين سيدي محمد ووالده سيدي أبي بكر لعبد السلام بن الطيب القادري المتوفى عام 1110 هـ أحد المصادر المهمة التي اعتمد عليها صاحب البدور الضاوية .

(2) نقله عن نزعة الفكر سليمان الحوات في البدور الضاوية ورقة 1/7 .

(3) انظر نص هذا الظهير في ملحق رقم 1 .

(4) الشيخ أبو عمر القسطلي من ذرية الشاعر الاندلسي الشهير ابن دراج القسطلي كاتب المنصور ابن أبي عامر وشاعر بلاطه . ونسبته الى قسطلية : مدينة بالاندلس يقال لها قسطلية دراج . وبعد الامام ابن حزم في الجوهرة أسرة هذا الشاعر من بين براير صنهجة . توفي الشيخ القسطلي عام 1566/974 هـ ودفن برياض العروس بمراكش . وفي الخزنة الملكية كتاب مؤلف مجهول يضم طائفة من كلام الشيخ القسطلي في التصوف .

اللوحة رقم 5



منظر عام لزاوية آيت اسحاق
المبينة على أنقاض الزاوية الدلائية الحديثة

تصوير المؤلف



واحدة من ضريحى الشيفيين الدلائيين أبي بكرى ومحمد بن الزاوية الدلائية القديسة

الواردين على زاويته بمراكش بحسب اقدارهم وطبقاتهم ، ويقدم لهم من صنوف الأطعمة ما لا يستطيع عمله إلا كبار الموسرين وأزباب الدولة . وقد أمر الشيخ القسطلي أبا بكر الدلائى باتخاذ زاوية له فى أرض الدلا يطعم فيها الطعام على نحو ما يفعله هو بمراكش . فلم يسمع أبا بكر أمام الحاج شيخه إلا أن يبني الزاوية الدلائية البكرية (1) ويفتح أبوابها فى وجه المريدين والزائرين .

ولا يقتصر مدلول الزاوية الدلائية على هذا المسجد الخاص الذى أسسه أبو بكر وإنما يشمل كافة القرية القائمة حوله بدورها وأسمواقها ومساجدها وسائر مرافق الحياة الضرورية لها ، وهو أمر نجد له مثيلاً فى أخواتها الباقية لعصرنا الحاضر ، كزاوية سيدى حمزة بجبل العياشى قرب ميدلت ، والزاوية الناصرية بتمكروت ، وزاوية آيت اسحاق نفسها التى قامت على أنقاض الزاوية الدلائية الحديثة . ولا شك فى أن الزاوية الدلائية باعتبار مدلول القرية ، لم توجد دفعة واحدة ، وإنما اجتازت مراحل فى تشييد مبانيها خيلة حياة الشيخ أبى بكر الدلائى الذى « كانت له المآثر الحسان ، التى لا يصدر مثلها إلا عن سلطان ، كبناء القناطر ، وحفر العيون وإجراء مائها ، وتوسعة الأودية وبناءها ، وشراء الرباع فى غالب البلاد وتحسيسها على الطلبة والضعفاء والمساكين ، وتشييد مباني الزاوية حتى كانت فى عداد المدائن ، التى يكل اللسان عن وصف ما لها من المحاسن » (2) .

ولقد تفرعت عن الزاوية الدلائية هذه ، مدينة أخرى تقع جنوبياً على بعد نحو 12 كلم ، أنشأها فى سفح الجبل حفيد الشيخ أبى بكر ، السلطان محمد الحاج بن محمد الدلائى عام 1048/1638 ، فورثت عن قرية الدلاء القديمة اسم الزاوية الدلائية البكرية . وسماها بعض المؤرخين مدينة الدلاء زاوية محمد الحاج (3) أو مدينة أزغار (4) وهناك نص من القرن الحادى عشر يدل بوضوح على وجود زاويتين دلائيتين اثنتين . أحدهما عاصمة الإمارة الدلائية والأخرى قرية فيها قبور الدلائيين . وذلك فترة من رسالة (5) وجهها الفقيه

11 تدعى الزاوية البكرية أيضاً نسبة لمؤسسها الشيخ أبى بكر الدلائى .

12 سليمان الخوات . الدور الضاوية . ورقة 1/10 .

13 أبو القاسم الزباني . الترجمانة الكبرى . التى جمعت أخبار العالم برا وبحرا ، ص 404 .

14 عبد الله العياشى . الأحياء والانتعاش ، فى تراجم سادات زاوية آيت عياش ، ورقة 249 . وأزغار كلمة بربرية تدل على البسيط من الأرض .

15 هذه الرسالة طويلة تشتمل على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة . انظرها بتمامها فى الأحياء والانتعاش من ورقة 47 الى ورقة 263 .

محمد بن عبد الجبار (1) الى شيخه أبي سالم العياشي صاحب الرحلة المشهورة وكان اذ ذاك غائبا بالحرمين الشريفين ، يتحدث له عن المسغبة التي حلت بالمغرب عام 1071/1661 يقول فيها : «والقرى التي حول الزاوية مدينة الدلاء ودار المغرب في تلك الازمنة قد خربت كلها الا ما كان من ثلاث قرى . منها قرية تعرف بالدلاء وفيها قبور أولئك الملوك ..» (2)

ونجد في شعر أبي علي اليوسفي تلميذ الزاوية الدلائية اشارة الى المدينتين الدلائيتين العليا والسفلى : لقد قال مرة حينما طلع الى الزاوية الدلائية القديمة :

رحلت وقد نزلت على الدلاء	وخلفت الحضيض الى العلاء
وخلفى عصابة يدرون غيبى	مغيب الغيث عن قوم ظمء
فقل لهم اذا ظمئوا استغيثوا	ببحر لا يكدر بالدلاء (3)

5 - موقع الزاوية الدلائية :

لقد وقع اضطراب كبير في تحديد موقع الزاوية الدلائية بسبب تخريبها وانطماس معالمها . فأشار اليها بعض مؤرخي القرن الماضي اشارات عامة عامة ، كقولهم انها تقع على ثلاث مراحل من فاس مكتنفة بين بجانة وعسكورة وتادلا (4) وجاء الاوربيون في مطلع هذا القرن يتحدثون عن الزاوية الدلائية وموقعها بأحاديث متضاربة (5) ثم نشر أحد جهابذة مؤرخينا في السنة الماضية كتابا قال فيه : «لا يعرف بالضبط موقع هذه الزاوية الآن ، وانما المحقق أنها كانت تقع بناحية وادي أم الربيع قريبا من تادلة . ولعلنا لا نخطئ اذا عينا لها بلاد تافسنا المعروفة اليوم بالشاوية ، ومن ثم شهر بعض الدلايين بنسب المسناوي» (6) وذكر مؤرخ مغربي كبير آخر في مقال نشره

(1) محمد بن عبد الجبار تلميذ أبي سالم العياشي ، كان تساعرا نحويا فقيها له عدة مؤلفات انظر ترجمته في الاحيا والانتعاش ، ورقة 229 .

(2) عبد الله العياشي ، الاحيا والانتعاش ، ورقة 255 .

(3) محمد بن علي الدكائي السليبي ، مجموع فيه اخبار الدلايين ، ص 25 .

(4) سليمان الخوات ، البدور الفضاوية ، ورقة 5/ب .

(5) H. De Castries, Les sources Inédites de l'Histoire du Maroc, France - Tome III, p. 574.

— Lévi Provençal, Les Historiens des Chorfa, p. 300.

— La Mission Scientifique du Maroc, Villes et Tribus - Rabat et sa région - Tome I, p. 77.

— La section Sociologique D.G.A.I. Archives Marocaines - Volume 28. Editorial.

(6) عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج 1 ، ص 269 .



الباب والفتحة لمسجد آيت اسحاق - الزاوية الدلاية الحديثة -



مكتب قائد زاوية أيت اسحاق البني في موقع المسجد الاعظم
في الزاوية الدلائية الحديثة

منذ ظهور فقط أن الزاوية الدلائية «درست معالمها لدرجة أنه لم يتوصل بعد الباحثون إلى تعيين المحل الذي كانت به» (1).

والواقع أن هناك زاويتين دلائيتين ، قديمة وحديثة ما تزال أطلالهما قائمة الذات ماثلة للعيان حتى اليوم . ويعرف سكان ناحية خنيفرة الزاوية القديمة باسم (آيت بدلا) أي أهل الدلاء ، ويروي شيوخهم بالتواتر ما كان لهذه البقعة الطيبة من ماض علمي مجيد . وعندما زرت هذه الزاوية لأول مرة يوم 25 ذي الحجة 1381/30 ماي 1962 صحبة الاستاذ أحمد بن قاسم المنصوري صاحب تاريخ زيان (2) التفت حولنا كثير من سكان الدلاء ، ومن بينهم شيخ فأن بشرف على التسميعين ظل يحدثنا بلهجة البربرية عن أخبار الزاوية وصلحاتها وعلمائها حديثا تختلط فيه الحقائق بكثير من الأساطير .

تقع الزاوية الدلائية القديمة التي أسسها الشيخ أبو بكر الدلائي على ربوة في سفح جبل (بولور) بينه وبين جبل (تاغوايت) ، وتندرج في شرفها شعبة (اقا ايزم) أي شعبة الاسد ، وتتفجر بالقرب منها عين جارية تخترق المسجد وتضيع في الشعاب . وفيها بقايا المسجد الذي أسسه أبو بكر الدلائي ، حيث يسرى الزائر صفين من السواري والحنايا قائمين بحجة القبلة ، والمنار المتهدم الذي لم يبق منه سوى العمود الداخلي الذي تلتف حوله الدرج على ارتفاع بضعة أمتار، وجدران القبتين المشيدتين على خريجي الشيوخ الدلائيين أبي بكر وابنه محمد، وقد نبتت أشجار التين والعليق والشوك بكثرة في جوانب المسجد حتى غطته وجعلت التنقل في داخله متعذرا (3).

أما الزاوية الدلائية الحديثة التي بناها السلطان محمد الحاج الدلائي فهي التي تقوم على أنقاضها زاوية آيت اسحاق الحالية . في الطريق التي تربط بين خنيفرة وقصبة تادلا (4) . وما تزال حتى اليوم آثار الاسوار العظيمة التي كانت تحيط بهذه المدينة ممتدة على مسافات شاسعة ، ترتفع أحيانا عن سطح الأرض قليلا وتساويه أخرى أو تخفى تحت ركام التراب . وتوجد داخل هذه الاسوار المتهدمة أسوار أخرى ما تزال قائمة بأبراجها ، لعلها كانت تحيط

(1) محمد القيس . مجلة البيئة . السنة الأولى . العدد الثاني ، يونيو 1963 ، ص 64 .

(2) أنظر نص قصيدة قالها الاستاذ المنصوري في زيارتنا لأطلال الزاوية الدلائية ، في ملحق رقم 2

(3) أنظر اللوحات رقم 1 - 2 - 3 - 4

(4) نبت زاوية آيت اسحاق عن خنيفرة بنحو 35 كلم، وعن قصبة تادلة بنحو 60 كلم.

بقصر السلطان محمد الحاج الدلائي وفي داخلها مسجد جدد سقفه أخيرا ،
وبقايا أفواس الديوان (I) .

وقد نشر ر. هنري R. HENRY مقالا في مجلة هيبيريس HESPERIS سنة 1944 (2) تحت عنوان : أين كانت تقع الزاوية الدلائية ؟ تحدث فيه عن الزاويتين ووصف ما وقف عليه من آثارهما ، مضيفا الى ذلك روايات استقاها من فقه قرية معمر وقائد آيت سخمان المكي أمهاوش وغيرهما ، وأثبت ر. هنري كل ما سمعه من محدثيه دون أن يكلف نفسه عناء البحث والتحقيق والرجوع الى المصادر التاريخية للتأكد من صحة تلك الروايات ، لكن صاحب المقال كان له على أي حال فضل السبق لاكتشاف موقع الزاويتين الدلائيتين ، والتنبية الى بعض النصوص التي وردت في كتاب **الاحيا والانعاش** ، وهي تتحدث عن الزاوية الدلائية القديمة ، ومدينة محمد الحاج عاصمة امارة الدلايين . ويمتاز هذا المقال أيضا بما وصف صاحبه من أسوار مسننة كأسوار فاس ، وقد اختفت هذه الاسوار اليوم تماما كما اختفى المسجد الاعظم ومناره الشامخ وباب مجاط الكبير الذي كان يطل على وادي أهل آزموور (آسيف نابت زموور) وقنطرتة (3) وذلك بسبب تحطيم جنود الاحتلال الفرنسي هذه الآثار واستخدام أنقاضها في بناء المكاتب الادارية والشكنات العسكرية . وقد حدثني بعض شيوخ زاوية آيت اسحاق أنه شاهد هدم الفرنسيين الاسوار القديمة وغبرها مستعملين في ذلك الإلغام المتفجرة . وفي أثناء هدم صومعة المسجد التي كانت قائمة وراء المكتب الحالي للمقائد وبعد نقض أجزائها العليا ، سقطت دفعة واحدة على اثر تفجير لهم قوى فيها ، فغطت مساحة كبيرة من الأرض وأدرك حطامها أحد جنود الكوم فمزق شلوه . ولما كان جنود الفرقة الثالثة يحفرون أسس مباني الشكنات العسكرية بزاوية آيت اسحاق سنة 1941 اكتشفوا بعض القنوات التي كانت تجلب المياه الى مدينة محمد الحاج وتوزعها تحت الأرض على الدور كما هو الحال بفاس .

(1) انظر النسخة رقم 5 - 6 - 7 - 8

(2) Hespéris, T. 36 - p. 49.

(3) انظر النسخة رقم 9

اللوحة رقم 8



بقايا اسوار داخلية يظن انها كانت تحيط بقصر السلطان محمد العاج
في الزاوية الدلاية الحديثة (زاوية آيت اسحاق)

تصوير المؤلف



بقايا فطره وادي اهل الزمور (السف ناست زمور)
بحوار الزاوية الدلالية العدرية

تصوير الثالث

الباب الثاني

تعاليم الزاوية الدلائية

1 - الزاوية الدلائية كمركز ديني

- (أ) الشيخ أبو بكر مؤسس الزاوية الدلائية
- (ب) طعام الطعام في الزاوية الدلائية
- (ج) احتفال الدلائيين بعيد المولد النبوي الشريف

2 - طريقة الزاوية الدلائية

- (أ) سند الدلائيين في الشاذلية
- (ب) اذكار الزاوية الدلائية
- (ج) مريدو الزاوية الدلائية

3 - علاقة الزاوية الدلائية بغيرها من الزوايا

- (أ) الزاوية الناصرية
- (ب) الزاوية القاسمية
- (ج) الزاوية العياشبية

1 - الزاوية الدلائية كمركز ديني

رأينا في الباب السابق أن تأسيس الزاوية الدلائية القديمة كان لنشر الطريقة الشاذلية ولاطعام الفقراء وأبناء السبيل ، وقد انقطع الشيخ أبو بكر الدلائى أزيد من ثلث قرن في زاويته لارشاد المريدين الوافدين عليه من كل حدب ، والقاء دروس وعظية كان يبكي خلالها حتى تبتل لحيته البيضاء ، فيتأثر الحاضرون أيما تأثر وتمتلئ قلوبهم خشوعا وانبابة الى الله . ثم خلف أبا بكر بعد وفاته أبنائه الصالحاء ، فساروا على نهج والدهم في الوعظ والارشاد ، واطعام الواردين على زاويتهم ، والحذب على رجال العلم والدين ، حتى بلغت الزاوية الدلائية في عهدهم شأوا بعيدا في الشهرة والمجد لم تبلغه زاوية من قبل أو من بعد . وسنلم في هذا الباب بترجمة الشيخ أبي بكر ، وعادات الدلائيين في اطعام الطعام والاحتفال بالمولد النبوى ، قبل أن نشير اشارة خاطفة الى طريقتهم الصوفية ، وعلاقة زاويتهم ببعض الزوايا التي عاصرتها .

أ) الشيخ أبو بكر مؤسس الزاوية الدلائية

ولد أبو بكر بن محمد المعروف بحمى بن سعيد بن أحمد بن عمر الصنهاجى المجاطى بالدلا عام 36/943 - 1537 - تقريبا - وكان هذا العام يسمى (عام بوعقبة) لمقابلة أحمد الوطاسى وجيشه من أهل فاس مع أبى العباس الاعرج السعدى ومقاتلة أهل مراکش على مشرع بوعقبة من وادى العبيد بتادلا فكانت الواقعة الحاسمة التى قضت على الوطاسيين وتسبب على اثرها السعديون عرش المغرب . وهكذا يكون شيخ الدلاء قد عرف النور هو والدولة السعدية فى عام واحد . ويروى بعض المؤرخين أن شيخ تادلا الصالح أبا الحسن على بن ابراهيم البوزيدى (1) كان من الحاضرين فى وليمة العقيقة التى أقامها محمد بن سعيد المجاطى لمولوده ، وأشار عليه بهذا الاسم . ونشأ أبو بكر نشأة صالحة فحفظ القرآن الكريم فى كتاب قرينه وارتحل الى مدشر أبى عباد (2) لتعلم المتون العلمية ثم انتقل فى طلب العلم الى مكناس وفاس حتى بلغ فى أقصر مدة أقصى الامنية ، فتضلع فى قواعد الشريعة ونبحر فى موارد الحقيقة (3) .

(1) الشيخ أبو الحسن البوزيدى دفين أقرض المشهور ببسيط تادلا . توفى عام 1540/956 .
 (2) مدشر . يعنى قرية صغيرة . ويقع مدشر أبى عباد فى منتصف الطريق بين الدلا وأبى الجعد .
 (3) سليمان الحوات . البدور الضاوية ورقة 1/9 .

على أن أبا بكر منذ صباه لم يكن شغوفا بالعلوم الظاهرة شغفه بصفاء
الباطن وسمو الروح فأقبل على عبادة الله والتعرف على الصالحين من أوليائه
وكان اتصاله بالشيخ أبي عمر القسطلي نقطة تحول في حياته ، انصرف بعدها
نهائيا عن الاشتغال بالثروة الطائلة التي خلفها له والده منقطعاً إلى الدعوة إلى
الله وإرشاد العباد وهدايتهم . ويذكر المؤرخون قصة طريفة لهذا الاتصال ،
وهي أن أبا بكر الدلائى سافر إلى مراکش حاضرة السلطان عبد الله الغالب
المسعودي (965 - 1557/981 - 1574) لتجديد الظواهر القديمة المتضمنة
لاحترام الدلائيين وتعظيمهم . فلما وصل إلى القصبة التي هي مقر سكنى الملك
وحاشيته ، جعل يتردد هل يتوجه إلى البلاط أولا لقضاء ما جاء من أجله ،
أم يبدأ بزيارة الشيخ أبي عمر القسطلي الذي سمع عنه كثيرا ورغب في
التعرف عليه . وبينما هو مختار في أمره إذ خرج من باب القصبة عبد أسود
من عبيد السلطان ولم يكذب يراه حتى تقدم نحوه غاضبا يريد أن يضربه بعصاه
وهو يقول : «أهذا موضعك ؟! أهذا موضعك ؟!» ففر أبو بكر إلى الشيخ أبي
عمر ونال من عنايته واهتمامه ما لم يكن له بالحسبان وأخذ عنه عبد الشاذلية
وبقى يختلف إلى زيارته طيلة حياته مع وفد المريدين من قبائل زعير وتادلا
وقد رأينا في الباب السابق أن الشيخ أبا عمر القسطلي هو الذي أمر أبا بكر
باتخاذ زاوية له في الدلاء يرشد فيها المريدين ويطعم الفقراء والمساكين والطلبة
والزائرين . «فكان يطعم الطعام الذي لم يعيد في بلاده وينزل الناس منازلهم،
ويعطى لكل قوم ما يناسبهم، كما كان شيخه (أبو عمر القسطلي) يفعل، فإذا لأمه
أحد في التفرقة بين الناس قال له : من جعل الناس سواء ، فليس حمقه دواء
وما قصده أحد إلا أفاض عليه من سيبه ، يعطى عطاء من لا يخاف الفقر :

فلو رأى من مضى بعض مكارمه لم يذكر في الندي معنا ولا هрма» (4)

وبعد أن أسس أبو بكر زاويته في الدلاء اجتهد في تكبير العمارة من
حولها فبنى الدور والدكاكين وسائر المرافق الضرورية وحبس الرباع على
الطلبة والمساكين حتى صارت من أحسن المدن وأكثرها سكانا وأشهرها ذكرا،
يقصدها الناس من مختلف الجهات ويلتقى فيها العلماء والطلاب الوافدون
فينالون من التعظيم والاحترام ما يجعلهم يرغبون في المقام بها طول ما يمكنهم
من الزمن وتعتد المجالس العلمية في مسجد الدلاء الرحب . وتقوم سوق العلم

(4) محمد الأقراني . صفوة من انشور . ص 44 . والشطر الأول من البيت من مرقون وبسلفه
لو كتبنا «يوما» بدلا من «بعض» . ويشير البيت إلى معنى من والده وهو أن سلطان
الجوادين العزميين المشهورين .

فيه على قدم وساق . ولما قامت الفتنة بين أبناء المنصور الذهبي ، واسود أفق المغرب وانقطعت فيه السبل وتغلب الاقوياء على الضعفاء ، وكثر السلب والنهب ، لانعدام السلطة التي تسهر على حفظ النظام ، كان الشيخ أبو بكر بما له من المنزلة الرفيعة عند القبائل البربرية يكف أيدي الجناة عن الجرائم ، وينصف المظلوم من الظالم ، ويدفع بالثني شي أحسن . وقد اتفق جميع من ترجم لشيخ الدلاء على انه كان نقي الظاهر والباطن نظيف الملابس ، شديد بياض الثياب ، جميل الهدى كثير السلام ، خافض الطرف قليل الكلام . حسن العشرة شديد المحافظة على العيد . كريم الاخلاق داعيا الى المحبة والتسامح والتصافي . يعقد في زاويته مجالس للوعظ والارشاد يفتتحها دائما بقوله : «روى الحسن عن أبيه الحسن ، عن جده الحسن ، ان أحسن الحسن الخلق الحسن» (5) .

وكانت وفاة أبي بكر الدلائي يوم السبت 3 شعبان عام 1021/29 شتنبر 1612 ودفن في مسجده في الدلاء (6) .

ب) اطعام الطعام في الزاوية الدلائية

كان محمد بن سعيد الدلائي مؤسس الحال ، كثير الحرث والماشية كما كان ابنه أبو بكر العالم الصالح محببا الى الناس ، يقبلون عليه ويلتفون حوله ، وكان يجد في سعة حال والده ووفرة أغنائه ما يقرى به ضيوفه الكثيرين ويطعم به زواره الوافدين ، حتى ضجر الوالد من كثرة ما يذبح ابنه من الماشية وما يستهلكه من مطاعم الحبوب ، فلامه على الإفراط في الانفاق ونصحه بالاعتدال ، غير أن أبا بكر لم يغير من خطته واستطاع أن يقنع والده بأن عمله ليس من الاسراف في شيء (7) وما زال كرمه ينمو ويطرد الى أن آل اليه تراث

14 أحمد بن يعقوب الولاي . مباحث الانوار . ورقة 28 .

ويعني بالحسن المذكور أولا الحسن المسمى . والحسن المذكور ثانيا أبا الحسن بن علي ابن أبي طالب . وجده الحسن الرسول الكريم . ويراد به الوصف بالحسن فقط . إذ ليس الحسن من أسمائه عليه السلام . ولم يعتمد أحد من الحفاظ سند هذا الحديث ولا مثله وتعل اختيار الشيخ أبي بكر له كان بسبب السبق وحسن السجع زيادة على ما يدعو اليه من حسن الخلق .

15 انظر ترجمة الشيخ أبي بكر الدلائي عند محمد إسماعيل في الصفوة . ص 46 - 47 وفي نزهة العادي . ص 274 وما بعدها . ومحمد المهدي الفاسي في ممتع الاسماع . ص 7 من كراسه 18 وما بعدها . ومحمد القادري في نشر الثاني . 1 : 112 .

16 هناك أسطورة تقول بأن أبا بكر اتفق مع والده على أن ما تلده الاغنام من الذكور يذبح للاسباق . ويترك ما تلده من الاناث فصارت الغنم بعد ذلك لا تلد الا الذكور . أدرك أبوه عندئذ أن في الامر سرا وسلم له الامر

والده بعد وفاته . وأمره شيخه القسطلى بالأطعام . فجعل يصرف ثروته الواسعة فى اكرام الوافدين على زاويته ، تمده حقوله الشاسعة فى الدلاء وفى بلاد غريس بتافيلالت بما يكفيه من الحبوب طول السنة وتعطيه قطعان الاغنام والابقار من انتاجها ما يستجيب لحاجيات مآدبه اليومية . « كان كثير الاطعام بالانواع المختلفة من الطعام ، أمرا خارجا عن الوصف ، مباينا للعادة والالف ، فكانت مراجله دائما تغلى ، وطباخه لم يزل يفرغ ويملى :

فى جفان كالجوابى وقدر راسيات
هكذا يفعل دأبا بالوفود الزائرات

بل كان يطحن كل يوم خمسا وعشرين صحيفة من القمح وعشرين تليسا (8) ثم كان يطعم كل انسان تارة بما اشتهاه فى نفسه ، وتارة بما يناسبه مع أبناء جنسه ، فليس الحضرى عنده كالبدوى ، ولا الضعيف كالقوى .. » (9)

وقد سار محمد بن أبى بكر الدلائى على نهج والده فى الاطعام وتوسع عمله فيه ، فكانت له قيمات من النساء على الطعام يدفع لهن من الدقيق ومما يلزم للطبخ بقدر ما تحت أيديهن من اماء الخدمة ، ويوظف عليهن من الصحوون ما يناسب ذلك . فاذا حضر وقت الاطعام دفعت كل منهن ما عندها ، وكوفئت عليه ان كان جيدا ، والا عوقبت على فساد عملها . ويروى مترجمو محمد بن أبى بكر الدلائى عن كرمه المدهش قصصا غريبة ، ويذكرون أرقاما عالية لمن كان يجلس الى مائدته بمناسبة أو بغيرها فمن ذلك أنه كان يطعم فى سنة من سنى الغلاء سبعة آلاف من الفقراء كل يوم . زيادة على الواردين عليه والمقيمين عنده من طلبة العلم وغيرهم . وأطعم فى يوم واحد احتفل فيه بسابع المولد النبوى الشريف سبعين ألفا من سكان الزاوية وغيرهم من الوافدين عليها لحضور ذلك الموسم دون أن يقوم من موضعه طيلة اليوم الا للمصلوات (10) .

(8) الصحيفة مكيال يقدر بثلاثة قناطير . والتليس كيس مزدوج يصنع من صوف أو شعر أو وبر لتقبل فيه الحبوب على ظهور الدواب .

(9) سليمان الحوات . البدور الضاوية . ورقة 15/ب .

(10) انظر تفاصيل ما كان يقدمه محمد بن أبى بكر الدلائى لضيفه من أطعمة كثيرة ، والادنى العظيمة التى يهبها الطعام ، عند سليمان الحوات . البدور الضاوية ، ورقة 1/48 وما بعدها .

واستمر الحال كذلك بالزاوية الدلائية بعد وفاة محمد بن أبي بكر اذ كان لولده السلطان محمد الحاج المآثر العظيمة في اكرام الوفود وقد خصص خصمائه بغلة لحمل الدقيق من الارحى الى الزاوية ، واتخذ قصعا عظيمة يطعم فيها الناس .

ج) احتفال الدلائيين بعيد المولد النبوي الشريف

أدركت الزاوية الدلائية شهرة عظيمة أيام الشيخ محمد بن أبي بكر ، فكان عيد المولد الشريف مناسبة يقصدها الناس فيه سنواء منهم العلماء والادباء ، والاغنياء والفقراء ، والسوقة والرؤساء ؛ فينزلون على الرحب والسعة وينائمون من حفاوة ابن أبي بكر واکرامه ما تقر به أعينهم وترتاح له أفئدتهم . ويقضون في تلك البقعة الطيبة أياما يظل المنشدون فيها يرددون القصائد والمقطعات والموشحات في مدح الرسول الكريم ، خصوصا برودة الامام البوصيري وهمزيتة . ويقوم الشعراء بالقاء قصائد ينظمونها خصيصا لهذه المناسبة لاسيما منهم شاعر الزاوية أحمد الدغوغى (II) الذي كان يذيل مولدياته بمدح الشيخ محمد بن أبي بكر والدعاء له فيرتاح لذلك الشيخ وتطيب نفسه (I2) . وقد شجع الشعراء على نظم القصائد والتفنن في صوغها ورفعها الى محمد بن أبي بكر بهذه المناسبة ، ما كانوا يلقونه منه من جزيل الصلات ، وكریم المكافآت . وكان لا يثيب منهم الا من مدح الرسول عليه السلام وأشاد بمفاخر الإسلام . فقد روى أن الاديب عمرو بن قاسم الاندلسي الرباطي (I3) جاء اليه في أحد هذه الاعياد بقصيدتين احدهما في مدح النبي الكريم ، والاخرى في مدح الشيخ محمد بن أبي بكر ، فلما انقضى الموسم وحضر هذا الاديب لوداعه أعطاه الشيخ صرة فيها مائة دينار بيده اليمنى ، وفلسا بيده اليسرى قائلا له : هذه الدنانير جائزتك على مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا الفلس جزاؤك على مدح محمد بن أبي بكر اذ لا يستحق أن يمدح .

(I2) أحمد الدغوغى من موالى أهل الدلاء . نشأ فيهم وبرع في الادب وكان مداحا هجاء لا يكاد يسلم من هجوه أحد . ترجم له الاقراني في نزهة العادي ص 283 ولم يذكر له تاريخ وفاة .

(I3) انظر احدى المولديات التي كانت تلقى في الزاوية الدلائية في ملحق رقم 3 .

(I4) عمرو بن قاسم هذا هو جده الاديب المشهور محمد بن عمرو الرباطي الذي عارض شمعونية ابن الونان . وقد ظل عمرو بن قاسم يتصل بالدلائيين ويمدحهم مدة طويلة وقد مدح السلطان محمد الحاج الدلائى بقصيدة بليغة تشتمل على 32 بيتا مطلعها :

يا حبيبا برع البرايا وانتهى شمسها الى حيث السهى والمشتري
انظرها في كنانة ابن علي الدكالى السلاوى ، ص 270 وما بعدها .

2 - طريقة الزاوية الدلائية

(أ) سند الدلائيين في الشاذلية .

تعتبر الطريقة الشاذلية المتصلة بالامام أبي القاسم الجنيد (I4) من أسلم الطرق الصوفية وأقربها الى السنة ، وأكثرها انتشارا بالمغرب ، حتى انها لتعتبر الطريقة الرسمية في هذه البلاد ، الى جانب المذهب المالكي في الفقه . والعقائد الاشعرية في التوحيد (I5) . وقد أخذ الشيخ أبو بكر الدلائي طريقة التصوف كما تقدم عن الشيخ أبي عمر القسطلي المراكشي الذي أخذ عن الشيخ عبد الكريم الحاحي المعروف بالفلاح (I6) تلميذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الحق التباع المراكشي (I7) أشهر الآخذين عن الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (I8) .

ويتصل سند محمد بن أبي بكر الدلائي بالشيخ الجزولي من ثلاث طرق، تتجمع كلها عند الشيخ عبد العزيز التباع . فقد أخذ محمد بن أبي بكر الطريقة الصوفية على شيخه أبي عبيد محمد الشرقي (I9) عن أبيه أبي القاسم الزعري

(I4) أبو القاسم الجنيد المتوفى عام 277هـ يتصل سنده بالحسن البصري التابعي الذي أخذ عن جماعة من الصحابة . منه حذيفة بن اليمان الذي خصه الرسول الكريم بعلم الخواطر وخبايا النفوس .

(I5) يقول عبد الواحد بن عاشر في مئذنة رجزه المرشد المعين الذي يدرس في جميع المعاهد الدينية بالمغرب :

في عقد الاشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك

وآخر باب في المرشد المعين يتعلق (بعبادي، التصوف وهوادي التعرف) .

(I6) توفي عبد الكريم الفلاح عام 633هـ ودفن بقرية القاضي عياض بمراكش . كان الملك السعديان محمد وأحمد الشيخ يزوران في زاويته . توجد ترجمته في : دوحة الناصر ، ص 44 وفي مجمع الاسماع ص 3 من الكراسة 5 .

(I7) توفي عبد العزيز التباع بمراكش عام 914 وألف فيه وفي شيخه الجزولي أبو عبيد الله محمد المهدي الخامس كتاب مجمع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع .

(I8) الشيخ الجزولي هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان عرف بنسبته الي حده فقيل محمد بن سليمان . شيخ الطائفة الجزولية ومؤلف كتاب دلائل الخيرات . كان يربط أسفى أولا ، ثم انتقل الى المورغال حيث مات مسجوما عام 65/870 - 1466 وقد نقله السعديون بعد ذلك الى ضريحه الحالي بمراكش ، وترجمته مفصلة في كتاب : مجمع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع ، وفي دائرة المعارف الاسلامية . العدد 12 من المجلد 6 . ص 447 وما بعدها .

(I9) أبو عبيد محمد الشرقي يتصل نسبه بمعر بن الخطاب ، توفي عن سن عالية عام 1010 / 1 - 1002 ودفن بجعيدان (أبو الجعد الحالية) .

عن عبد العزيز التباع ، كما أخذ عن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي (20)
عن عبد الرحمن المجذوب المكناسي (21) عن أبي حفص الخطاب (22) عن عبد
العزيز التباع . وأخذ محمد بن أبي بكر الدلائي أيضا عن عبد الله بن حسون
السلوي (23) عن أبي محمد الهبطي (24) عن عبد الله الغزواني (25) عن عبد
العزيز التباع ، عن الشيخ الجزولي .

أما الشيخ الجزولي فيتصل سنده بالامام أبي الحسن الشاذلي (26) عن
طريق محمد بن عبد الله أمغار (27) عن أبي عثمان سعيد الهرتاني عن عبد
الرحمن الرجراجي ، عن أبي الفضل الهندي ، عن عنوس البدوي راعي الابل ،

(20) انتقل الشيخ أبو المحاسن من القصر الكبير الى فاس في أواخر القرن العاشر الهجري
(السادس عشر الميلادي) حيث اتخذ زاوية عظيمة ، تخرج على يده فيها كثير من أهل
الفضل والصلاح . وهو أحد المجاهدين الذين شاركوا في معركة وادي المخازن الشهيرة
توفي بفاس عام 4/1013 - 1605 وخصه ولده أبو حامد محمد العربي بكتاب : مرآة
المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن .

(21) عبد الرحمن بن عباد الصنهاجي الشهير بالمجذوب ، توفي في بلاده دكالة عام 68/976-1569
وحمل الى مكناسة الزيتون فدفن بها .

(22) عمر الخطاب دفين زرهون ، متصوف كبير ترجم له في جملة رجال القرن العاشر الهجري .
محمد بن عسكر في دوحة الناصر ص 64 ولم يذكر له تاريخ وفاة .

(23) عبد الله بن حسون الخالدي . انتقل من مدشر سلاسل بأحواز فاس الى مدينة سلا وأخذ
عنه فيها كثير من أهل الفضل والدين وهو الذي حمل تلميذه أبا عبد الله العياشي
على الجهاد ضد النصارى المحتلين للشغور المغربية وتوفي عام 4/1013 - 1605 .

(24) عبد الله الهبطي ، أصله من صهاجة طنجة من قبيلة مشنة توفي عام 55/963 - 1556
وقبره مشهور بزاوية بأحواز شفشاون .

(25) كان عبد الله الغزواني طالبا للمعلم بفاس ، ثم سلك طريق القوم وصحب الشيخ التباع ،
وأقام مدة بتلمذته بالهبط - ضاحية طنجة - ثم فاس ، وأخيرا انتقل الى مراكش حيث
توفي عام 28-033 - 1529 ودفن بحي القصور .

(26) أبو الحسن الشاذلي يتصل نسبه بالمولى إدريس بن عبد الله دفين زرهون وقد ولد بتلمذه
غمارة قرب مكناسة عام 96/503 - 1197 وتلمذ للشيخ عبد السلام بن مشيش دفين
جبل العبد بالقرب من تطوان . وقد أخذ عن الشاذلي خلق كثير بالمغرب والمشرق ،
وكانت طريقته في التصوف بسيطة تشمل على أذكار جميعها في أحزاب . منها حزب
البحر . وحزب البحر ، والحزب الكبير ... وتوفي الشاذلي بصعيد مصر في سفره الى الحج
عام 58/656 - 1259 أنظر ترجمة الشاذلي في : علي ببالم عمار ، أبو الحسن الشاذلي
والعربي الفاسي مرآة المحاسن ومحمد المهدي الفاسي مجمع الاسماع في فصول متفرقة وفي :
L'Encyclopédie de l'Islam.

(27) محمد بن عبد الله أمغار الصغير كان يعيش في رباط تيطنططر جنوبى مدينة الجديدة ، لقبه
الجزولي بأرض دكالة وأخذ عنه . ترجم له ابن الزيات في الشوف ص 190 - 193 ولم
يذكر له تاريخ وفاة .

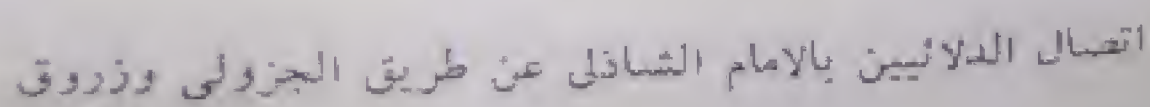
عن الامام أحمد القرافي ، عن أبي عبد الله المغربي (28) وأبي العباس المرسي (29) وكلاهما عن أبي الحسن الشاذلي (30) .

ويتصل سند الدلائلين بالامام الشاذلي أيضا من طريق الشيخ أحمد زروق . فقد أخذ محمد بن أبي بكر الدلائي عن أبي المحاسن الفاسي عن عبد الرحمن المجذوب كما سبق . ومن شيوخ عبد الرحمن المجذوب علاوة على عمر الخطاب أبو الحسن علي بن أحمد الصنهاجي الملقب بالدوار . كان بهلولا مجذوبا توفي عام 34/941 - 1535 ودفن خارج باب الفتوح في فاس . وتلمذ أبو الحسن الصنهاجي للشيخ ابراهيم بن علي الحجام من برابرة سوس الاقصى صاحب المزار المشهورة في جبل زرهون وقد اتصل ابراهيم الحجام بالشيخ أحمد زروق وسلك على يده طريق القوم وكانت وفاته عام 1520/926 . أما الشيخ زروق فيو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي ، كان من أكابر الفقهاء والمتصوفين جمع بين الحقيقة والشريعة وعرف بمحتسب الصوفية ، وألف كتباً عديدة أشهرها شروح لاحزاب الامام الشاذلي ورسالة ابن أبي زيد القيرواني ، وتوفي بمسراتة ذات الرمال من أطراف برقة عام 1493/899 . أخذ الشيخ زروق عن أبي العباس أحمد بن عبد القادر ابن عقبة اليمني الحضرمي ثم المصري المتوفى عام 1490/895 صحبة نحو خمسة عشر شهرا وأدرك على يده درجة عالية . وتلمذ ابن عقبة لابي زكريا يحيى بن أحمد القادري الذي أخذ عن الشيخ علي بن وفا المتوفى عام 1404/807 دفين القرافة الصغرى بمصر ، عن والده محمد بن وفا المتوفى عام 1364/765 عن شرف الدين داود الباخل ، عن تاج الدين بن عطاء الله المتوفى عام 1309/709 صاحب الحكم المشهورة وأخص تلاميذ الشيخ أبي العباس المرسي مرشد الامام أبي الحسن الشاذلي .

(28) نقل أبو حامد الفاسي في كتابه **مراة المحاسن** ص 194 عن شيخه أحمد بن يوسف الفاسي سند الجزولي إلى الشاذلي كما ذكرت هنا . وقال : «ولست أعرف من هؤلاء الشيوخ أحدا سوى الشيخ أبي عبد الله افغار ، وأما الامام القرافي فلا أعلم هل هو العالم المتبحر صاحب الذخيرة ، والتاريخ يقبله ان كان هو المراد وأما أبو عبد الله المغربي فلم تجد له ذكرا في لطائف القسن . . . ولاشك أنهم لم يسدروا أصحاب الشيخ أبي الحسن . وقد تخرج به في المغرب رجال من الصديقيين والاولياء ، ثم رحل إلى مصر وأخذ عنه عالم من الدرس ، والامام القرافي ان كان هو الفقيه المالكي صاحب **أنوار البروق في أنوار الفروق** . والذخيرة فإنه توفي بمصر عام 684هـ (1285م) انظر ترجمته في الاعلام للشيخ خير الدين الزركلي ، الطبعة الثانية (بدون ذكر تاريخ ولا مكان الطبع) ج 1 ص 90 .

(29) أبو العباس أحمد بن عمر الخزرجي ، ولد ونشأ في مرسية بالاندلس واليها نسب . وهو أشهر مریدی الشاذلي صحبه في رحلته إلى المشرق وأقام معه بالاسكندرية إلى أن توفي بها عام 685/86 - 1287 .

(30) انظر جداول اتصال الشاذلي بالجنيد من طرق متعددة في باب مصادر تصوف الشاذلي من كتاب علي سالم عمار ، **أبو الحسن الشاذلي** .



ب) أذكار الزاوية الدلائية

وأينا أن طريقة الدلائيين جزولية زورقية شاذلية ، وهي تمتاز على العموم بالمحبة الصادقة في النبي الكريم ، والاكتثار من الصلاة عليه والتسليم . وقد اشتهر أجداد الدلائيين بتعلقهم بالرسول عليه السلام ، خصوصا منهم سعيد بن أحمد الدلائى الذى كان «مواظبا على قراءة دلائل الخيرات لا يفارقه في أكثر الاوقات ، وكان يأمر أولاده بها (الصلاة على النبي عليه السلام) ويرغبهم فيها ويحضهم عليها حتى انه كان يسافر لنواحي البلاد فيأتى بالطرف والفواكه ويقول لهم مرغباً ومدرّباً من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فله كيت وكيت من تلك الاشياء المشتبهات ..» (31)

ولما تصدر أبو بكر الدلائى للمشيخة في زاويته ، لم يلتزم تلقين أذكار مخصوصة لمن يريد الاخذ منه ، كما كان الشأن عند معاصريه من شيوخ الصوفية ومن أتى بعدهم ممن سلك هذا الطريق ، وإنما كان يأمر مريديه بالتوبة بشروطها المعروفة ، من الاقلاع عن الذنوب ، والعزم على عدم ارتكابها مرة أخرى . وتلافى ما يمكن تلافيه من الحقوق المترتبة من قبل ، والاكتثار من الاستغفار . ومع ذلك فقد «كانت له وظيفة لنفسه ولمريديه وهي : أستغفر الله ، وسبحان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا

بإله العظم . وكل واحدة من هذه الكلمات يقولها مرة ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ : اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ، مائتى مرة . لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . لا اله الا الله الملك الحق المبين سيدنا محمد رسول الله الصادق الامين صلى الله عليه وسلم . وكان يسمى ذلك بالوظيفة لان طريقته انما هى شاذلية ولا تلقين فى الطريقة الشاذلية كما قال القسطلانى» (32) .

وكانت أوراد الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى من الاذكار التى كان يوظفها على المريدين فى الليل والنهار : أستغفر الله العظيم (مائة مرة) اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى الى صراطك المستقيم ، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم (مائة مرة) لا اله الا الله (مائة مرة) صباحا ومساء . ومن الادعية التى كان يرددها الشيخ

131 نقله عن نزهة الفكر سليمان الحوات فى البدور الضاوية ورقة 6/ب .

132 سليمان الحوات . البدور الضاوية ورقة 20/1 .

محمد بن أبي بكر كثيرا في الزاوية الدلائية : اللهم لا مانع لما أعطيته ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد . اللهم اختتم بالسعادة آجالنا ، وافترن بالعافية غدونا وأصالنا ، واجعل الى جنتك مصيرنا ومآلنا ، وتقبل بفضلك أعمالنا ، واجبر برحمتك أحوالنا ، واجعل في طاعتك أشغالنا ، الا هنا ، قطرة من بحر جودك تكفيننا ، وغرفة من بحر احسانك تغنيننا ، فيها نحن أسارى الذنوب بين يديك واقفون وعلى ما عودتنا من فضلك واحسانك معولون ، اللهم احفظنا في ظاهرينا وباطننا ، وعرضنا لتفحاتك القدسية ، ولا نكلنا للاصدقاء ولا تسلينا للاعداء وكن لنا بما كنت به لاجباتك وأصفياك (33) .

وكان الشيخ أبو بكر الدلائي يأمر مريديه أن يصلوا على النبي عليه السلام بهذه الصيغة : «اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما» . ثم لما حج محمد بن أبي بكر الدلائي واتصل في مصر بالشيخ محمد البكري وأخذ عنه طريقته الصوفية كان من جملة ما رواه محمد عن هذا الشيخ (صلاة الفاتح لما أغلق) فجعل محمد بن أبي بكر يلقيها لمريديه في الزاوية الدلائية بدلا من الصيغة الاولى التي كان عليها أبوه . والمعروف أن صلاة الفاتح لما أغلق هي الصيغة التي يلتزمها التيجانيون في وردهم حتى اليوم ، بل اتنا نجد الورد الذي كان يلقيه محمد بن أبي بكر الدلائي يتفق تماما والورد الذي لقنه الشيخ أحمد التيجاني لاصحابه . فكل الوردين يشتمل على مائة من الاستغفار ، ومائة من صلاة الفاتح لما أغلق ، ومائة من الهيلة . وقد قال أحمد بن بابا العلوي الشننجيطي في منية المرید عن الورد التيجاني :

أركانه استغفر الله مائة وصل مثلها على خير الفئدة
وكون ذنئ الصلاة بالفريدة (34) مفضل برتب عديدة
.. وعملن مائة ولتختم بنسبة الارسل للمعظم (35)

ولاشك ان كلا من الدلايين والتيجانيين استمدوا من البكرين شيوخ الطريقة السادلية بمصر .

(33) محمد بن علي الدكالي السلاوي . الكنازة العلمية . ص 73 .
(34) المراد بالفريدة صلاة الفاتح لما أغلق . إذ كان الشيخ أحمد التيجاني يسميها (البافرة الفريدة) .
(35) الحق في هذا التوضيح : محمد العربي السائح : بغية المستفيد لشرح منية المرید . ص 250 وما بعدها .

وقد كتب الامام الشرقى بن أبى بكر الدلائى الى شيخ الطريقة الناصرية محمد بن ناصر الدرعى يسأله أن يرشده الى أذكار يتلوها فى الليل والنهار فأجابه ابن ناصر برسالة جاء فيها :

«... فإذا أصبحت وإذا أمسيت فاتل هذه الادعية سبعا سبعا : اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله صلاة تدرأ بها عنا كل شر باطن وظاهر ، انك أنت الله القوى القاهر . اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله صلاة تجلب بها الى كل خير باطن وظاهر ، انك أنت الله القوى القادر ، سبحان ربى الاعلى الوهاب ، اللهم انى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة ، اللهم انى أسألك العفو والعافية ، فى دينى ودنياى وأهلى ومالى ، اللهم استر عورتى وآمن روعتى ، اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى ومن شمالى ويمينى ومن فوقى ومن تحتى أعوذ بك أن أغتال . اللهم يا حي يا قيوم برحمتك استغيث اصلح لى شأنى كله ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ...» (36) .

ج) مريدو الزاوية الدلائية

طالت حياة أبى بكر الدلائى ، وظل منتصباً للمشيخة أزيد من ثلث قرن ، وكان ذا سند عال فى الطريقة ليس بينه وبين الامام الجزولى الا ثلاثة شيوخ ، كما كان سمح الخلق ، كريم المائدة ، فقصده الناس من كل حذب وصوب ، وامتألت زاويته بوفود المريدين الراغبين فى الاخذ عنه وعن ابنه محمد ، والانتساب اليهما . وإذا كنّا لانستطيع تحديد عدد مريدى هذه الزاوية العظيمة فانه يمكننا أن نذكر بعض النابغين منهم ممن تأهل للمشيخة وانتفع به الناس ، وأكثرهم من برايرة الاطلس المتوسط .

ومن أشهر مريدى الزاوية الدلائية محمد بن أبى بكر العياشى المتوفى عام 1067/1657 وهو والد الرحالة أبى سالم العياشى . أخذ محمد العياشى عن الشيخين الدلائيين أبى بكر وابن محمد ، وطالت صحبته لهما وانتفاعه بهما حتى تهيأ للمشيخة وأذن له أبو بكر الدلائى فى ارشاد قومه وتعليمهم واطعام المحتاجين منهم . فأسس الزاوية العياشية أو الحمزاوية كما

تسمى اليوم في السفح الجنوبي الشرقي لجبل العياشي بالاطلس الكبير (37) وأخذ عن الشيخ أبي بكر الدلائي أيضا أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن الدادسي المتوفى عام 52/1062 - 1653 بواويزغت من جبال تادلا . كان قوى الحال كثير التواجد لا يتمالك عند تلاوة القرآن . ولما تصدر لتربية المريدين كان أكثر ما يحضيم على المحافظة على أداء الصلوات في أوقاتها ، وحفظ السنن من الغيبة والهذر . (38) :

كما تتلمذ للشيخ أبي بكر الدلائي محمد بن يعقوب الولالي المتوفى عام 1650/1060 وهو جد أحمد بن يعقوب مؤلف كتاب **مباحث الانوار** . وكان رجلا بربريا لا يخلو لسانه من ضعف في بعض مخارج الحروف ، ومع ذلك فإن شيخه أبا بكر الدلائي كان يعجبه أن يستمع اليه وهو يتلو القرآن ، لما كان عليه من قوة اليقين والوقوف عند حدود الله . وكان ابن يعقوب يكثر من زيارة أبي بكر بالرغم من بعد المسافة بين بلديهما (مسيرة ثلاثة أيام) ولم يتخذ محمد بن يعقوب لنفسه زاوية خاصة مكتفيا بزاوية شيخه الدلائي ، وبارشاد قومه وحملهم على الجادة أينما تيسر له ذلك (39) . وتعلم للشيخ أبي بكر أيضا أبو علي الحسن بن علي التاسكدلي المتوفى عام 96/1005 - 1597 ، ما كاد أبو علي يرجع الى قريته الجبلية بعد أخذه عن أبي بكر الدلائي وتزوده بنصائحه حتى جد في تبديل عوائدها الرديئة المتمكنة من عامة أهل البلد ، وحبب اليهم العلم بعد أن كانوا لا يكثرثون به مكتفين بمجرد حفظ القرآن الكريم وتلاوته . وكان قوى البنية مفتول العضلات فانكب على العمل بجد مباشر الاشغال بنفسه لاصلاح الطرقات وتجهيدها وحفر الأماكن الوعرة وتسهيلها ، لان بلده يقع في جبال وعرة مكسوة بالثلوج (40) . كما

(37) انظر ترجمة محمد بن أبي بكر العياشي واختاره مع الدلائيين في : أبي سالم العياشي اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر . الصفحات الأولى . وعبد الله العياشي الإحياء والانتعاش . الفصل الأول من ورقة 16 .

(38) انظر ترجمة أبي عبد الله الدادسي في : محمد الاقراي ، صفوة من النثر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر ص 83 وفي نشر الثاني ص 201 .

(39) ترجم أحمد بن يعقوب الولالي في مباحث الانوار ورقة 41 وما بعدها لجدد محمد بن يعقوب وذكر كثيرا من أخباره ، غير انه لم يشر الى تاريخ وفاته .

(40) انظر ترجمة أبي علي التاسكدلي في : سليمان الحرات ، البدور الضاوية . ورقة 23 . وتاسكدلي قرية بجبال الاطلس المتوسط جنوب مبدلت ، تابعة اداريا لمركز تونغيت

تتلمذ لأبي بكر الدلائي من شيوخ القرى الجبلية أبو الحسن علي بن إبراهيم دفين تدغة ، وأبو الحسن علي بن يوسف دفين أركو وسليمان الغياثي صاحب الكاف (41) . وقد زار الحافظ أحمد بن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي المتوفى عام 1021/1023 - 1023/1023 الشيخ أبا بكر في زاويته بالدلاء في شهر محرم عام 1009/1012 وأخذ عنه ونال من إكرامه وتعظيمه ما يناسب مقامه العلمي الرفيع ؛ ولما رجع إلى فاس سأل الناس عن شيخ الدلاء فقال : «أخذ الناس بالأوصاف ، وأخذ أبو بكر بالاتصاف» (42) . ألف الحافظ أحمد الفاسي في أسانيد شيخه أبي بكر الدلائي كتابا خاصا (43) . وكان محمد بن أبي بكر الدلائي يشي كثيرا على الإمام أحمد الفاسي ويصفه من بين حفاظ عصره الثلاثة بأنه (الحافظ الضابط الثقة) .

3 - علاقة الزاوية الدلائية بغيرها من الزوايا

تكاثرت الزوايا في المغرب خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة (السادس عشر - السابع عشر للميلاد) حتى كاد عددها يفوق عدد المساجد ، واختلط فيها أمر الصالحين بمدعى الصلاح من ذوي الأغراض الفاسدة والمشعوذين ، وعسر بذلك تمييز الطيب من الخبيث . غير أن هناك بعض الزوايا التي أجمع الناس على صلاح أهلها لاستقامة سلوكهم ، وظهور نتائج أعمالهم الدينية والعلمية . وأشهر هذه الزوايا في القرن الحادي عشر الهجري ثلاث : الزاوية الدلائية ، والناصرية ، والفاسية ، ولم تكن هذه الزوايا بمعزل عن بعضها بالرغم من تباين مواقعها ، ولكنها كانت تتصل عن طريق التزاور والقراسل ، والاختلاط والعطاء . فكان بينها من أجل ذلك تفاعل أثر تقاربا في وسائل العمل وتمائلا في النتائج . وما أشبهها في تلك الظروف الحالكة بعنارات شامخة تشع بالإيمان والعرفان في وسط المغرب وشماله وجنوبه . ومن المقرر عند الإتيان أن العلم إنما أحياء بالمغرب ثلاثة من الشيوخ ، سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي ، وسيدي محمد بن ناصر في درعة ، وسيدي عبد القادر الفاسي (44) . وإلى جانب هذه المراكز الدينية العظيمة كانت الزاوية العياشية - وهي زبينة الزاوية الدلائية - تقوم بدور مماثل في

(41) ذكر هؤلاء المریدین الثلاثة لأخیرین سلیمان العوات فی البدور الضاویة ، ورقة 20 ب . وقال انه لم یقف علی تراجمهم . وتدغة (بضم التاء) قرية بجوار تسعير من عمالة ورزازات .

(42) أبو حامد الفاسي مرآة المحاسن ، ص 153 .

(43) عبد السلام بن سودة . دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، ص 327 .

(44) محمد بن أحمد الفاسي - المورد الهني ، ورقة 2/ب .

منحدرات الاطلس الكبير المطلة على أراضي تافيلالت ووحدات الصحراء . على انها وان لم تبلغ ذلك الشأو البعيد فانها قامت بنصيبها في الارشاد والتهديب . وظلت محتفظة حتى عصرنا الحاضر بذخائر نفيسة في مكتبتها العلمية العامرة . وقبل أن أورد نتجا من أخبار الزوايا الثلاث وتعاليمها وما كان لها من صلة مع الزاوية الدلائية أود أن أشير إشارة عابرة الى بعض الظواهر المشتركة بينها . فقد أسست كلها في عصر ازدهار الحركة الصوفية بالمغرب وفي زمن متقارب (أواخر القرن العاشر الهجري) باستثناء الزاوية العياشية التي تأخر تأسيسها قليلا الى أوائل القرن الحادي عشر . بدأت بسيطة في بيت أو مسجد صغير ثم اتسعت مبانيها الى أن صار بعضها عبارة عن مدينة أو قرية كبيرة . وكان الغرض الرئيسي لمؤسسي هذه الزوايا صوفيا محضا يرمي الى هداية الناس وتهديب أخلاقهم بنشر تعاليم الطريقة الشاذلية ثم تطور نشاطها فأصبحت مراكز علمية هامة تشد اليها الرحال .

(أ) الزاوية الناصرية

تقع الزاوية الناصرية بتامكروت على ضفاف وادي درعة وراء الاطلس الكبير ، بعيدة عن مركز زاكورة بنحو 22 كلم في جنوبها الشرقي . أسسها أبو حفص عمر بن أحمد الانصاري (45) عام 73/083 - 1570 . واستقر بها حفيده الصوفي الصالح أحمد بن ابراهيم الانصاري (46) مع شيخه عبد الله ابن حسين الرقي (47) الذي كان يلقي فيها أوراها الشاذلية . وقد جاء أبو عبد الله محمد بن ناصر الدرعي (48) الى زاوية تامكروت عام 30/1040 - 1031 لأخذ الطريقة عن الشيخ عبد الله بن حسين . وأقام ابن ناصر في هذه الزاوية

145 أبو حفص الانصاري أحد أعيان درعة وزهادها . ووالده الصديقة سموية الانصارية أم الشيخ أحمد بن ابراهيم الانصاري . وهو أول من نزل من أفراد قسطنطينامكروت . وأسس زاويتها في التاريخ المذكور وكانت وفاة أبي حفص الانصاري عام 2110/1022 - 1002 .

146 أحمد بن ابراهيم الانصاري . الدرعي العابد الزاهد . قبل عام 1052 1042 .

147 عبد الله بن حسين الرقي - نسبة الى الرقة : بلد على شاطئ نهر الدرات بالعراق - كان يعرف بالثياب . وهو من أكبر صلحاء درعة . أخذ عبد الشاذلية عن الشيخ أحمد بن علي الحاجي الدرعي المتوفى عام 89/998 - 1500 . تلمذ الشيخ الصغير أبي القاسم الغازي الدرعي المتوفى بسجلماسة عام 73/981 - 1574 . وكانت وفاة الشيخ عبد الله ابن حسين بتامكروت عام 35/1045 - 1036 .

148 الشيخ محمد بن ناصر يتصل نسبه بجعفر بن أبي طالب . هاجر أجداده الى درعة في صدر القرن العاشر الهجري . وولد محمد بن ناصر ونشأ بقرية الملاق في درعة . ثم انتقل الى تامكروت في التاريخ المذكور وعمره اذ ذاك نحو 27 سنة وآلت اليه زاويتها بعد وفاة الشيخين الرقي والانصاري . ونسبت اليه فعرقت بالزاوية الناصرية . ولها كانت وفاته عام 74/1085 - 1075 . وخلقه فيها أبناؤه وما زالوا هناك حتى اليوم .

مدة بطلب من الشيخ عبد الله بن حسين ، وأقبل على التدريس ونشر العلم فيها ، وقصده الطلاب من مختلف جهات الصحراء . وقد تصدر أحمد الانصارى للشيخ الصوفية بزاوية تامكروت بعد وفاة أستاذه الرقى ، غير انه لم يلبث ان مات قتيلا بيد أحد منافسيه من زعماء درعة ، فاستقل حينئذ الشيخ محمد ابن ناصر بهذه الزاوية وأصبح يشتغل فيها بتدريس العلم للطلبة وبتربية المريدين . وتحمل الشيخ ابن ناصر كثيرا من شظف العيش «وصبر في هذه المدة غاية الصبر على معيشته وكسوته حتى كان ينام مع أهله على التراب ، لعدم ما يشتري به حصيرا يفرشه ، وربما افترش ليفا أو جريد نخل ..» (49)

وكان محمد بن ناصر يميل الى البساطة في تعليمه . ويقتصر على حل مشاكل المتون وتقريبها لاذهان الطلاب ، محتسبا كثرة النقل والخلافات المتسعبة ، فانتفع به كثير من الناس . ومن أشهر تلاميذه الامام أبو علي اليومى والقاضى عبد الملك التجموعى ، والرحالة أبو سالم العياشى (50) وغيرهم . وقد حج ابن ناصر مرتين ، واشتهر أمره بالشرق مثلما اشتهر بالغرب ، وكثر أتباعه والآخذون عنه فيهما . ولم تكن له أوراد معينة يلقنها لجميع أتباعه ، وانما كان يراعى حالة المريدين ويسلك بهم سبيل التدرج فى الاذكار . ويمكننا أن ندرك على الاجمال طريقته فى التلقين وتحرى السنة من صدر رسالة أجاب بها بعض طلبة تلمسان حين كتبوا اليه يسألونه الدخول فى زمرة . وأن يبعث اليهم بحديث السبحة والخرقه والضيافة (51) . قال : «... وأوصيكم بتقوى الله ولا ترزجوا ولا تخشعوا الا الله . وأما السبحة والضيافة والخرقه فليس عندنا فيهن رواية . وانما طريقتنا الذكر ، وهو نحو ما ذكره

(49) أحمد الانصارى السلاوى . طلعة المشتري . ج 1 ، ص 133 .

(50) سنن تراجيم فى الابواب التالية .

(51) يقول بعض الصوفية ان للسبحة والخرقه والضيافة أصلا فى السنة . ويذكرون أحاديث فى الموضوع منها ما رواه الديلمى فى مستند الفردوس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ولعب المذكر المسبحة . ولجلال الدين السيوطى رسالة سماها : السبحة فى استعمال السبحة ، ذكر فيها أن جمعا من الصحابة كانت لهم سبحة . كما نشأ وأبى هريرة وأبى الدرداء . وكذلك بعض العارفين الاوائل كالجليل ومبروف الكرخى وعبد القادر الجيلانى . ويقال أن الرسول عليه السلام كسا قره بن هبيرة ثوبين من ثيابه لما سأل ذلك . ويروى شيوخ الصوفية لبس الخرقه بسند متصل ينتهى الى علي بن أبي طالب وأويس القرنى . انظر فى هذا الموضوع : أحمد الماخرى . المنهاج الواضح . ص 150 وما بعدها .

الشيخ السنوسي في آخر شرح العقيدة الصغرى (52) فإن رغبتم في الدخول في السلسلة ، فصالحوا التوبة وشروطها وعليكم بتقوى الله والتوكل عليه في جميع الأمور ، والتأهب ليوم النشور ، والتزود لسكنى القبور . وإذا فرغتم من الأذكار الماثورة بعد صلاة الصبح فقولوا : استغفر الله مائة مرة ، اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ، كذلك ، لا إله إلا الله ، ألف مرة . هذا إذا كان ممن يعاني القراءة وكان ذكرا وأما المرأة فحسبها من الهيلة مائة مرة ، وإن كان عاميا فليذكر الهيلة سبعة آلاف مرة ، ويزاد عند تمام كل مائة ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا هو الورد بين الصبح والصبح ..» (53) وهكذا نرى أن محمد بن ناصر كان يراعى أحوال الناس من التفرغ والاشتغال ، فيأمر الرجل العادي أكثر مما يأمر به الطالب المهتم بدروسه ، ويخفف عن المرأة كثيرا لضعفها ومسؤوليتها في البيت . وهناك مسائل أخرى تدل على شدة تمسك شيخ الناصرية بالسنة ، وتعزز ما ورد في الرسالة من عدم اتخاذ السبحة والخرقة والضيافة لعدم روية شيء ثابت في شأنها . من ذلك أنه ترك قراءة الفاتحة بعد الصلوات ، لنفس السبب ، واقتصر على اذان واحد يوم الجمعة ، ولم يكن يدعو في الخطبة لأمير المؤمنين ، الأمر الذي كاد يجر عليه شرا مستطيرا إذ بعث إليه السلطان الرشيد بن الشريف بكتيبة من الجيش للبطش به ولكن الله سلم .

وإذا أردنا أن نوازن بين الطريقتين الناصرية والدلائية ، وجدنا أنهما تلتقيان في نواح كثيرة ، فكلتاهما تتصلان بالإمام الشاذلي عن طريق الشيخ أحمد زروق ، وإن كان سند الدلائين أعلى وأوسع ، لاخذهم عن شيوخ عديدين وانفرادهم بطريقة الشيخ الجزولي دون الناصريين . وتتشابه أورداد الزاويتين كثيرا ، ويأمر كل من شيوخ الدلاء وتامكروت مردييه بالتوبة أولا ، والاكتثار من الاستغفار ، والهيلة ، والصلاة على الرسول الكريم . ويتفق الدلائيون والناصريون في صيغة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا أن الدلائين يزيدون فيها ثلاث كلمات هي «عبدك ونبيك ورسولك» فيقولون : اللهم صل

(52) أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي عالم تلمسان المتوفى عام 841/895 - 1400 له كتب في العقائد : كبرى ووسطى وصغرى . وصغرى الصغرى . وتعرف الصغرى باسم البراهين وقد طبعت مرارا في مجموع المتون بفاس ، ومصر . ويشير ابن ناصر في رسالته إلى قول السنوسي في آخر أم البراهين عندما تحدث عن كلمتي الشهادة : «فعل العاقل أن يذكر من ذكرها مستحضرا لما احتوت عليه من عقائد الإيمان حتى تمتزج مع معناها بلحمة ودمه ...»

على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا . بينما يقولها الناصريون بدونها كما وردت في الرسالة السابقة (54) وان اختصت كل منهما بأدعية فانهما لم تفتأ متشابهتين في التزام البساطة ومراعاة السنة ، وعدم الاتيان بالعبارات الصوفية الغامضة ، والكلمات المبهمة المحتملة لكل تأويل .

هذا ولم يتعلم الناصريون للدلائيين مباشرة ، غير أن الشيخ محمد بن ناصر درس العلوم اللغوية والفقهية على أبي الحسن علي بن يوسف الدرعي (55) تلميذ محمد بن أبي بكر الدلائي . وكان أبو الحسن هذا كثيرًا ما يضيق ذرعًا بضنك عيش تامكروت ، ويقصد شيخه ابن أبي بكر في الدلاء ، فينال من عطايه وهداياه ما ينقلب به الى أهله مسرورًا . وبعث الشيخ محمد بن ناصر مرة مع أستاذه أبي الحسن بقصيدة يمتدح فيها شيخ الزاوية الدلائية محمد ابن أبي بكر ، منها :

له يدان يهد للظلم مقمعة ويد جود تفيد الناس أموالا
كانما جائف الحق يخاطبه انفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا (56)

فكان لها الوقع الطيب في نفس ابن أبي بكر ، وقال أبو الحسن من معروفة فوق ما كان يعهده منه . والى ذلك كانت هناك اتصالات ومراسلات بين الناصريين والدلائيين أشرنا في الفصل السابق الى بعضها . ولعل الامام أبا علي اليوسي كان أهم صلة تربط بين الزاويتين فقد درس بتامكروت على الشيخ محمد بن ناصر وأخذ عنه عهد الشاذلية وهو ما يزال حدثًا في مستقبل العصر . ثم التحق بالزاوية الدلائية واستقر بها نهائيًا تلميذًا ثم أستاذًا ، ولم تنقطع صلة اليوسي بشيخ تامكروت طيلة العشرين سنة التي قضها في الدلاء . وقد امتدح اليوسي الشيخ محمد بن ناصر بقصيدة دائية بديعة يبلغ عدد أبياتها 100 . مطلعها :

54 كانت هذه القصيدة للصلة على النبي عليه السلام معمولًا بها في الزاوية الدلائية الى أن نشرها محمد بن أبي بكر الدلائي بصلاة «الفاتح لما أغلق» بعد أخذ عن الشيخ الجكري كما تقدم في الفصل السابق .

55 أبو الحسن علي بن يوسف بن أحمد بن عبد الحليم الدرعي التامكروي . الإمام العالم الحليل المجتهد المتفنن في جملة من العلوم العقلية والنقلية كان جل دراسة الشيخ محمد ابن ناصر عليه . ترجم له محمد المكي الناصري في الدرر المرصعة ، ص 253 ولم يذكر تاريخ وفاته .

56 في البيت الأول ، و (الحق حاميه) بدلًا من يد في الشطر الثاني من البيت الأول ، و (الحق حاميه) بدلًا من الحق يخاطبه في البيت الثاني .

عرج بمنعرج المضاب السورد بين النصاب وبين ذات الارمد وأجز من الجزع الذي بحضيضه أجدات أصداء العشير الهمد (57)

ب) الزاوية الفاسية

الشيخ الأول لهذه الزاوية هو أبو المحاسن يوسف الفاسي . ولد ونشأ بمدينة القصر الكبير وأخذ فيها عن الشيخ عبد الرحمن بن عياد الدكالي المعروف بالمجذوب المتقدم ولازمه الى أن توفي عام 68/976 - 1569 ، فتصدر بعده أبو المحاسن الفاسي للمشيخة وتربية المريدين ، وانتقل الى مدينة فاس عام 80/988 - 1581 وسكن بدار في أقصى الدرب الجديد من حي المخفية بعدوة الاندلس ، كان يسكن في أعلى الدار ويجتمع المريدون في أسفلها . ثم اشترى دورا مجاورة لها وأسس فيها مسجدا ومنارا وزاوية . وبعد مدة أمر أبو المحاسن أصحابه بتطوان «بناء رابطة هناك لاورادهم وأحزابهم واجتماعهم للذكر والتذكير ، فبنوها في العيون منها وقام الرسم بها أحسن قيام ، ولم تزل الصلوات راتبة بها ورسوم الخير من تلاوة وذكر وغيرها ثابتة فيها واسم الزاوية جاريا عليها ووقف الناس عليها أوقافا» (58) .

وهكذا أسس الشيخ أبو المحاسن الفاسي في أواخر القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) زاويتين أحدهما بحي المخفية بفاس ، والاخرى بحي العيون بتطوان كان يجتمع فيهما أصحابه من المريدين . وقد رتب لهم الشيخ أورادا يقرؤونها جماعة على لسان واحد جهرا في ثلاثة أوقات : الأول بعد صلاة الصبح ، ويقرؤون فيه حزب الفلاح (59) والمسبحات العشر

57 النصاب : النصاب الضيقة . الارمد : نراب على لون الرماد . والجزع : منعطف الوادي . والأصداء جمع صدى . والمراد به هذا جسد الميت .

وسمى هذه القصيدة كلها على مقدرات لغوية جولة حتى يظن أنها من شعر الجاهليين . وقد جعل لها الرمس لرحا سماه نيل الاماني في شرح التهاني ، طبع مطبعة الكتبة بمصر عام 1329 .

58 أبو حامد المغربي الفاسي ، مرآة المحاسن ص 43 .

59 حقه الحزب كما قال الشيخ زروق في شرح حزب البحر للامام الشاذلي : «هو السورد المبول له لبيدا ونعوى . وهو في الاصطلاح مجموع اذكار وأدعية وتوجهات وضعت للتذكر والتذكير والتعوى من الشر . وطلب الخير واستنتاج المعارف وحصول العلم مع جمع القلب على الله سبحانه بذلك ولم تكن في الصدر الاول ولا من بعده بقريب لكن حركت على أيدي متايسخ المصوفة وحزب الفلاح هو من جمع الشيخ محمد بن سليمان الحزوني النظر في ملحق 4 .

والمعشرات التسع (60) ، ووظيفة الشيخ زروق (61) والحزب الكبير (62) .
و الثاني في العشى . وورده المسبغات العشر ووظيفة الشيخ زروق ، إلا
انهم يستبدلون عبارة (أصبحت وأصبحنا وما أصبح) بقولهم (أمسيت وأمسينا
وما أمسى) . والثالث بعد الغروب . ووظيفته حزب الفلاح ثم حسبنا الله ونعم
الوكيل سبعين مرة (63) ثم صلاة الشيخ عبد السلام بن مشيش (64) .

وهناك زاوية فاسية أخرى أسسها يحيى القلقليين (65) بفاس أخيراً
الشيخ أبي المحاسن وتلميذه أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي المشهور .
بالحارف بعد تأسيس زاوية المخفية بقليل . ظل أبو زيد الفاسي يسمي في
زاويته على النهج الذي يسمي عليه أخوه أبو المحاسن في زاوية المخفية إلى أن
توفي فخلفه فيها حفيد أخيه . عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن ، وكان من
أخص تلاميذه وأقرب الناس إليه وأكثرهم استفادة منه . وقد عني الشيخ عبد
القادر الفاسي بزاوية القلقليين عناية خاصة وانكب فيها على تدريس العلوم
وتربية المريدين ، ثم جدد له المولى اسماعيل بناء هذه الزاوية ووسعها على
النحو الذي نص عليه الآن . وكان المريدون على عهد الشيخ عبد القادر الفاسي
يجتمعون فيها للذكر مرتين في اليوم ، فيقرؤون حزب الغداة بعد صلاة الصبح
إلى طلوع الشمس وهو يستعمل على ما تقدم من حزب الفلاح والمسبغات والحزب
الكبير مع زيادة ذكر لا اله إلا الله خمسمائة مرة ، ثم محمد رسول الله عشر
مرات ، ثم اسم الجلالة خمسمائة مرة . ثم محمد رسول الله في اثنا عشر
تم يقرؤون هذا الدعاء ثلاث مرات : اللهم احينا عليها يامولاي ، وامتنا عليها
يا مولاي . وأثبتنا عليها يا مولاي عند الشيادة والرجوع اليها ويختتمون بلا اله
إلا الله مرة ، ويقرؤون الفاتحة وينصرفون وقد يقرأ بعض المريدين حزبين من

(60) المسبغات هي عبارة عن عشر جمل في الأذكار تنفي كل منها سبع مرات ، وهي من الشعارات
القديمة للصوفية ذكرها الغزالي في الاحياء . والمعشرات التسع من اذكار اتباع الشيخ
الجزولي تنفي كل جملة فيها عشر مرات . انظر المسبغات والمعشرات في ملحق رقم 4 .

(61) انظر وظيفة الشيخ زروق في : العربي الفاسي . امرأة المحاسن . ص 55 - 56 .

(62) الحزب الكبير لابي الحسن الشاذلي وأوله على ما عند ابن عطاء الله وابن عباد والنسخ
زروق «بسم الله الرحمن الرحيم» وإذا جاءك الليل يؤمنون بأياتنا فقل سلام عليكم «
انظره في : العربي الفاسي . امرأة المحاسن ص 56 - 57 .

(63) حسبنا الله ونعم الوكيل) سبعين مرة لم يكن يقرأها المريدون في حناة الشيخ أبي
المحاسن ، وإنما زادها ولده الحافظ أحمد بعد موت والده .

(64) انظرها في ملحق رقم 4 .

(65) لم يدفن الشيخ أبو المحاسن في زاويته بالمخفية ، ولا أخوه عبد الرحمن بزاوية القلقليين .
وإنما دفنا خارج باب الفتوح بروطنتهما المشهورة .

القرآن الكريم . ثم يجتمع المريدون في الزاوية أيضا بعد صلاة المغرب لقراءة حزب الفلاح وحزب الشيخ عبد القادر (66) الجيلالي وصلاة الشيخ عبد السلام ابن مشيش . كما كان المنشدون كثيرا ما يختلفون الى زاوية القلقليين للترنم بالامداح النبوية والاشعار الصوفية بحضرة الشيخ عبد القادر الفاسي «ولا يستعملون شيئا من السماع حتى يقدموا قبله قراءة القرآن ، وكان يحب كلام الششتري (67) باللحون ، وكلام سيدي عبد الرحمن المجذوب وغيره ، ولا ينكر شيئا من ذلك ولا يحب آلة مع ذلك سدا للذريعة .. وكان يرخص في الرقص ولكن لدى حال غالب ، ومع ذلك يأمر بالسكون ، وينهى عما يؤثر في العقول من السماع ، ولا يمنع شيئا في الفرح بالمولد النبوي من الرقص والشطح» (68) .

وهناك صلات متينة ووشائج قربي تجمع بين الزاويتين الفاسية والدلائية منذ عهودهما الاولى ، فأبو المحاسن الفاسي هو أحد الشيوخ الاولين في السلسلة التي تصل محمد بن أبي بكر الدلائي بالامامين أحمد زروق ومحمد بن سليمان الجزولي . وقد تتلمذ الحافظ أحمد بن أبي المحاسن الفاسي على شيخ زاوية الدلاء أبي بكر ، وخص أسانيده في طريق القوم بتأليف سبقت الإشارة اليه . وأقام أخوه أبو حامد محمد العربي الفاسي مدة طويلة في الزاوية الدلائية ، يدرس الحديث على الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي ، ويلقى دروسا في

(66) الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الشريف الحسني المعروف بالجيلاني المتوفى ببغداد عام 1166/65 - 1166 صاحب الطريقة الجيلانية المنتشرة في جميع البلاد الاسلامية الى أن طغت عليها الطريقة الشاذلية في المغرب عند القرن السابع للهجرة . وقد ازداد قدم الشاذلية رسوخا بالمغرب في القرن التالي مع الشيخ محمد بن سليمان الجزولي الذي كان يعد أتباعه بالآلاف وأخذ عنه جل شيوخ عصره في هذه البلاد ثم تأكد ذلك في القرن التاسع للهجرة مع الشيخ أحمد زروق شارح أحزاب الشاذل ومجدد طريقته في شمال إفريقيا غير أن بعض شيوخ الامام زروق يرتفع سندهم الى الشيخ عبد القادر الجيلاني ومن المعلوم أن عبد القادر الفاسي أخذ عن عم والده أبي زيد عبد الرحمن الفاسي العارف الذي يتصل سنده بالشيخين الجزولي وزروق معا . ولعل ذلك يفسر ما نراه هنا من قراءة مريدي الزاوية الفاسية لحزب الشيخ الجيلاني . هذا بالإضافة الى أن الشيخ عبد القادر الفاسي كان صوفيا متحررا يختار من كل ما يراه صالحا وكان كثيرا ما يستشهد بقوله تعالى : «وامر قومك يأخذوا بأحسنها» .

(67) أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري شاعر أندلسي . متصوف تنقل في البلاد وكان يتبع في أسفاره ما يتيف على 400 فقير يخدمونه . وله تأليف منها **المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية** وشعره وموشحاته وزجله في غاية الحسن يرجى كثير منها في ديوانه المطبوع بنصر . توفي الششتري بقرية الطينة القريبة من دمياط بمصر عام 1269/668 .

(68) عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي . تحفة الاكابر ، الباب الثاني عشر ، غير مرقم .

مختلف العلوم على الطلبة الى أن تخرج على يده كثير من العلماء الدلائيين على ما سيأتي في الباب الثالث ؛ وله مراسلات مع الدلائيين ، ومقامة أدبية وقصائد في مدح استاذه محمد بن أبي بكر الدلائى . كما شد الرحلة الى المدينة الادريسية كثير من أحفاد الشيخ أبي بكر الدلائى للاخذ عن الامام عبد القادر الفاسى حفيد الشيخ أبي المحاسن خصوصا فى الوقت الذى كانت فاس خاضعة لنفوذ السلطان محمد الحاج الدلائى . ومن أشهر المتخرجين على يد الشيخ عبد القادر الفاسى الطيب بن المسناوى الدلائى مفتى الزاوية البكرية وفقهها الكبير . وبعد النكبة التى أصابت الدلائيين كثر عدد طلبتهم فى زاوية القفليين بفاس وكأنهم وجدوها أشبه ما تكون بزوايتهم القديمة ، ففيها تعقد المجالس العلمية وحلقات الأذكار وتنشد الأشعار والموشحات والأزجال الصوفية . وإذا كانت الزاويتان الفاسية والدلائية تتحدان فى سلوك نسيج الشاذلية فإن أذكار الزاوية الدلائية تمتاز بالبساطة والسير مع ما يناسب موقعها فى وسط البادية ومريديها من أعراب تادلا ، وبرابرة زيان ، اذ لا يعقل أن يكلف هؤلاء بحفظ أحزاب الشاذلى والجزولى ووظيفة الشيخ زروق وغيرها من الأذكار المعقدة الطويلة ، بعكس الحال فى زاوية فاس التى كانت تستقبل مريدين متحضرين يتوفر جلهم على مبادئ علمية تؤهلهم لادراك الأحزاب السابقة وغيرها من المسبقات والمعشرات . ولعل هذا مما تمتاز به الطريقة الشاذلية التى لاتعين أذكارا لمريديها فى كل مكان ولا تقيدهم حتى بقراءة الأحزاب التى وضعها الشاذلى نفسه تاركة للشيوخ مجال الاختيار لما يناسب الحال . فتعددت بذلك مظاهر هذه الطريقة واختلفت صيغ أذكار مريديها لانجمعهم الاسنة الرسول الكريم التى هى المبدأ الاساسى الذى لايمكن المحيد عنه فى هذه الطريق .

(ج) الزاوية العياشية :

تسمى الزاوية العياشية اليوم زاوية سيدي حمزة ، وتقع فى سفح جبل العياشى ، على ضفة أحد روافد وادى زيز بعيدة عن ميدلت بنحو 60 كلم جنوبا . أسسها محمد بن أبي بكر العياشى عام 34/1044 - 1635 بأشارة من شيخه محمد بن أبي بكر الدلائى . وهو الذى أذن له فى اطعام الطعام بالزاوية ، وكان (محمد بن أبي بكر العياشى) يعطى الاوراد للناس ، ويقصدونه من القبائل البعيدة (69) ونحن وان لم نعثر على ما يبين لنا هذه الاوراد التى

(69) عبد الله العياشى . الاحياء والانتعاش . ورقة 18 .

كانت تلقن في زاوية آيت عياش ، فأننا لانشك في أنها كانت قريبة مما يتلقاه المريدون في زاوية الدلاء ، فشيوخ ابن أبي بكر العياشي كلهم شاذليون ، وأكثر اقامته كانت في الزاوية الدلائية ، أخذ فيها أولا عن الشيخ أبي بكر الدلائي . ثم عن ابنه محمد من بعده كما سبقت الإشارة الى ذلك . وقد تكاثر الواردون على الزاوية العياشية حتى ضاق مسجدها بالمصلين يوم الجمعة ، فوسعوه ، وجددوا بناءه عام 1066/55 - 1656 .

ولما آل أمر الزاوية العياشية الى أبي سالم العياشي أخذ يشتغل فيها بتدريس العلم ، وسار على نهج والده في الاتصال بالدلائيين وتعظيمهم ، وله معهم مساجلات أدبية شعرية ونثرية ، ومراسلات علمية ، أهمها الاسئلة التي وجبها الى مفتي الزاوية البكرية الطيب بن المسناوي الدلائي وتلقى عنها أجوبة صافية (70) ولم تنقطع صلة العياشيين بالدلائيين حتى بعد تخريب زاوية الدلاء ، إذ نجد حمزة بن أبي سالم العياشي يأخذ العلم في فاس عن محمد المسناوي الدلائي ، ويؤلف كتابا في ترجمته (71) والى حمزة لهذا تنسب الزاوية العياشية لأن عنايته بها كانت بالغة فعمل على تنشيط الحركة العلمية فيها . وبذل كل ثروته في اقتناء الكتب واستنساخها . وكادت الزاوية العياشية تلقى نفس المصير المحزن الذي لقيته أختها بالدلاء ، فغرب السلطان الرشيد أهلها عنها الى فاس وتركها قاعا صفصفا كزاوية الدلاء ، وظل يصم أذنيه عن توسلات العياشيين في الرجوع الى ديارهم ، بعد أن استوخموا حاضرة المولى ادريس ، وكانوا يسكنون أخصاصا فوق حي الفخارين داخل باب الفتوح ، لقلّة ذات يدهم وعدم تعودهم على عيش المدن . وقد رجع آل عياش الى زاويتهم بأذن من السلطان اسماعيل بعيد توليه الملك في أوائل عام 1083/1672 . وما زال جبل العياشي يحتضن حتى اليوم هذه الخزانة العلمية العظيمة وهي بحق مفخرة كبيرة لبلادنا ، وشاهد ناطق بماضيها العلمي المجيد ؛ وحيدا لو صرفت العناية الى تنظيمها وتيسير سبيل الاستفادة منها والكشف عن كنوزها الدفينة .

(70) أنظر تقر الاسئلة وأجوبتها في : سليمان الحوات البدور الضاوية . ورقة 1/168 الى ورقة 1/170 .

(71) عهد السلام في سيرة . دليل مؤرخ المغرب الأقصى . ص 222

الباب الثالث

الزاوية الدلائية باعتبارها مركزا علميا

1 - الأهمية العلمية للزاوية الدلائية

- (أ) العلوم التي كان يدرسها الدلائيون
- (ب) تفوق الدلائيين في اللغة وقواعدها

2 - أساتذة الزاوية الدلائية من أبنائها

- (أ) محمد بن أبي بكر الدلائى
- (ب) بقية أساتذة الزاوية الدلائية من أبنائها

3 - أساتذة الزاوية الدلائية من غير أبنائها

- (أ) أحمد بن القاضى
- (ب) أساتذة آخرون درسوا في الزاوية الدلائية

4 - تلاميذ الزاوية الدلائية

- (أ) الحسن اليوسى
- (ب) أحمد المقرى
- (ج) العربى الغامسى
- (د) علماء آخرون تخرجوا في الزاوية الدلائية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَعَلَيْهِمُ

قال العبد الخضر النابلسي

الْبَقِيَّةُ لِلَّهِ

المصطفى صلى الله عليه وآله

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على

سیدنا محمد جاکم السیر و علم الودعایت الذ غنیة
الحدیفین

أَنْ يَلْقَا فِي أَعْيُنِ الْحُزَمِيِّينَ تَسْتَعِثُّهُ النَّاهِرُونَ • وَتُسَبِّحُ بِهِ أَعْيُنُ
سَائِلِيهِ • تَغْضُ خَلْطُ الْأَخْوَانِ • وَتَلْصُقُ

لَا غِيَارَ ۚ فَاسْتَعْرِضْنِي فِي حَبْرِي ۚ وَشِعْرِي وَكَفَّي ۚ وَأَهْلِي مَدَنِي ۚ

وَقَدْ كُنْتُ مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ

التي تعالي الخ

وَاللَّهُ أَتَمُّ الْقَائِلِينَ
أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ • وَأَنْ يَنْفَعَنِي

قُلْ لِّمَن لَّهُ الْغَنَىٰ ۖ لِّلَّهِ الْغَنَىٰ ۚ لَمَّا عَلِمُوا لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَلَسَوْا فَصَحِلَ ۚ

الصفحة الأولى من أحد كتب خزانة الزاوية الدلائية

الصفحة الأولى من أحد كتب خزانة الزاوية الدلالية
وهو من تأليف محمد المرباط الدلاني
عن مخطوطة الخزانة العامة بالرباط

1 - الاهمية العلمية للزاوية الدلائية :

عنى الشيخ أبو بكر الدلائى بالعلم والعلماء عنايته بالتصوف والمريدين، واعتم بالغ الاهتمام بتعليم أبنائه الستة ، فكان منهم من يدرس على العلماء الوافدين على الزاوية الدلائية ومنهم من ينتقل الى مدينة فاس ليدرس فيها ولما اضطربت أحوال المغرب بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي (1) وانتشرت الفتن بسبب اختلاف أبنائه وتنازعهم على الملك ، أخذ الناس يقرون من المدن الى البادية ؛ وكانت الزاوية الدلائية من أحسن البقاخ التى يلتجئ اليها العلماء حيث يجدون الطمانينة وراحة البال وينعمون بكرم ضيافة أهلها ، فيتفرغون للعلم وتدارسه . وقد حصل أبناء أبى بكر على بضاعة علمية غير مزجاة فتصدوا للتدريس فى زاويتهم وأقبل عليهم الطلاب من كل حدب وصوب .

وتطور أمر الزاوية الدلائية فى الثلث الثانى من القرن الحادى عشر الهجرى وكثرت فيها المدارس التى ازدحمت بالطلاب ، حتى كان يسكن فى البيت الواحد طالبان فأكثر (2) ينفق محمد بن أبى بكر عليهم جميعا ، وكان لطلبة العلم «بالمدرسة التى بازاء جامع الخطبة ألف وأربعمائة مسكن» (3) وتكاثر عدد العلماء المشتغلين بالتدريس فى مساجد الزاوية الدلائية سواء من أبناء الزاوية نفسها أو من العلماء الطارئين عليها ، وتكونت فيها خزانة كتب عظيمة شبيهها بعضهم بخزانة الحكم المستنصر بالاندلس «وجميعها عشرة آلاف سفر» (4) .

وقد أجمع كل من تحدث عن الناحية العلمية للزاوية الدلائية على أنها بلغت فى هذا المضمار شأوا بعيدا ، وبذت فاسا فى تلك الفترة وفاقتها ، وقد قال الاستاذ عبد الله كنون فى هذا الصدد : «ان الثقافة الادبية واللغوية كانت فى الناحية التى درس فيها اليوسى أقوى منها فى فاس ، بل اننا نقول ، ان الثقافة اللغوية المتينة التى كانت موجودة فى زاوية الدلاء ، حيث درس اليوسى هى التى أحييت ذماء الادب فى المغرب بعد عدم ..» (5)

- (1) توفى المنصور الذهبي عام 1603/1012 .
- (2) أحمد بن يعقوب الولاى . مباحث الانوار الزوفاة 1/7 و 25/ب و 33/ب مع الاشارة الى أن أحمد بن يعقوب هذا كان طالبا يسكن فى بيت مدرسى بالزاوية الدلائية .
- (3) عبد السلام القادري ، تقايد تاريخية ص 11 .
- (4) عبد السلام القادري ، تقايد تاريخية ص 11 .
- (5) عبد الله كنون ، خل وبقل ، ص 275 .

١) العلوم التي كان يدرسها الدلائيون

اشتغل الدلائيون بكل ما كان معروفًا لعبيدهم من العلوم الدينية واللغوية والأدبية ، وبرز منهم علماء أفذاذ في جميع الميادين وسأشير هنا إشارة خاطفة إلى كل صنف من أصناف الفنون التي كانت تدرس في الزاوية الدلائية .

القراءات

اشتهر الشرقي بن أبي بكر الدلائى من بين اخوته بالتفوق في علم القراءات وكان مختصا بتدريس هذا الفن في الزاوية الدلائية مع أنه كان شارك في كثير من العلوم الأخرى ومجازا من قبل شيخه أبي حامد العربي الفاسي إجازة عامة . فكان الشرقي يلقي الطلبة فن التجويد ، ويعلمهم القراءات السبع ، ويدربهم على تلاوة القرآن الكريم تلاوة مجودة متقنة . وقد وصفه الإمام أبو علي اليوسى بأنه قطب رحي المقرئين في المغرب في قصيدة يمدحه بها :

قطب الرحي في المقرئين هذا الأفق ويا نجل قطب كان في مقعد صدق
.. ولم يعلموا أن لو خلا الغرب كله عن الخير كان الخير يرجي من الشرقي

التفسير

كان الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائى فارس هذا الميدان ، وله فيه سند قال يوصله بأكثر المؤلفين في تفسير القرآن الكريم . عن طريق مجيزه الإمام أبي عبد الله القصار (6) وغيره من شيوخه . وبذلك يروى جامع البيان في تفسير القرآن عن مؤلفه أبي جعفر محمد بن جرير الطبري و تفسير الكشاف عن حار الله محمود بن عمر الزمخشري ، و تفسير الرازي عن مؤلفه فخر الدين محمد بن عمر الرازي . و تفسير الثعالبي عن أبي اسحاق محمد بن أحمد الثعالبي و تفسير البيضاوي عن ناصر الدين أبي محمد عبد الله بن عمر البيضاوي كما يروى بنفس الطريقة تفاسير أخرى (7) .

وكان محمد بن أبي بكر الدلائى يرجع إلى هذه الكتب وغيرها ليلقي

محمد بن قاسم القصار . إمام فاس في التفسير والحديث والفقه لم يؤلف كتابا بالرغم من سعة علمه . وتوفي في طريقه إلى مراكش عام 1603/1012 فحمل إليها ودفن بأزاء باب دوسة أبي العباس السبتي .

محمد بن أبي بكر الدلائى ، الفهرست ، ورقة 1/1 و ب .

دروسه التفسيرية العالية في مسجد الزاوية الدلائية بين العشائين فيحضرها العلماء والطلبة على السواء ، وينطلق في املائه وشرحه بما يبهز عقول الحاضرين .

الحديث

يعتبر محمد بن أبي بكر الدلائي من أكبر حفاظ المغرب وأعلمهم بالسنة مع الضبط والاتقان بحيث تصحح نسخ الكتب الستة (8) من فيه ولا سيما الصحيحين (9) وهو يروى من طريق شيخه الامام القصار أيضا صحيح البخاري وبقية الكتب الستة وموطأ الامام مالك، ومسنده الامام أحمد بن حنبل، وشفا القاضي عياض وسائر منصفاف الحديث الشريف . وكانت مجالسه الحديثية عظيمة الشأن يحضرها الى جانب الطلبة العلماء على اختلاف طبقاتهم وحيثياتهم . ويذكر لنا أبو حامد محمد العربي الفاسي أنه حضر أحد هذه المجالس لقراءة البخاري يوم الاثنين سادس رمضان المعظم عام 1043/1634 وقد طال المجلس من قبل صلاة الظهر الى غروب الشمس عدا وقت الفريضة (10) . وناهيك بدرس يستغرق القاؤه نصف يوم ! وأعظم بشيخ يستطيع أن يملأ طوال هذه الساعات في مجلس يضم أمثال محمد العربي الفاسي ! وذلك كان دأب ابن أبي بكر دائما ، يدرس صحيح الامام البخاري ويختمه كل سنة ، ويحتفل بيوم الختم احتفالا كبيرا يحضره العلماء من البلدان البعيدة وينظم الشعراء القصائد وتقدم فيه صنوف الاطعمة (11) .

وقد كان أخوا الشيخ محمد بن أبي بكر ، عبد الكريم ومحمد الخديم الدلائيان محدثين حافظين كذلك . فأكبا بدورهما على تدريس مصطلح الحديث وكتب السنة للطلبة ، وتخرج على يدهما كثير منهم .

التوحيد والفقه والاصول

اشتغل كثير من علماء الدلاء بالتوحيد والفقه وأصوله ، وكانوا يقومون

(8) الكتب الستة هي صحيحا الامام أبي عبد الله البخاري ومسلم القشيري . وسنن محمد ابن حنبل الترمذي ، وأبي داود السجستاني . وأبي عيسى الترمذي ، وأبي عبد الرحمن النسائي .

(9) سليمان الحوات ، البدور الضاوية ورقة 51/ب

(10) نقله عن خط أبي حامد الفاسي ، سليمان الحوات في البدور الضاوية ورقة 103/أ

(11) انظر إحدى القصائد التي قيلت في حتم البخاري بالزاوية الدلائية في ملحق رقم 5

على تدريسها في زاويتهم مع الفنون الأخرى . ومن الكتب التي كانوا يعتنون بها في هذه المادة **جمع الجوامع** لتاج الدين السبكي . و **ورقات امام الحرمين** ، و **المختصر** للشيخ خليل بن اسحاق المالكي . و **مختصر ابن الحاجب** ، و عقائد الامام السنوسي لاسيما **العقيدة الكبرى** . وأشهر فقهاء الزاوية الدلائية وآخرهم هو الطيب بن المسناوي بن محمد بن أبي بكر امام المنقول والمعقول الذي كان يرجع اليه علماء عصره فيما يحدث من المشاكل الفقهية ويستفتونه في النوازل الطارئة . وقد تقدمت الإشارة في الباب الثاني الى الاسئلة التي وجهها اليه الرحالة أبو سالم فقيه الزاوية العياشية وأديبها وهي تتعلق بمسائل أشكل عليه أمرها بعضها في فن الاصول من كتاب جلال الدين المحلي

التصوف

اشتهر عالمان دلائيان بتدريس التصوف وتربية الاذواق وهما الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائى وأخوه عبد الرحمن . ومن كتب هذا الفن التي كانت تدرس في الزاوية الدلائية رسالة **القشيري** ، و **حكم ابن عطاء الله** ، و **أحزاب الساذلي** . وألف محمد الخديم الدلائى كتابا في التصوف كما ياتى في الباب السابع .

المنطق والتوقيت

اهتم الدلائيون بدراسة هاتين المادتين وأتقنها كثير من علمائهم وفي مقدمتهم الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائى الذي أخذهما عن الامام أحمد بن القاضى . ومن الكتب التي كانت تدرس في الزاوية الدلائية **مختصر السنوسي** في المنطق الذي جعل له الحسن اليوسى شرحا كبيرا ، و **روضة الازهار** للجادري في التوقيت .

ب) تفوق الدلائيين في اللغة وقواعدها

لعل أهم فن تفوق فيه الدلائيون وبذوا فيه معاصريهم هو قواعد اللغة العربية التي كان لها الحظ الاوفر في حلقاتهم العلمية . وتفوق الاعاجم على العرب في هذا الميدان ظاهرة قديمة عرفت منذ العصر الاول لجمع اللغة وتدوينها . فأبو عبيدة وأبو عبيد بن سلام . وحماد الراوية وخلف الاحمر وغيرهم من رواة الشعر القدامى كلهم من الموالي وكذلك كان سميويه والكسائي والفراء وابن السكيت وغيرهم من نحاة البصرة والكوفة . و **القاموس المحيط** الذي يرجع اليه اللغويون في العربية حتى يومنا هذا هو من تأليف مجد الدين الفيروزيادى الفارسي ؛ وقد أقبل الاعاجم المسلمون على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن والدين ، وجدوا في تعلمها وتعليمها لغابتها عليهم وتفوقوا في

ذلك على العرب الذين كانوا يعتبرون أن العربية لغتهم الاصلية ولا حاجة الى معاناة دراستها وتدوينها . ومن أشهر نحاة الدلائيين أبو العباس أحمد الحارثي ابن أبي بكر الدلائي الذي كان يداوم على اقراء **كتاب سيبويه** طول عمره ، والشاذلي بن محمد بن أبي بكر الذي كان متفرغا في دروسه لمادتي النحو واللغة ، حتى قيل انه أقرأ **ألفية ابن مالك** مائة مرة ، و **مقامات الحريري** ثلاثين مرة يختمها كلها من أولها الى آخرها ، ومن الكتب التي كانت تدرس بالزاوية الدلالية أيضا **كتابا المغني والتوضيح** لابن هشام ، و **الكامل للمبرد** ، و **الامالي** لابن علي القالي ، و **مختصر العين** لابن بكر الزبيدي ، و **الكافية** ، و **التسهيل** لابن مالك ، و **الكافية** ، و **الشافعية** لابن الحاجب . ويعد محمد الم رابط بن محمد بن أبي بكر الدلائي سيد قومه في هذا الباب فهو صاحب المجالس النحوية العالية التي كان يحضرها أمثال الحسن اليوسي وأحمد بن عبد القادر القادري وغيرهما من أكابر العلماء .

البلاغة والادب

يكاد يكون جميع علماء الدلاء من رجال الادب ، فهم يحسنون الانشاء والترسل ويجيدون قرض الشعر . وكان كثير منهم يلحق لطلبته دروسا أدبية في الكتب المتعارفة آنذاك مثل **المقامات الحريرية** والدواوين الشعرية . كما كان أبو عمر بن محمد بن أبي بكر الدلائي يقوم بتدريس **كتاب تلخيص المفتاح** للخطيب القرظي . وقد ذكر أحمد بن يعقوب الولاي انه كان يدرس مع زملائه الطلبة على الامام الحسن اليوسي في الزاوية الدلالية علوم البيان ، والمنطق ، والفقه ، والاصليين . دون أن يذكر الكتب التي كانوا يدرسونها (12) .

2 - أساتذة الزاوية الدلالية من أبنائها

عرفت الزاوية الدلالية كثيرا من العلماء الذين انتصبوا للتدريس فيها . ونجد عند المؤرخين المعاصرين للزاوية ما ينبىء عن وفرة العلماء فيها أيام ازدهارها ، غير أنه لا يمكننا تحديد عدد المدرسين لعدم افصاح المصادر عن أسماء الكثيرين منهم . وسأورد هنا تراجم مختصرة لبعض من قاموا بالتدريس في الزاوية الدلالية متحدثا أولا عن العلماء الدلائيين بأسطا القول قليلا في ترجمة محمد بن أبي بكر الدلائي ، ثم أتخلص لذكر العلماء الذين وفدوا من فاس ومراكش وغيرهما على الزاوية الدلالية وأقاموا فيها للتدريس وأبسط القول كذلك قليلا في ترجمة أحمد بن القاضي .

(أ) محمد بن أبي بكر الدلائى

أبو عبد الله محمد - بفتح الميم - ابن أبى بكر بن محمد بن سعيد
المجاطى الصنهاجى الدلائى ، واسطة عقد الاسرة وعالمها الكبير الذى جلب لها
الشهرة «حاشية مشايخ المغرب» ، انتهت اليه رئاسة الدين والدنيا واستقل
بسياسة الامور الجلية والرتب العليا . عالم حافظ . دراك متوسع فى علم
التفسير ومعانى الحديث وعلم الكلام حسن المشاركة فيها وفى غيرها ، رصين
العقل شديد الرأى جميل المعاشرة مراعى لحقوق الصحبة ، كريم النفس عالى
الهمة ، فياض العطاء واسع المعروف . لو تفرغ متفرغ لجمع فضائله فى ديوان
مستقل ، لم يجمع منها الا ما يندر ويقل ، ولو صنف من أنواعها أصنافا ، وألف
من أعدادها آلافا ... (13)

ولد محمد بن أبى بكر بالدلاء - تقريبا - عام 967/1559 وحفظ القرآن
الكريم وأتقن رسمه وتجويده فى العقد الاول من عمره ، وقرأ على والده
مبادئ العربية وأحكام الدين ، ثم أخذ عن العلماء الوافدين على الزاوية البكرية
فدرس على أبى العباس أحمد بن القاضى الحساب ، والتوقيت ، وما كان
يعرف آنذاك بالعلوم الادبية الثمانية ، وهى اللغة ، والنحو ، والتصريف ،
والعروض ، والقوافى ، وصناعة الشعر ، وأخبار العرب وأنسابها . ومن أهم
الكتب التى قرأها محمد بن أبى بكر الدلائى على ابن القاضى المغنى لابن هشام ،
والكامل للمبرد ، والامالى لابى على القالى ، ومختصر العين لابى بكر
الزبيدى ، وكتاب القلصادى فى الحساب وروضة الازهار للجادى . وأخذ عن
أبى على الحسن الدرعى . المعروف بالدراوى الفقه والاصلين (14) والمنطق
والبيان . فى كتب جمع الجوامع للسبكي ، وعقائد السنوسى ومختصره فى
المنطق . وتزوج محمد بن أبى بكر الدلائى مبكرا مصهرا الى أسرة الشرفاء
الشبوكيين المعروفين بجمال الخلق والخلق والذين اشتهر منهم علماء وأدباء
حظوا برتب سامية فى بلاط المرينيين ومن بعدهم . وقد ذكر ابن الأحمر (15)
فى نثر الجمان نسب الشبوكيين وترجم لاديب منهم يسمى محمد بن يوسف
ونقل عنه ذلك أحمد المقرئ فى أزهار الرياض فقال : «وأقارب هذا الشريف
لم يزالوا الى الآن رايهم مصاهرة مع ولينا الفقيه المحدث ، الحاج الرحالة البركة

(13) العربى الحسى ، امرأة المعاسن . ص 225 .

(14) المراد بالأصلين . العقائد وأصول الفقه .

(15) أبو الوليد اسماعيل بن الأمير أبى الحجاج يوسف بن الأحمر المتوفى عام 807/1404 رتب
كتابه نثر الجمان على قسمين قسم فبمن لقيه بالمغرب وقسم فبمن لقيه بالاندلس .
وحصص بابا لشعر كتاب بنى مريين .

القنوة الصالح الناصح أبي عبد الله سيدي محمد بن الولي الصالح سيدي أبي بكر بن محمد صاحب الدلاء (16) أبقى الله علاهم ، وأعانهم على ما أولاهم» (17) وقد رحل محمد بن أبي بكر الدلائي للقاء شيوخ التصوف بمختلف أنحاء المغرب والأخذ عنهم ، فاتصل بمحمد بن مبارك بتاستاوت (18) وبعبد الله بن حصون بسلا ، وبعبد الله الملواني بتاغيا (19) وبأبي عبيد محمد الشرقي في أبي الجعد وسلك على يدهم طريق القوم متدرجا في مراقبي الكمال الروحي . ثم توجه إلى الحج عام 1005 فلقى بالقاهرة الشيخ محمد زين العابدين البكري (20) ولازمه طيلة المدة التي قضاها في مصر وأقاز منه كثيرا ، ثم بعد رجوعه من الشرق سافر إلى فاس وأخذ عن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي عهد الشاذلية ، وحضر مجالس الإمام محمد بن قاسم القصار في التفسير والحديث والتصوف . ويطول بنا الكلام لو تعرضنا لذكر كل ما أخذه ابن أبي بكر الدلائي عن القصار ، ونكتفي بالإشارة إلى أنه نال منه اجازة عامة (21) وروى عنه بالسند المتسلسل المتصل بالمؤلفين أحد عشر تفسيراً للقرآن الكريم ، والكتب الستة وسائر مصنفات الحديث وغير ذلك من المؤلفات التي تشتمل عليها فهرست الإمام القصار (22) . ورجع محمد بن أبي بكر في أواخر عام 1012/1604م إلى الدلاء عالما عاملا صالحا مصلحا ، فتصدى للتدريس بالزاوية، إلى جانب أخوته الخمسة وغيرهم من العلماء الوافدين ، وأسهم بدوره في افادة الطلاب الذين تكاثروا عددهم اذذاك بالزاوية حتى ضاقت بهم بيوت المدارس .

وخلف محمد بن أبي بكر أباه بعد موته عام 1021/1612 في القيام بشؤون الزاوية البكرية ، فسار على نهجه في اطعام الطعام ، وإكرام العلماء

(16) تلقى المصححون المنتدبون من قبل لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة لتحقيق كتاب **أزهار الرياض** في الثماني (ج 1 ، ص 294) على كلمة (الدلاء) بقولهم «كذا وردت هذه الكلمة في الأصل ولم نقيم المراد منها ولم نعلم على مرجع آخر لهذا الكلام المنقول عن ابن الأحمر لمعارض به هذا النص» وهكذا نرى نتيجة الأهمال الذي لحق الدلائيين مع ما كان لهم من العلم والجاه فتذكر لهم اشتقاؤهم بالمغرب وأكرهم أخوانهم بالشرق .

(17) أحمد الشرفي ، **أزهار الرياض** ج 1 ص 294 .

(18) تاستاوت قرية جبلية تقع بجربول والماس . في طريق وادي زم وتبعد عنه بنحو 60 كلم .

(19) نالبا المراد هنا قرية بلدان الواقعة في آيت حديدو فوق مبدلت . وليس المراد دغيا المشهورة اليوم التي بها ضريح مولاي بوعزة بين وادي زم وولاس .

(20) الشيخ أبو السرور محمد زين العابدين البكري الصديقي شيخ الطريقة الشاذلية بمصر توفي عام 1007/1598 .

(21) انظر نص الاجازة في ملحق رقم 6 .

(22) نرجد فهرست الإمام القصار مخطوطة في مجموع بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 71 ج

والتعلمين ، وسعى مثله في تهذيب الاخلاق ، وترقية الاذواق مجتهدا في اصلاح الاحوال العامة بالانتصار للمستضعفين من قومه وجيرته ، وانصافهم من الظالمين المتغلبين عليهم من ذوى قرابتهم ، فأصابه من شرور الفتنة وعنت البغي ما جعله يبتعد عن الدلاء مدة مهاجرا الى تاغيا ، ولكنه لم يستسلم وظل يمشد العدل والامن ، مستعملا طرق الترغيب والترهيب تارة ، وملتبجا الى حد السيف أحيانا ، الى أن خضدت شوكة الفئة الباغية وسادت الطمانينة اقليم تادلا والاطلس المتوسط . وتوسع محمد بن أبى بكر كثيرا في تشجيع العلوم بالزاوية البكرية ، وشيد بها مدارس جديدة لايواء الطلبة المتكاثرين ، ونبع عدد غير قليل من أحفاد أبى بكر الدلائى وتخرجوا من زاويتهم علماء وأدباء وشعراء وأقبلوا بدورهم على التدريس فيها ، فقامت في هذه القرية الجبلية النائية ، الآمنة المطمئنة سوق علمية نافقة رابحة ، في الوقت الذى كانت فيه فاس ومراكش وغيرها من المدن العلمية التقليدية تعاني من ضروب المحن وأحوال الفتن ألوانا ، حتى تعطلت صلاة الجمعة في القرويين فضلا عن مجالس العلم . وظلت الزاوية الدلائية في هذه الفترة الحالكة من تاريخ المغرب تقوم بدورها المشرف في احتضان الثقافة العربية ، والمحافظة على التراث العلمى والدينى ، تفسح صدرها للرحب للعلماء والطلاب من مختلف الآفاق وتنفق من سعيا بغير حساب .

وإذا كان محمد بن أبى بكر درس علوما كثيرة ، عقلية ونقلية كما رأينا ، فإنه برز في التفسير والحديث ، حتى كادت مجالسه العلمية تقتصر عليهما ، وكان يحفظ صحيحى البخارى ومسلم وكتب السنن وغيرها ، ويعرف الروايات المختلفة ورجال الاسانيد مع كثير من الضبط والتحورى والصدق وعدم المبالاة فى الجهر بالحق . وهو القائل عن محدثى زمانه : «حفاظ المغرب ثلاثة : حافظ صابغ ثقة ، هو أحمد بن يوسف الفاسى . وحافظ ضابط غير ثقة ، وهو أحمد المقرئ . وحافظ غير ضابط ، ولا ثقة وهو عبد الله بن طاهر الحسنى» (23) وقد تناول الناس هذا الحكم بالتعليق ، واشتغل به المؤرخون والمحدثون فكتبوا فى نايده أو الرد عنه صفحات عدة فى مؤلفاتهم الى عصرنا الحاضر ، دون أن يجرؤ احد منهم على النقص من ابن أبى بكر أو النيل من ثقته وعدالته . ويمتاز محمد

(23) ذكر هذه العبارة جل من ترجم لابن أبى بكر ، كالفادري فى نشر المائى ج 1 ص 165 وقد سبق التعريف بأحمد الفاسى ، وستأتى ترجمة المقرئ ، أما عبد الله بن طاهر الحسنى فهو المحدث الحافظ تلميذ الامام القصار ورفيق الشيخ ابن أبى بكر الدلائى فى الطلب . توفى عام 1044/1634 ودفن فى بلاده مدغرة من أعمال سجلماسة وينسب على صريحه قبة . انرجع فى موضوع مقالة ابن أبى بكر الدلائى فى حفاظ زمانه الى : الكتانى ، فهرس الفهارس ، 1 : 296 - 300

ابن أبي بكر أيضا بفصاحة العبارة وسلاسة الأسلوب والقدرة على الانطلاق في الحديث ، والاستمرار في الاملاء والتقرير ، حتى كان درسه أحيانا يستغرق نصف يوم ، دون أن يشعر المستمعون اليه بسأم أو ملل . ويمكننا أن نعرف قيمة هذه الدروس إذا علمنا أن ممن كان يحضرها ويستفيد منها أحمد المقرئ ، وأبو حامد العربي الفاسي ، وعبد الواحد بن عاشر ، ومحمد البوعناني ، وعلى ابن عبد الواحد الانصاري السلاوي ، ومحمد الم رابط ، وغيرهم من أعلام العلماء وأكابر المؤلفين . ولم يكن تكوين ابن أبي بكر من النوع العادي القاصر على مجرد الرواية والتحمل والحفظ الآلي ، وإنما كان تكويننا حقيقيا أعطاه شخصية علمية مستقلة ، جعلته يكون لنفسه طريقة خاصة في فهم الحديث ، ويرجع إلى أصوله الأصيلة ، سالكا سبيل المحدثين الأولين في انتقاد الرواية ورجالها ، وتعديلهم وتجريحهم والعمل على استخراج الأحكام الفقهية من الكتاب والسنة . وقد أعطى من القدوة على إقامة الأدلة ما كان يصل به إلى الاستنباط من مسالك العلة فتكاملت عنده أدوات الاجتهاد ، التي يجب عليها في تحقيق المناط وتنقيحه الاعتماد ، حتى كان لا يشق له غبار في المباحثة والمناظرة ، ولا يعبر له غبار في المذاكرة والمحاضرة (24) .

وقد رأينا عرضا في البابين السابقين جوانب متعددة من شخصية هذا العالم الصالح ، وعرفنا شيئا عن كرمه ومواظبته على تدريس صحيح البخاري في مسجد الدلاء واحتفاله بالمولد النبوي الشريف ، وسنقف على جوانب أخرى من شخصيته في الأبواب التالية ، غير أنه ينبغي ألا يفوتنا هنا أن نعرض بإيجاز لما كان عليه من رقة الطبع ودقة الاحساس وعمق الشعور . ومن بليغ تأثره بالمواعظ ما حكاه عنه تلميذه أحمد بن يعقوب الولايلي بقوله : « وحضرته يوما تقرأ بين يديه همزية اليوحىيرى - شكر الله له سعيه - سبيحة يوم المولد النبوي أو سابعه . وقد بلغ من ينشدها إلى حيث ذكر الصالحين وأنه يحاول أن يصل اليهم وقد فاقوه مع كبر سنه (25) فجعل يبكي رحمه الله بكاء شديدا حتى بكى لبكائه من حدوه ، ثم غلبه حاله فقام يذهب

(24) سليمان الحرات ، البدور الضاوية ، ورقة 30 ب .

(25) الله يشير إلى آيات الهمزية التالية :

كنت في نومة الشباب فما استيقظت إلا ولمتى شعثاء
وتعديت أفتلى أثر القسوم فطالت مسافة واقفـاء
نورا السائرين وهو أمامي سبل وعرة وأرض عراء

حافيا ، وما شاء الناس الى منزله . . . (26) - وقد ازداد طبع محمد بن أبي بكر الدلائى رقة فى سنيه الاخيرة وأخذ يكثر من الانصات الى السماع (27) ويتأثر به غاية التأثير فبلغ ذلك شيخه أحمد بن القاضى فكتب اليه :

عهدتك ما تصبو وفيك شبيهة فمالك بعد الشيب أصبحت صابيا

فأجابه محمد بن أبي بكر بقوله :

نعم لاج برقى الحسن فاخطف الحشا قلييته من بعد ما كنت آبيا

ولما دنا أجل محمد بن أبي بكر الدلائى جمع أولاده بين يديه وكان يستشعر من بعضهم الاستشفاف الى الامارة والجاه ، وأوصاهم بعدم الانسياق مع الأهواء ، والجري وراء الاطماع . وقال لهم : ان الله عز وجل أخير عن قول طالوت لقومه : «ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده» (28) وأنا أقول ولو من اغترف غرفة بيده . ولم يؤلف محمد بن أبي بكر الدلائى على ما كان عليه من علم وتحقيق الا كتابا جمع فيه أربعين حديثا نبويا ، رغبة فى نيل الثواب الوارد فى ذلك ، ومسائل مختلفة من أصول الفقه وفروعه بعث بها الى تلميذه أحمد المقرئ بالمشرق ، شأنه فى ذلك شأن شيخه الامام القصار الذى لم يترك بعد وفاته الا تقايد فى ورقات بيعت بوزنها ذهباً على ما قيل .

وتوفى محمد بن أبي بكر يوم الاربعاء 11 رجب عام 1046/10 دجنبر 1636 عن سن تناهز الثمانين ، ودفن ضحى الغد الخميس قرب روضة والده بالدلاء وشيد على ضريحه الملك السعدى محمد الشيخ بن زيدان (1045 - 1063/1030 - 1053) قبة حسنة بعث لبنائها من مراكش وصيفه الامين مبارك السوسى مزودا بالمال والمواد اللازمة ومعه عدد من العمال والصناع «فبنيت على أحسن ما ينبغي من التنميق والتبهيج والتزويق» (29) وكتبت بأعلى مشهد الدربوز أبيات من نظم الاديب محمد بن سعيد السوسى المرغنى . وهى :

علا ضريح التقى والمجد والكرم هذا الولى الوفى للعهد والذمم
علا المحب لاهل الله قاطبة محمد بن أبي بكر الرضى العلم

1061 أحمد بن يعقوب الولاى ، مباحث الانوار ، ورقة 1/50
1062 المراد بالسماع الاشعار والموشحات والازجال التى تنشد ملحنة على حسب الطبوع الموسيقية .
1063 سورة البقرة ، الآية 247
1064 سليمان الجوات ، الدور الضاوية ، ورقة 101/ب .

فه سار في رجب لله عام مشوا (30) به الى جنة الرضوان والنعم
من أجل ذا قام في تشييد روضته محمد الشيخ مولى العرب والعجم
وقد تهدم سقف هذه القبة ، ولم يبق منها اليوم الا جدرانها العارية من الجص ،
بدو لبناتها الحجر أفقية في الجدران ، وقائمة أو منحرفة في أقواس الابواب
الوجود في جهاتها الأربع . وبوسطها ساريتان مربعتان ، بينما يوجد القبر
محدودا كسائر القبور العادية مغطى ببقايا القرميد الأخضر الذي كان يزين أعلى
القبة . وقد قيلت في مدح محمد بن أبي بكر الدلائي قصائد شعرية وقطع
للرية لو جمعت لكونت ديوانا أدبيا ضخما (31) .

ب) بقية أساندة الزاوية الدلائية من أبنائها :

عبد الرحمن بن أبي بكر الدلائي

هو أحد العلماء التابعين في العهد الاول للزاوية الدلائية وفيها أخذ العلم
عن أبي علي الحسن بن أحمد الدرعي الشهير بالدرأوي وأبي العباس أحمد بن
محمد بن القاضي المكشاشي وذلك قبل أن يرتحل الى فاس ليأخذ عن الامام
محمد بن قاسم القصار ويدرس عليه التفسير والحديث وغيرهما وينال منه
حازة عامة . وقد رجع عبد الرحمن الى الدلاء عالما كبيرا فتصدر للتدريس
واثيل عليه الطلبة من أبناء الزاوية وغيرها . وكان يدرس لهم التفسير ،
الحديث وعلم الكلام والفقه ، وأصوله والنحو ، والتصوف . ولا نعرف الكتب
التي كان يعتمد عليها عبد الرحمن الدلائي في هذه المواد ، غير أنها في الغالب
لا تخرج عن الكتب المتداولة في الزاوية مما أشرنا اليه في الفصل السابق .
وكان عبد الرحمن ناسكا سائكا سبيل والده في الزهد والاعراض عن الدنيا ،
واقطع في آخر حياته لعبادة ربه في خلوة خارج الزاوية ، وبها توفي عام

(30) عند حروب كتلة (مشو) بحساب الجمل 1046 . اذ الشين بألف . والميم بأربعين والراء
سنة . والتواريخ الشعرية تبني غالبا على هذا الحساب الابجدي السجل

(31) ترجم محمد بن أبي بكر تشييد أبو حامد الفاسي في مرآة المعاصرين ص 225 - 227 ومحمد
الافراسي في الصفوة ص 7 - 68 ومحمد القادري في نشر الثاني ، ج 1 ، ص 170
وما بعدها وسليمان الحوات في البدور الضاوية بأسباب من ورقة 25/ب الى ورقة 101/ب
ومحمد بن أحمد الفاسي . شرح درة التيجان ، مخطوطة خ . ع . رقم 1432 ك ص 7-13
والكشاني في فهرس الفهارس ، ص 204 وما بعدها . وأخبار محمد بن أبي بكر الدلائي
مفترقة في أكثر الكتب التي ألقت في القرون الثلاثة الأخيرة .

- انظر قصيدة مدح بها العربي الفاسي شيخه محمد بن أبي بكر في ملحق رقم 9

1611/1026م وهو الوحيد بين اخوته الذي توفي قبل والده وبنيته عليه «قبة حفيلة مستطيلة» ما تزال جدرانها قائمة حتى اليوم (32) .

محمد الم رابط الدلائى

محمد الم رابط أو الصغير ابن محمد بن أبى بكر الدلائى هو أحد علماء هذه الاسرة الذين طارت شهرتهم بالمغرب والمشرق ، وتخطف الناس مؤلفاته بأذلين فيها الاثمان الباهظة . وسبب شهرته بالمرباط تقشفه فى اللبس منذ صباه ، وزعمه فى الدنيا واعراضه عنها . أخذ العلم بالزاوية الدلائية فقط عن أبيه وأعمامه وأخوته ، وغيرهم من العلماء الوافدين على الزاوية كأبى حامد محمد العربى الفاسى ، وأبى العباس أحمد بن عمران وغيرهما تولى الم رابط الإمامة والخطبة والتدريس فى المسجد الاعظم بالزاوية البكرية ، وكانت مجالسه النحوية العالية ملتقى نجباء الطلاب أمثال الحسن اليوسى وأضرابه . وقد اشتغل محمد الم رابط كذلك بالتأليف فى مختلف الفنون ، وبخاصة النحو والصرف والاصول ، كما سنرى فى الباب الاخير عند كلامنا على مؤلفات الدلائيين . أما أدب محمد الم رابط فرفيع وغزير ، وجله يتسم بالطابع الدينى ، ويختص بمدح الرسول الكريم . ومن ذلك قصيدته النونية التى تناهز 200 بيتا ، ومطلعها :

حي المعاهد طافح الاشجان وانثر هناك لآلىء الاجفان

وخرج الم رابط مع قومه من الدلاء الى فاس بعد تخريب زاريتهم ، وتابع رسالته العلمية والدينية بحاضرة المولى ادريس مقبلا على التدريس فى مساجدها متوليا امر الخطابة بمدرستها المتوكلية (33) . ثم توجه الى الحج وأقام مدة فى مصر أحاطه أثناءها علماء القاهرة بمظاهر الاعزاز والاكرام . ومدحه أدباؤهما بقصائده تلمح عن مدى إعجابهم بهذا العالم المغربى الكبير الذى سبق أن عرفوه عن طريق مؤلفاته القيمة . من ذلك قصيدة للإمام أبى السرور الصيدانى ، مطلعها :

سبس الهدى من أمه نال الارب فرع الكرام ذوى المكارم والحسب (34)

- (32) ذكره هـ. فى مقالته بمجلة هيسبريس (عام 1944 . ص 50) أن حادثة القبة المستطيلة هى لفظة الزاوية محمد بن عبد الرحمن ، وذلك بناء على رواية محلية غير صحيحة . انظر ترجمة عبد الرحمن الدلائى فى : سليمان الحوات البدور الضاوية ، ورقة 24/ وما بعدها .
- (33) المدرسة المتوكلية هى المدرسة البوعنانية الشهيرة بحى الطالعة بفاس .
- (34) انظر القصائد التى مدح بها أدباء مصر الم رابط الدلائى فى : سليمان الحوات ، البدور الضاوية ، ورقة 34/ب وما بعدها .

توفي الم رابط الدلائي بفاس عام 1089/1678 (35).

أحمد الحارثي بن أبي بكر الدلائي

هو أحد نحات الزاوية ولغوييها . قضى حياة الطلب كلها في الدلاء آخذاً عن علماء قومه ، وعن الوافدين على زاويتهم مثل أحمد ابن القاضي ، وأحمد بن عمران الفاسي ، وعلى بن عبد الواحد الانصاري السلوي ، وأبي حامد العربي الفاسي ، وقد أجازوه هذا الأخير اجازة عامة (36) «وكانت له اليد الطولي في التاريخ ، والحساب ، واللغة ، والبيان ، والادب والاصول ، والفقه والحديث» (37) ، غير أن النحو واللغة غلبا عليه ، فكان يقرئ كتاب سبويه طول عمره كما رأيناه في الفصل السابق وألف في الاصول شرحاً على مختصر ابن الحاجب ، وترك تقييد كثيرة في التفسير والحديث ، وتوفي بالدلاء عام 1051/1641 .

المسناوي بن محمد بن أبي بكر الدلائي

هو أبو عبد الله محمد المسناوي «الفقيه المحدث الاستاذ الكبير» ، الوارد من حياض المجد منهل يروي ويمير» (38) نشأ في الدلاء ثم انتقل الى فاس قبل أن يبلغ الحلم ، وأكسب فيها على تحصيل العلوم بجد واجتهاد آخذاً عن الامام محمد القصار ، وعبد الواحد بن عاشر الانصاري وغيرهما . ولم يرجع الى الزاوية الدلائية الا وهو عالم بارع في الفقه ، والاصولين ، والتفسير ، والحديث ، وعلم الكلام . والقراءات ، واللغة ، والنحو ، والادب ، فأخذ يلقي هذه العلوم لطلاب الزاوية ، وأقبل عليه طلاب العلم اقبالا كبيرا الى أن قتل غدرا خارج الزاوية عام 1059/1649 . وقيل في مرثية كثيرة ، منها مرثية ولده الطيب التي مطلعها :

غوائل هذا الدهر مرهوبة الفتك فان سر في حين فأكره مبك (39)

(35) ترجم محمد الم رابط الدلائي محمد القادري في نشر الثاني ، 2 : 33 . وسليمان الحوات في البدور الضاوية . من ورقة 133 الى ورقة 164 . ومحمد بن جعفر الكتاني . سلوة الانفاس ، (4 : 90) وما بعدها .

(36) انظر نص الاجازة في سليمان الحوات . البدور الضاوية . ورقة 102/ب

(37) نفس المصدر في نفس الورقة .

(38) محمد بن الطيب القادري . نشر الثاني ، ص . 190

(39) انظر ترجمة المسناوي ومرثيته في : سليمان الحوات البدور الضاوية من ورقة 123/ب الى ورقة 125/ب ومحمد القادري . نشر الثاني ، ص . 190 .

أبو عمر بن محمد بن أبي بكر الدلائى

علامة أديب ، تم تكوينه العلمى بالزاوية الدلائية على يد علماء قومه وغيرهم ، كأحمد بن عمران وأبى حامد العربى الفاسى . كان أبو عمر عالما مشاركاً فى الحديث ، والفقه ، والاصلين ، والنحو ، والبلاغة ، والادب . ودرس كل هذه الفنون بزاويتهم ، غير أنه كثيراً ما كان يدرس لتلاميذه كتب تلخيص المفتاح ، و جمع الجوامع ، و ألفية ابن مالك ، كما رأينا فى الفصل السابق . وله آثار ثرية وشعرية كثيرة تدل على رسوخ قدمه فى ميدان الادب . توفي أبو عمر بالزاوية الدلائية عام 1658/1069 (40)

أحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائى

عالم أديب ، درس فى الزاوية الدلائية على علمائها المتوافرين دون أن يبرحها ، ثم اشتغل بالتدريس فيها . كان مؤسس الحال ، عظيم الجاه ، يتقلب فى رغد العيش وينعم بالحياة المترفة الى جانب أخيه السلطان محمد الحاج . متخذاً بطانته من أدباء الزاوية وشعرائها ، الى أن زارهم الشيخ محمد بن عبد الله السوسى (41) عام 1071 هـ / 1660 فى طريقه الى حج بيت الله الحرام ، فأخذ عنه أحمد الدلائى وصلاح حاله ، ورق قلبه ، وأعرض عن الدنيا وزخرفها الى أن مات بالدلاء عام 1665/1075 (42)

الطيب بن المسناوى الدلائى

« كان اماماً كبيراً ، وأديباً ماهراً شهيراً ، وعالماً عاملاً ، وفاضلاً كاملاً » (43) درس فى الدلاء أولاً على أبيه وأعمامه وغيرهم من العلماء المقيمين بالزاوية

(40) توجد ترجمة أبى عمر وبعض رسائله وفتاياه فى : سلمان الحرات البدور الضاوية ، من ورقة 1/128 الى نهاية ورقة 130/ب .

(41) الشيخ محمد بن عبد الله السوسى استقر أمر ولايته بمراكش ، وولى به الى السعيدى فأوقفوه عن نشاطه الصوفى ، ثم توجه الى البقاع المقدسة لمجدورة فيها ، وولى طريقه بالزاوية الدلائية فأقام عند سلطانها محمد الحاج عشرة أيام . وفيه ألت أحمد بن يعقوب الولاى كتابه مباحث الانوار فى اخبار بعض الاخيار . وتوفى الشيخ محمد السوسى بمكة عام 1668/1079

(42) ترجم لاجل الدلائى محمد بن يعقوب الولاى فى مباحث الانوار ، ورقة 33/ب ، وسليمان

الحرات فى البدور الضاوية ، ورقة 1/165

(43) محمد القادري ، نشر المثانى ، ج 1 ، ص 264 .

كالشيخ حمدون الإبار ، ومحمد بن سودة ، ومحمد العربي الفاسي وغيرهم . ثم شد الرحلة الى فاس وهي اذ ذاك خاضعة لنفوذ الدلائيين ، فأقام فيها معززا مكرما وأخذ عن علمائها ، خصوصا منهم الشيخ عبد القادر الفاسي . وطال مقام الطيب الدلائي بفاس الى أن تمكن من المعارف تمكننا متينا فرجع الى الزاوية الدلائية ، وتصدر للتدريس والفتوى ، وازدحم الطلبة على حلقاته العلمية . ولم تقتصر براعته على الناحية الفقهية الدينية وإنما كان الى ذلك أديبا ماهرا جيد الانتباه ، طویل النفس في الشعر تصل إحدى قصائده الى 175 بيتا مع مائة لغوية وسمو تفكير ورقة أسلوب . توفي الطيب بالدلاء عام 1077/1666 . ورناء أبو العباس أحمد بن عبد القادر التاستاوتي بقصيدة حزينة مطلعها :

اليوم آن لدمعي أن يههما ولميجتي بالوجد أن تنقطعا (44)

الشرقي بن أبي بكر الدلائي

هو أحد أعلام الدلائيين المشاركين في مختلف الفنون ، الجامعين بين العلم والدين والادب . كانت دراسته كلها بالزاوية الدلائية على علماء قومه وغيرهم . وأجازه أبو حامد محمد العربي الفاسي اجازة عامة . واختص من بين اساتذة الزاوية كما رأينا في الفصل السابق بتدريس علم القراءات والتجويد . وهو يتقن الى جانب ذلك اللغة ، والنحو ، والبلاغة ، والادب ، والتاريخ ، والنطق ، والتفسير ، وألف في السيرة والبلاغة كما سيأتي في الباب الاخير ، ونترك آثارا أدبية رفيعة . وكانت وفاته باندلاء عام 1079/1668 (45)

الشاذلي بن محمد بن أبي بكر الدلائي

كان أعجوبة الزمان ، في الحفظ والاتقان ، يجيد الشعر ، ويبرخ في النثر (46) قرأ في الزاوية الدلائية وحدها على علمائها من أهله وغيرهم ، كالإمام أبي حامد الفاسي ، والشيخ أبي العباس بن عمران . ونبغ في اللغة وقواعدها وآدابها ، وكرس حياته لتدريس ألفية ابن مالك ، ومقامات الحريري حتى قيل أنه أقرأ الاولى مائة مرة والثانية ثلاثين مرة كما رأينا . وقد خرج

(44) انظر ترجمة الطيب الدلائي وبعض آثاره النثرية والشعرية وما قيل فيه من رنائه في سليمان الحوات البدور الضاوية من ورقة 107/ب الى ورقة 181/ا .
(45) رحمه الشرقي محمد القادري في نشر المثاني . ص 127 . وسليمان الحوات في البدور الضاوية . ورقة 104/ا . ومحمد الكتاني في سلوة الانفاس ج 1 . ص 94 وما بعدها .
(46) محمد القادري . نشر المثاني . ج 4 . ص 155 .

الشاذلي مع قومه بعد تخريب الزاوية الدلائية الى فاس ودرس بها فتخرج على يده علماء كثيرون ، منهم الاخوان القادريان عبد السلام والعربي ، وادريس المنجرة . وخلف الشاذلي أخاه محمد الثرابط في الخطابة بالمدرسة البوعنانية ، وفيها كان يلقي أكثر دروسه متصدرا للافتاء وابداء النظر في المشاكل الفقهية والنوازل العويصة ، ثم تخلى عن هذه الخطة تورعا منه ، ومات بفاس عام 1691/1103 (47) .

محمد بن الشاذلي

أديب بليغ وعالم مشارك ، تكون على يد علماء الزاوية الدلائية ثم درس فيها أيام عمه السلطان محمد الحاج . وكان ميله الكبير الى علوم البلاغة والادب ، وله قلم بارع في الترسل ورقة متناهية في الشعر . ولما أخرج مع قومه من الزاوية الدلائية بقي يحزن اليها طول عمره ، ويتنقل في البلدان يكتب الى والده وأخوته مراسلات رفيعة طويلة يستبليها دائما بقصائد رصينة حزينة . ومما جاء في مطلع احدي رسائله :

أحمل أنفاس الصبا عبقث نشرا تحية مشتاق تهيجه الذكرى
مضى متفت بالبيان تملئ شجونها مطوقة أذكت بأحشائه جمرا ..

وكانت وفاة محمد الشاذلي عام 1695/1107 (48) .

3 - أساتذة الزاوية الدلائية من غير أبنائها :

(أ) أحمد بن القاضي

أبو العباس أحمد بن محمد ابن القاضي المكناسي نسبة الى مكناسة القبيلة البربرية الزناتية ، لا الى مدينة مكناس . وجدده الاعلى موسى بن أبي العافية الذي حارب الادارسة في مستهل القرن الرابع للهجرة وأمعن في قتلهم

(47) ترجم للشاذلي : محمد القادري في نشر الثاني ، 2 : 155 وما بعدها وسليمان الحوات في البدور الضاوية ، ورقة 131 . ومحمد بن جعفر الثاني في سلوة الانفاس ، 2 : 196 .
(48) أنظر ترجمة محمد بن الشاذلي في : محمد القادري ، نشر الثاني ، 2 : 160 . وسليمان الحوات في البدور الضاوية ورقة 230 . ومحمد بن جعفر الثاني ، سلوة الانفاس ، 2 : 89 .

وتشريدهم حتى كاد يفنيهم (49) . ولد أحمد ابن القاضي في فاس عام 1553/960 ، وتخرج على يد أكابر علمائها مثل القصار ، والسراج ، والمنجور ، ورحل إلى الشرق فحج وجاور في الحرمين الشريفين مدة ، وأخذ في مصر عن الإمامين سالم السنهوري (50) وبدر الدين القرافي (51) وغيرهما . «وكان حافظا ، ضابطا ، محققا ، مؤرخا ، اخباريا ثقة ، سيال القريحة بالشعر ، حسن العبارة ، لطيف الإشارة ، مستجمعا العلوم والآداب ، ماهرا في معرفة علوم الأوائل . مشارك في غير ذلك للأئمة الأماثل وانفرد بعلم الحساب والفرائض في وقته شرقا وغربا» (52) واتصل أحمد بن القاضي بالسلطان أحمد المنصور الذهبي ، وخدمه ونال عنده الحظوة الكاملة . «ثم ثاب له رأي في معاودة البلاد المشرقية للتطوع بحجة أخرى واستزادة العلم والتحصيل . وكانت له نية بالغة في نشر مآثر مولانا الإمام أمير المؤمنين أيده الله في الإفاق ، فجمع من مفاخر الدولة وفتوحها ومآثرها وأمداحها ما أمل بثه في الإقطار ونشره في المشارق لو ساعدته الأقدار ، واستأذن أمير المؤمنين أيده الله فأذن له ووصله ، وتوخي الطريق على البحر ، فركب السفن من ثغر تيطاون فاعترضتهم أساطيل العدو في بحر الزقاق فأسرتهم ، وحصل في ورطة عظيمة لولا ما تداركه من ألطف الله تعالى وشمله من عناية مولانا أمير المؤمنين ..» (53)

وهكذا نرى ابن القاضي يقوم في رحلته الثانية هذه بمهمة علمية سياسية وطنية في آن واحد ، فيجمع الوثائق الضرورية ويسافر إلى الشرق ليذيع محاسن الخليفة المنصور ، وينشر مآثر الدولة السعدية فيما قد يعقده من مجالس للتدريس ، أو يصنفه من الكتب ، لولا طالع النحس الذي أوقعه في

(49) نسب ابن القاضي نفسه في كتابه جذوة الأنفاس إلى موسى بن أبي العافية ، واستنكر عمله ضد الإشراف الإدارية . وقد استثنى صاحب سلوة الأنفاس (3 : 133) في صحبة نسبة ابن القاضي إلى ابن أبي العافية . لما ذكره بعض المؤرخين من أن يوسف بن تاشفين المشنوق استأصل شاة ذرية ابن أبي العافية . ويظهر أن ذلك يعني قتل عدد كبير من آل ابن العافية لا استئصالهم . إذ يصعب القضاء على جميع النسل بعد نحو قرن ونصف خصوصا وإن آل أبي العافية كانت لهم معالات واسعة للانتشار في المغربين الأقصى والأوسط . زائدة على بلاد الأندلس التي كانت تربطهم بعرضها روابط متينة .

(50) أبو النجاشي سالم بن محمد السنهوري . شيخ المالكية بمصر في وقته . له حاشية على مختصر الشيخ خليل . توفي عام 1010 هـ 1607 م .

(51) بدر الدين محمد بن يحيى المعروف بالقرافي ، قاضي المالكية بمصر . شارح مختصر الشيخ خليل . وقاموس الفيروزي . وموظا الإمام مالك . ومؤلف ذيل ديباج ابن فرحون في طبقات المالكية . توفي عام 1000 هـ 1600 م .

(52) محمد جعفر الكتاني . سلوة الأنفاس 3 : 134 .

(53) عبد العزيز النضال . متأهل الصفا . ص 308 .

أيدى القرائصة الافرنج . وظل ابن القاضي في الاسر أحد عشر شهرا (54) عانى خلالها شدة عظيمة ، وبلاء كثيرا ، وصور لنا ما كان يعامل به النصارى أسراهم المسلمين من التجويع والاعراء والضرب والتكليف بما لا يطاق ، مدفوعين بالتعصب الدينى الاعمى وبالرغبة فى الحصول على الفداء والشراء . وقد كتب ابن القاضي أيام محنته مرارا الى الخليفة أحمد المنصور يشكو له بسوء حاله ويرجو منه العمل على تخليصه من ورطته . ومما جاء فى إحدى قصائده الاستعطافية قوله :

وكن يا امام العدل فى عون حائر أسير كسمير ذى جناح مذل
لقد مزقت أيدى الزمان وريده ودارت عليه الدائرات كجلجل
وأخى عليه الدهر من كل وجهة وداست عليه النائبات بأرجل

ولما استرد أحمد بن القاضي حريته بفضل أحمد المنصور الذهبى ألف فيه كتاب **المنتقى المقصور على محاسن الخليفة المنصور** ، كما أهدى إليه كل الكتب التى ألفها بعد ذلك ، ومدحه بقصائد عديدة . وتولى ابن القاضي خطة القضاء فى مدينة سلا ثم عزل فرجع الى مسقط رأسه فاس واشتغل بالتدريس .

وقد أقام ابن القاضي فى الزاوية الدلائية مدة غير قصيرة يدرس العلم ويفيد الطلبة . وأخذ عنه فى هذه الفترة محمد بن أبى بكر الدلائى وأخوته علوم الادب والحساب والتوقيت وغيرها ، وكان لابن القاضي طريقة مفيدة فى التدريس ، يقتصر على المهم من المسائل ، ولا يتوغل فى التفصيلات المتشعبة العقيمة ، معتنيا باللب والجوهر ، خصوصا فى الفقه الذى تكثر فيه عادة الأقوال والاحتمالات . فكان يقرئ **مختصر الشيخ خليل** ويختمه كل أربعة أشهر ، بينما لا ينتهى منه غيره الا فى سنوات . واشتغل فى آخر عمره بتدريس **صحيح البخارى** فى جامع الابارين بفاس ، فكان الذى يسرد الحديث بين يديه هو الشيخ عبد الواحد بن عاشر صاحب **المرشد المعين** ، ويحضر مجالسه الحديثية الحافظ أحمد بن يوسف الفاسى ، والامام أحمد المقرئ صاحب **نفع الطيب** وغيرهما من أكابر العلماء .

تأليف ابن القاضي :

ألف أحمد بن القاضي كثيرا من الكتب فى الفقه ، والقرائض ، والحساب والهندسة ، والمنطق ، والتاريخ . ويذكر أصحاب التراجم أن المادة التى كان يتفوق فيها ابن القاضي على معاصريه هى الرياضيات ، غير أن كتبه فى هذا

الغن قد ضاعت للأسف الشديد أو لم يعثر أحد عليها بعد فيما أعلم (55) .
وبالعكس من ذلك بقيت لنا جل الكتب التي ألفها في التاريخ والتراجم . ولعل
أهمها هو **جدوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس** وبدأه بمقدمة تحدث
فيها عن موقع المغرب في الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة التي رسمها حكماء
اليونان القدماء . وذكر مزايا هذا الاقليم الاوسط بقوله : « وهو أعمرها ، وفيه
أرض بابل وجزيرة العرب ، وفيه بغداد فلاعتداله اعتدله أبدان أهله ، فسلموا
من شقرة الروم وسواد الزنج وغلظ الترك وجفاء الجبال . وكما اعتدلوا في
الحلقة اعتدلوا في الفطنة والذكاء والعلم » (56) . وتنبيه للوحدة الجغرافية لبلاد
افريقية الشمالية ، فقال ان أول بلاد المغرب من ناحية الشرق جبال برقة التي
هي آخر أعمال مصر وأول أعمال القيروان مستديلا على ذلك بأن جبل درن
(الاطلس الكبير) يمتد عبر الجزائر وتونس ولا ينتهي الا في برقة ثم انتقل
للكلام عن حكم أرض المغرب هل فتحت صلحا أو عنوة . واستعرض أقوال
الفقهاء مرجحا انها « مختلطة هرب بعضهم عن بعض فمن بقي بيده شيء كان
له » (57) وبعد ذلك تكلم عن قدوم ادريس الاول الى المغرب ومبايعة قبائل
أوربة له ، وازتياد ادريس الثاني فحضر سايس الذي أسس فيه مدينة فاس
يوم الخميس فاتح ربيع الاول عام 192 ، بدأ بعدوة الاندلس وأدارها بالسيور
ثم بعد سنة بنى عدوة القرويين . وقد تتبع ابن القاضي مراحل بناء المدينة بما
فيها من المساجد والدور والاسواق والاسوار والابواب ، وتعرض للتغييرات
الطارئة على فاس عبر القرون والدول . ثم سار على النهج الذي اختطه لنفسه
في المقدمة عندما قال : « أذكر على ترتيب حروف المعجم ملوكها (فاس) وعلماءها
وأعلامها . وما نيم من نظم وتآليف ، ومن أخذوا عنه أو أخذ عنهم ، سواء كان
من الغرباء القادمين عليها أو من أهلها . الا أننى ان شاء الله تعالى أفرد في كل
حرف ترجمة للغرباء الوافدين عليها » (58) .

وكتاب **المنتقى المقصور على محاسن الخليفة المنصور** هو كاسمه خاص
بشعيد الملك السعدي أحمد المنصور الذهبي ، ألفه ابن القاضي بعد فكاهه من

155 بعد كتاب هذه الترجمة وقفت في الخزانة الملكية بالرباط على نسخة من كتاب **الامير**
في صناعة التكسير في الهندسة لأحمد بن القاضي .

156 النسخة الخطية من **جدوة الاقتباس** خزانة الرباط ، د 2362 ، ورقة 1/3

157 نفس المصدر . ورقة 3/ب وتجدر الإشارة الى أن أكثر ما ورد في مقدمة **الجدوة** وبعض
فصولها من الاحبار العامة مشغول من **القرطاس** لابن أبي زرع ، أو من **زهرة الآس** لابي
الحسن الجزائى أو من غيرهما . ونكمن أهمية كتاب ابن القاضي فيما اشتمل عليه من
تراجم اعلام فاس والوافدين عليها .
ابن القاضي ، **الجدوة** ، ورقة 1/2

الإسراء اعترافا بجميل هذا الخليفة الذي بذل لتخليصه من أيدي الروم فدية غالية . ورتبه على مقدمة وستة وعشرين بابا وخاتمة ، تكلم في المقدمة على نسب المنصور وحقيقة الخلافة وما يجب للسلطان على الرعية ، وتحدث في الباب الأول عن حسن خلق المنصور وعقله وكمال خلقه ، وفي الثاني عن محافظته على التكاليف الشرعية ، وفي الثالث عن عدله في رعيته وقيامه بالشرعية ، وفي الرابع عن تعظيمه للمولد النبوي وهكذا الى آخر الابواب ، وذكر في الخاتمة « نكتا غريبة ، وطرفا عجيبة ، يصغى اليها المنتهى والشادي ، والمالك في ربيع الادب والبادي » (59) ويظهر ابن القاضي في خلال الكتاب استادا مرحا منطلقا على سجيته يمزج التاريخ بالادب ، ويستطرد القصة والخبر ، وينشد ما يستحضره من الشعر الذي يناسب الموضوع ، ويعتذر في الباب الرابع عن عدم ايراد المولدات الكثيرة التي كانت تنشد بين يدي الخليفة المنصور لضياعها منه في المحنة التي أصابته عندما أسره الروم في البحر . ونجده في المقدمة يشير انتباه القارئ الى طريقته هذه بقوله : « وقد اذكر بعض حكايات وقصائد ومقطعات أنشدتها وملح غريبة استفدتها ، ليكون ذلك كالمعين على مطالعة الكتاب ، لان النظر في فن واحد قد ترغب عنه النفوس ، بخلاف ما اذا نطق بغيره فقد يسمل العيوس .

لا يصلح النفس اذا كانت مدبرة الا التنقل من حال الى حال (60)

أما كتاب **لقط الفرائد من حقائق الفوائد** فجعله ابن القاضي ذيلا لوفيات ابن الخطيب القسنطيني المعروف بابن قنفذ (61) وأرخ فيه لثلاثة قرون ،

أحمد بن القاضي المنتقى المنصور ، ورقة 2

المنتقى المنصور ، ورقة 1 . هذا وقد وقفت على ثلاث نسخ قديمة مبتورة عن كتاب **المنتقى المنصور** . أولاها مصورة عن مخطوط الخزانة الزيدانية بمكناس ومسجلة في الخزانة العامة بالرباط تحت عدد 1057 . والثانية مخطوطة بالخزانة العامة أيضا تحت عدد 769 . والثالثة مخطوطة في الخزانة الملكية بالرباط تحت عدد 1153 . وبين هذه النسخ بعض اختلاف في عناوين الابواب وترتيبها على أن أقربها الى الكمال النسخة الأولى المنصورة . وبعد المقارنة وبمقابل ما أمكن تكميله من نقص في بعضها بما تنفرد به النسخ الأخرى تبين أن الابواب المفقودة من الكتاب هي التاسع عشر ، والعشرون ، والواحد والعشرون .

في قيد الخطيب القسنطيني (741 - 40/810 - 1341 - 7 - 1408) هو القاضي المحدث أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب بن قنفذ القسنطيني ، تلميذ الخطيب ابن مرزوق صاحب خلافا الشيخ أحمد بن عاشر السلاري وألف تأليف كثيرة منها كتاب **الوفيات المسر** . والنسخ يذكر وفيات المشتهرة الأولى من المائة التاسعة . وهذا الكتاب هو الذي قبله ابن القاضي بلقط **الفرائد** .

يبتدىء من أول المائة الثامنة إلى آخر المائة العاشرة . وقد أهداه كذلك إلى ولي
نعمته الخليفة المتصور الذهبي . ولم يقتصر ابن القاضي في لقط الفرائد على
ذكر وفیات علماء الإسلام في الشرق والغرب ، بل اهتم إلى جانب ذلك بإعطاء
نظرة موجزة عن يترجم لهم . فيذكر للبعض ما تولاه من المناصب خصوصا
القضاة ويشير إلى ما للبعض الآخر من إنتاج علمي أو أدبي . ويمزج ذلك بذكر
الأحداث البارزة في السنوات التي يؤرخها سواء كانت تتعلق بالسياسة
والحروب ، أو بالتشييد والعمران . فعندما تعرض مثلا للسنة الخامسة من
المائة الثامنة (705) ذكر استيلاء أهل الاندلس على سبنة قبل أن يذكر وفاة
شرف الدين الدمياطي وغيره . وكذلك فعل في سنة 721 أتى بطائفة من أسماء
العلماء الذين توفوا فيها ثم قال : «وبنى أبو الحسن (62) مدرسة الصهرريج ،
وبنى حولها سقاية ... ودارا لسكنى شيوخ جامع الاندلس ، وجلب
إليه إلى ذلك كله من عين خارج باب الحديد ورتب الفقهاء والاساتيد لتدريس
العلم ، وأسكنها بالطلبة ، وحبس ربعا كثيرة للنفقة عليها (63) وكانت وفاة
أحمد بن القاضي بفاس عام 1025/1016 .

(62) أبو الحسن المريني (731 - 1331/732 - 1351) أو السلطان الأکمل كما كان يدعى
العامية ، لأن أمه سودانية هو أعظم ملوك بني مرين . استند لعودته إلى القريفة الشمالية
كلها والاندلس . وكانت له علاقات طيبة مع ملوك مصر والمودانا وأسس كثيرا من
المدارس والزاويا . وبني العناطر والسقايات .
أحمد بن القاضي . لقط الفرائد . ص 140

جدول مؤلفات أحمد بن القاضي

الارقام الترتيبية	عنوان الكتاب	مكان الكتاب
أ - التاريخ والتراجم		
(1)	جذوة الاقتباس ، فيمن حل من الاعلام مدينة فاس	طبع على الحجر بفاس عام 1309 هـ وتوجد منه نسخ خطية في خ. ع. (64) 2362 د
(2)	درة الخجال في أسماء الرجال جعلها ذبلاً لوفيات الاعيان لابن خلكان وضمنه تواريخ الاعيان من وفاة ابن خلكان عام 681 هـ الى أوائل القرن الحادي عشر	نشره ب. س. علوش بالرباط سنة 1934 .
(3)	درة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك وهي أرجوزة ذكر فيها الملوك مرتبين حسب وفياتهم ، ومطلعها : الحمد لله الذي أبدى العبر في دول الملوك للذي عبر	مخطوط خ. ع. 52 د
(4)	الدر المملوك المشرق بدرة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك وهو شرح الأرجوزة السابقة	مخطوط خ. ع. 52 د
(5)	لقط الفرائد من حقائق الفوائد ذيل به وفيات ابن قنفذ	مخطوط خ. ع. 270 ك

المنتقى المقصور على محاسن الخليفة أبي العباس المنصور	(5)
مخطوطات خ. ع. 48 د و 764 د و 1057 د وهذا الآخر مصور عن نسخة المكتبة الزيدانية بمكناس	
غنية الرائض في طبقات أهل الحساب والفرائض	(7)
الفهرست المسماة رائد الصلاح	(8)
كانت توجد في فاس بخزانة الشيخ علال بن عبد الله الفاسي	

الفقه و الفرائض

نيل الأمل فيما به بين المالكية جرى العمل	(9)
القانون الوفي بجدول الحقوق ، في الفرائض	(10)

الحساب و الهندسة

الأكسير في صناعة التكسير ، في الهندسة	
مخطوط الخزانة الملكية بالرباط عدد 5455	
المدخل في الهندسة	(11)
نظم تلخيص ابن البنا	(12)
الفتح النبيل بما تضمنه من أسماء العدد التنزيل	(13)
شرح منظومة في مبادئ الهندسة ، لابن ليون التجيبي	(14)

المنطق

ب) أساتذة آخرون درسوا في الزاوية الدلائية

الحسن الدرعي

أبو محمد الحسن بن أحمد الدرعي المعروف بالدرأوي ، العالم المعقولي ، شارك المشبحر ، مؤلف شرح **صغرى السنوسى** فى التوحيد ، وشرح **لامية الإمام الجبراد السلوى** فى قواعد الجمل . اشتهر هذا العالم بالانكباب على التدريس وبذل الجهود فى إقادة الطلاب ، والحرص على تفعيم ، سواء فى مرتبة الأول بدرعة أو فى فاس . أو فى الزاوية الدلائية «وكانت له اليد الطولى فى معرفة العقائد والمنطق ، وفى النحو ، والقراءات ، مع كمال التحقيق وجودة فهم والتدقيق . أقام مدة فى الزاوية الدلائية يقرئ حتى عم النفع به عام ١٠٦٥» (65)

وقد حظ الحسن الدرعي رحاله فى الدلاء فى السنوات الأولى لتأسيس الزاوية ونال من حظوة أبى بكر ورعايته ما يليق بمقامه العلمى والدينى ، وأبل عليه الطلبة يأخذون عنه وفى مقدمتهم محمد بن أبى بكر الدلائى الذى درس عليه التوحيد والفقه ، والاصول ، والمنطق ، والبيان ، وغير ذلك من شمول العلم ومعقوله ، كما أخذ عنه كثير من اخوة محمد بن أبى بكر وغيرهم وانتحل الحسن الدرعي فى أواخر أيامه الى فاس حيث وافته المنية عام ٩٧/١٥٩٨ - ١٥٩٨ (66) .

أحمد بن عمران الفاسى

أبو العباس أحمد بن على بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران السلاسى ثم الفاسى العلامة المحدث الحافظ الأديب البليغ مفتى فاس ، والمدرس بجامعة الشرويين . كان أبوه على قاضى الجماعة وجدده عبد الرحمن من شيوخ الفقه المشحر . وسبب مجيئه الى الزاوية البكرية انه أصابه عسر فى فاس وضاقته حالها بها فقتصد الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى تاركاً عياله وأولاده بفاس ولزم عنده بقرى أبناءه وغيرهم من الطلبة . فأرسل ابن أبى بكر الدلائى الى أسرة الفقيه ابن عمران كثيراً من المواد الغذائية والملابس والنقود ، دون أن

عليه بشي من ذلك ، ثم غمره بالعطايا حينما أراد الرجوع الى مسقط رأسه . وكان الشيخ ابن عمران يحدث نفسه وهو في طريقه الى فاس أنه سيأتي أهله بهذا الرزق الوفير ليبدل عسرهم يسرا ، فإذا به يجدهم في رغد من العيش لا عيب لهم به . فلما علم بجليه الأمر أسرع بالرجوع الى الزاوية الدلائية وألقى عصا التسيار بها ، واستقر مطمئن الخاطر مراقب البالي ، منقطعاً للتدريس والأفادة . «وحضر الشيخ محمد بن أبي بكر يوماً مجلسه ، وهو غاص ببنيه ودوى قرابته ومودته فقال لهم : من أحبني منكم فليعط لهذا الشيخ ، يعني أنا العباس بن عمران . فأتى كل واحد من الحاضرين بما قدر عليه ، ثم بلغ ذلك النساء فأعطت كل واحدة متين ما قدرت عليه من قرط أو سوار أو غيرها ، ثم بلغ ذلك الخبر أهل السوق وأهل البوادي فانتقلوا اليه ، فكان الرجل يأتي بالفارس وغيره مما تيسر له فيعطيه له وقامت لذلك سوق عظيمة .» (67)

ومن أخذ عن أبي العباس بن عمران بالزاوية البكرية محمد المرابط الدلائي وأبو عمر بن محمد الدلائي المتقدمان ، والحسن اليوسفي الذي أخذ عنه كبرى الشيخ السنوسي مع شرحها في التوحيد (68) .

وكانت وفاة أحمد بن عمران بفاس عام 1065/1654 (69) .

حمدون الأبار

أبو العباس أحمد المدعو حمدون بن محمد بن موسى الأبار الفاسي العلامة الخطيب البليغ ، شيخ الجماعة بفاس ، وخطيب جامع الاندلس . كان أهله من التجار المؤسرين فسلوك سبيلهم أولا متجولا في الاقطار للتجار وكسب الاموال ثم شغف بالعلم فانصرف عن ذلك الى الدرس والتحصيل ، حتى صار اماما في كثير من العلوم ، خصوصا النحو والفقه . وسار في حياته العلمية سيرته في حياته التجارية ، فجال في البلدان ينشر العلوم . وحل بالزاوية الدلائية مدة يدرس لطلبتها مختلف الفنون حيث أخذ عنه فيها الطيب بن المستنوي الدلائي المتقدم وغيره . وكان أكثر ما يقرئ مختصر الشيخ خليل و ألفية ابن مالك «وتخرج به جماعة من الاعلام ، بل حل طلبة المغرب عليه التمعنوا في

١٧٢ سليمان الحرات ، البدور الضاوية . ورقة 46/ب

١٧٣ الحسن اليوسفي ، الفهرست . ورقة 66/ا

١٧٤ توحيد ترجمة ابن عمران عند : محمد الأفراني ، الصفوة ، ص 414 ، ومحمد القادري نشر الثاني ج 1 ص 211 .

المختصر وله عليه حاشية هي موجودة بأيدي الطلبة . وله فتاوى كثيرة حسنة (70) .

توفي بفاس عام 1071/1660 .

محمد بن سودة

أبو عبد الله محمد (71) بن محمد بن أبي القاسم ابن سودة . الفقيه الشافعي الذي اشتهر بالعلم والدين وقيل عنه إنه آخر قضاة العدل بفاس . اخذ عن خاله عبد الواحد بن عاشر وطبقته ، وتلمذ له كثير من أعلام فاس . وأقام مدة في الزاوية الدلائية يدرس فيها للطلبة ، وأخذ عنه هناك جم غفير . في مقدمتهم الطبيب بن المسناوي الدلائي . وقول محمد بن سودة القضاء في فاس بأمر من السلطان محمد الحاج الدلائي ، وكانت وفاة ابن سودة عام 1076/1665 (72) .

محمد بن سعيد المرغيشي

أبو عبد الله محمد بن سعيد السوسسي المرغيشي نسبة الى مرغيشة (وينطق السوسسيون اليوم بالغين خاء فيقولون مرخيت ومرخيتي) وهي إحدى فروع قبيلة الاخصاص المشهورة بناحية تيزنيت . كان محمد بن سعيد موقفا حيسوبيا مدققا . وهو صاحب النظم المشهور المسمى بالفتح في التوقيت وشرحيه الكبير والصغير . انتقل الى مراكش وتصدى للتدريس بمسجد المواسين مدة طويلة وقصده الناس للاخذ عنه . ثم انتقل الى الزاوية الدلائية للتدريس فيها ، وقد قال عنه تلميذه الحسن اليوسسي : حضرت عنده مجلسا واحدا في ألفية ابن مالك أيام الحداثة ، ثم لقيته بالزاوية البكرية ، فجالسته مرارا ، وصافحتني عن شيخه أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسنى وقال بسنده الى أنس بن مالك رضى الله عنه فأفصح بالحديث ولم يفصح بالسند ... (73) وقد عمر محمد بن سعيد طويلا وكثر الآخذون

69 محمد القادري ، نشر الثاني ، 228:1 انظر هناك ترجمه حمدون الابار

70 هناك غلام سوسسي يسمى كل منهما محمدا ، الاب والابن ، لم أقف على نص يعين من درس منهما في الزاوية الدلائية ، وقد رجحت أن يكون هو الابن نظرا لذكر اسميه مقرونا باسم حمدون الابار أثناء وجودهما في الدلا ، وهما متعاصران وتدرسان وقائهما متقارب . أما محمد بن سودة الاب فانه توفي عام 1015/1606

71 انظر ترجمة ابن سودة في: محمد القادري ، نشر الثاني 250:2

72 الحسن البصري ، الفهرست ، ورقة 1/68

عنه ، واشتهر نظمه المقنع في جميع النواحي المغربية ووقع عليه اقبال كبير حتى اليوم . ومن تأليفه أيضا : الإشارة الناصحة لمن طلب الولاية بالنية الصالحة ، وكتاب المستعان في احكام الاذان ، واختصار السيرة اليعمرية ، والفهرست التي ذكر فيها أشياخه وأودعها كثيرا من الفوائد والفتاوى . وكانت وفاة المرغيني عام 78 / 1089 - 1679 (74) .

4 - تلاميذ الزاوية الدلائية

ظلت الزاوية البكرية كعبة الطلاب يحججون اليها من كل أصقاع المغرب طيلة قرن كامل ، ويتنافسون في الاخذ عن علمائها المبرزين الكثيرين . ولا شك انها عرفت خلال هذه الفترة الطويلة من الزمن عددا كثيرا منهم ، لا يتوفر لدينا من أسمائهم مع الاسف ، الا نزر يسير ورد ذكرهم عرضا عند من تعرض لهذه الزاوية من المؤرخين أو أصحاب التراجم . وتلاميذ الزاوية الدلائية طائفتان ، طائفة لازمت الزاوية منذ أول عهد لها بطلب العلم ، الى أن تخرجت منها ثم اشتغلت بالتدريس فيها ، وهذا شأن أكثر الدلائين المتقدمين في الفصل السابق وبعض من سناتى على ذكرهم هنا ، مثل محمد بن عبد الرحمن الصومعي ، وابن مسعود المراكشي . وطائفة أخرى كان لها سابق دراسة في فاس أو مراكش أو غيرهما من مراكز الثقافة ، ثم وردت على الزاوية البكرية وكرعت من حياض معارفها حتى رويت وتم تكوينها العلمي ، فاستقرت بها مستغلة بالتعليم والافادة ، كالامام الحسن الميوسي والاخوين العكاريين محمد وعلي ، أو غادرتها بعد مدة طويلة أو قصيرة لترجع الى مساقط رؤوسها أو لتلقى غشا التسيار في بلد آخر ، كأبي حامد الفاسي ، وأحمد المقرئ ، وعبد الواحد ابن عاشر ، ومحمد ميارة وغيرهم . وسأورد فيما يلي تراجم مختصرة لمن لم يسبق التعريف بهم من تلاميذ الزاوية الدلائية .

(أ) الحسن الميوسي

أبو علي الحسن بن مسعود الميوسي ، من قبيلة آيت يوسي البربرية . مفخرة المغرب وأشهر من أنجبته الزاوية الدلائية من العلماء حتى ارتبط اسمه باسمها ووطن البعض أنه من أبنائها . وقد تتلمذ الميوسي لكثير من العلماء

171 انظر ترجمة المرغيني في : الحسن الميوسي . الفهرست ورد 1/08 - 1/09 ومحمد القادري . نشر الثاني . ج 2 ص 37 - 41 ومحمد المكي الناصري . الدور المربعة . ص 15 - 17 والسيرة اليعمرية من نور العيون في تلخيص سيرة الامين المأمون . لابن الفتح محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الفاضل اليعمرى الربيعي الاشجيلي المتوفى في القاهرة عام 1334/734 اقرا مقال الامتاز محمد المنوني . مكتبة الزاوية الحمراء . مجلة تطوان العدد 8 سنة 1393 ص 170 .

الدلائيين مثل محمد الم رابط ، ومحمد بن عبد الرحمن ، وأبي عمر بن محمد بن أبي بكر الدلائى ؛ وأخذ عنه عدد وافر من أبناء الدلائيين وغيرهم من الطلبة الذين كانوا يقيمون فى الزاوية الدلائية . وكان دخول اليوسى الى الزاوية الدلائية حوالى عام 1060 وهو ما يزال شابا طالبا للعلم ، فتزوج فيها فور وصوله اليها ، وانقطع عن لهو الشباب ولغو (75) ومكث بها نحو عشرين سنة طالبا ثم أستاذا وفيها أنجب الابناء والبنات ولم يغادرها الا بعد أن أزعجه السلطان الرشيد عنها عند تخريبها . وقد انفرد اليوسى بوصف حادثة اخلاء الزاوية الدلائية وعنه نقل ذلك سائر المؤرخين . يمتاز هذا العالم الكبير بقوة العارضة ، وشدة التحصيل ، وجدة الاسلوب ، فهو يسير فى كتبه خصوصا المحاضرات ، على غير ما عهد عند معاصريه من العلماء المغاربة وانك لتجد فى هذا الكتاب وغيره من مؤلفات اليوسى طريقة جديدة فى الكتابة ، تذكر بطريقة أكابر الكتاب القدامى أمثال ابن المقفع ، والمبرد وأضرابهما ، فالفاظ جزلة متينة والاسلوب سلس منطلق لا تقيدده الاسجاع وغيرها من المحسنات البديعة اللفظية الا متى أتت عفوا دون تكلف . أو وقعت فى رسائل خاصة تستدعى ذلك ؛ والمواضيع المطروقة جدية متنوعة متسلسلة يربط بينها رغم تباينها نوع من التعلق بحيث تتكامل ويستدعى بعضها البعض الآخر .

ويحدثنا اليوسى نفسه فى فهرسته عن بعض الكتب التى درسها على أستاذه محمد الم رابط الدلائى بقوله : « حضرت عنده تلخيص المفتاح بمختصر السعد (76) ومواضع من الخلاصة (77) وصدرنا من تفسير القرآن بتفسير الجلالين (78) وأجازنى فى فنون العلم كلها . . . (79) ويروى لنا كذلك فى

(75) الحسن اليوسى . المحاضرات . ص 141 . الفهرست . ورقة 70 .

(76) تلخيص المفتاح : فى البلاغة تدارسه الناس واعتمده فى هذا الفن منذ القرن الثامن الهجرى حتى الآن لتركيزه واختصاره . ومؤلفه هو الخطيب البغدادى جمال الدين محمد بن عبد الرحمن الاناضولى المتوفى بدمشق عام 38/739 - 1335 . وكتاب التلخيص هذا صدر اجتهاد للمفسر الثالث من كتاب مفتاح العلوم لمؤلف بن أبي بكر السككى المتوفى عام 629/1229 . وقد شرح متن التلخيص سعد الدين التفتازانى (نسبه الى تفتازان - قرية من أعمال حرسان) المتوفى عام 88/741 - 1304 لرحيل . مطول . ومختصر . رأى هذا الأخير يشير اليوسى .

(77) الخلاصة هى الالفية المشهورة لمحمد بن مالك الطائى الاندلسى

(78) الجلالان المشركان فى تفسير القران الكريم هما جلال الدين محمد بن أحمد المجلسى المتوفى عام 864/1459 وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطى المتوفى عام 5/911 - 1506

(79) الحسن اليوسى . الفهرست . ورقة 66/1

المحاضرات حادثة أدبية طريفة وقعت له عند وصوله الى الزاوية البكرية وهي ندانا على مدى قوة شخصيته وسرعة بديهته منذ حياته العلمية المبكرة ، اذ وجد شيخه محمدا الم رابط قد ألف كتابا في الخطب الوعظية قرظها الناس وامتدحوها «فكتب كل ما قدر له من نشر ونظم فلما رأيت ذلك كتبت أنا أيضا ، فوقع في مكتوبي لفظة القطائف والمطائف ، فاعترض علي وزام تبكيتي وقال : يا لا تعرف القطائف الا هذه المفروشات . فقلت له : ان القطائف عنا جمع طيفة بمعنى مقطوفة فقال هو صحيح في اللغة ، ولكن الادباء لهم الاختيار ، وعندهم الفاظ يستعملونها مخصوصة ، فلا يرتكب عندهم كل ما يقع في اللغة ، فقلت له حيثئذ : هذا أبو محمد الحريري (80) يقول في مقاماته :

فلا تعذوني بعد ما قد شرحتك على ان منعتم في اقتطاف القطائف
على ان ما زودتم من فكاهة ألد من الحلوى لدى كل عارف
فتلون وجهه رحمه الله وخجل ولم يراجعني بكلمة : فلولا معرفة المقامات
واستحضار هذا البيت لأخجلني عوض ما كنت أخجلته» (81) .

ونقيم من هذه المناظرة القصيرة أن اليوسى قدم الزاوية البكرية وقد حصل على نصيب لا يستهان به من المعلومات ، فكان يحفظ المقامات الحريرية ويستطيع أن يدلي بدلوه مع الادباء في تقریظ كتاب لعالم كبير ، بل كان يحتاج شيوخ العلم ويحججهم على حادثة سنة . وهو أمر يذكرنا بمناظرة بديع الزمان الهمداني لشيخ الادباء أبي بكر الخوارزمي (82) . ويظهر أن هذه الحادثة كانت عابرة لم تنلها ذبول . فاليوسى أخذ مجلسه بين الطلبة في حلقة الشيخ الم رابط العلمية ليستفيد منه طيلة مقامه بالزاوية الدلائية ، والاستاذ الم رابط بدوره قدر في تلميذه النابغة نباهته وكفاءته وأحله المنزلة اللائقة بمقامه الممتاز ، ليحيزه بعد عشرين سنة من تلك المناظرة ويحليه بقوله : «الصدر الرئيس ، فارس الافلاء والتدريس ، شيخ الجماعة بالديار البكرية ، والحضرة الدلائية ذو التدقيق المعهود ، أبو الحسن بن مسعود ، صاحب النباهة الشامخة ، والنزاهة

80 أبو محمد الخامس بن علي الحريري المصري ، صاحب المقامات المشهورة المتضمنة على كثير من كلام العرب ولغاتها وأمثالها توفي عام 22/519 - 1143

81 الحسن اليوسى . المحاضرات . ص 141

82 أنظر صورة هذه المناظرة الأدبية الطريفة عند زكي مبارك في النشر الفني الطبعة الاولى مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة عام 1352 هـ - 1934 ج 2 ص 331 وما بعدها

بإذنه ، والجلالة العليا ، والهمة التي نيطت بالثريا ..» (83) وقد انتقل
يوسى بعد تخريب الزاوية الدلائية الى فاس بأمر من السلطان الرشيد ،
وتصغر للتدريس فيها ، وأقبل عليه الطلبة والعلماء يأخذون عنه الا طائفة من
سائبيه فانهم تخلفوا عن مجالسه العلمية ، وفيهم يقول :

ما انصفت فاس ولا اعلامها علمى ولا عرفوا جلالة منصبى
وانصفوا لصبوا الى كما صبا راعى سنين الى الغمام الصيب

وليس هذا من باب الزهو والغرور وانما هو نوع من الصراحة البدوية
التي يمتاز بها اليوسى ، فهو يتحدث بنعمة الله عليه ، ويعرف قيمته ومكانته
العلمية ويعبر عما يجول في خاطره بدون لبس أو تمويه . وقد ذكرنا في
الاب الثاني أبياتا أخرى مشابهة لهذه قالها اليوسى في علماء الزاوية البكرية
وطلبها حينما انتقل منها مرة الى قرية الدلاء .

وقد حظى اليوسى بتقدير السلطان الرشيد الذي كان يحضر بعض
مجالسه العلمية بالقرويين ، ويجالسه في قصره مع خاصته ، ويحادثه بدون
كفة . كما يذكر لنا ذلك اليوسى نفسه بقوله : «أصابني مرة اسهال ، فدخلت
على السلطان رشيد بن الشريف ، وكان يكرمني ويجلني فرأ (كذا) تغييرا في
يحيى ، فسألني فأخبرته فقال : وماذا صنعت من علاج ، فقلت له ، ان الطبيب
يضع لي شراب الريحان ، فتضاحك ثم قال : سبحان الله ، مالنا ولشراب
الريحان ، وأين عبدته خذ سمويق الشعير واخلطه بالماء . فذلك دوواؤه ..» (84)
وكان السلطان الرشيد يعرف شدة تعلق اليوسى بالزاوية الدلائية وأهلها
فلما مرة على ذلك ، فأجابه اليوسى متسترا ومتقيا : «لا ناقة لي فيها ولا جمل» .
ولم يوسى يتمتع بعظوته في البلاط العلوي حتى بعدما تولى الملك السلطان
اسماعيل وكان من بين العلماء الذين وافقوا على بيعته اثر وفاة أخيه الرشيد
سراكنس . ولليوسى مراسلات عديدة مع هذا السلطان العظيم أخلص فيها
النصح لأمير المؤمنين ونبيه الى مواطن الضعف في حكمه ، وخاطبه بصراحة
مطش . ومنها رسالة مطولة في 47 صفحة بعث بها اليوسى الى السلطان
حوابا عن كتب تلقاها منه يقول في أولها : «هذا وقد وردت على كتب سيدنا
الكريمة . ومراسمه الجليلة العظيمة . فاذا عرفت أحسن فيها وأجاد ، وأبدا

وأعاد ، وبلغ من كل فصل المراد ، وفوق المراد ، ثم رأيت أن أمر سيدنا أيده الله بالجواب عن فصول الكتاب لا ينبغي أن يحمل ، ولعل فيه أن شاء الله فوائد تفصل فتحصل ...» (85) وغادر اليوسى فاسا إلى مراكش حيث أقام ثلاث سنوات متصديرا للتدريس في مساجدها ونجده في عام 1682/1093 يشوق للرجوع إلى مسقط رأسه ويحن إلى عشيرته ، وكان قد خلف الأهل في جبال الأطلس المتوسط ، والكتب وما معها في مكناسة ، والقبيلة في ملوية «وَجَرى يوما ذكر البيتين اللذين أنشدهما سيدنا بلال رضى الله عنه ، فهاج به إلى الأوطان اشتياق ، فقلت على نحو هذا المساق :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بسهب الشنين أو بسهب بنى ورا
وهل تعبرن نهر العبيد ركائبى وهل تتركن دايا وأدواؤها ورا.» (86)

وقد تحققت لليوسى آمانياته الثلاث في الحياة ، فوفر حظه من العلم ، وكثر ماله ، وزار البقاع المقدسة (87) . وظل وفيًا للزاوية الدلائية طيلة حياته يحن إليها ويذكر محاسن أهلها ، ولم يرثها أحد بمثل قصيدته الرائية الشهيرة التي يبلغ عدد أبياتها 162 ، ومطلعها :

أكلف جفن العين أن ينشر الدرا فيأبى ويعتاض العقيق بها حمرا
واسأله أن يكتم الوجد ساعة فيفشى ، وإن اللوم آونة اغرا (88).

(85) الحسن اليوسى ، رسالة إلى المولى اسماعيل . مخطوط بالخزانة العامة بالرباط 1348 د ورقة 1/13

(86) الحسن اليوسى ، المحاضرات ، ص 126
السهب (بضم السين) من الأرض : البعيد المستوى (وينطق به في اللسان المغربي الدارج بفتح السين مراد به هذا المعنى) وسهب الشنين ، وبنى ورا موضعان بالأطلس المتوسط . ونهر العبيد يقع في إقليم بني ملال وعليه سد بين الويدان المشهور ، ودای : هي مدينة الصومعة المجاورة لبني ملال الحالية . وكانت مشهورة بكثرة الأمراض والوخم .

(87) الحسن اليوسى ، الفهرست ، ورقة 1/64

(88) شرح هذه القصيدة عالمان دلائيان في مجلد ضخيم ستحدث عنه في كلامنا عن مؤلفات الدلائين ، كما شرحها محمد بن المهدي بن سودة في 6 مجلدات . انظر هذه القصيدة تامة في ديوان اليوسى ، وفي النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 3 . ص 277 وما بعدها . للتوسع في ترجمة اليوسى ارجع إلى محمد الأفراني ، نزهة الحادى . ص 245 وما بعدها . وال محمد القادري ، نشر الثاني ، 142:2 . والى الكفاني ، فهرس الفهارس ، 464:2 . والى : Lévi-Provençal, Les historiens des Chorfa, pp 269 - 272.
Jacques Berque, AL YOUSSE, Problèmes de la culture marocaine au XVIIème siècle.

توفي اليوسى عقب رجوعه من الحج عام 1102/1690 ودفن في قبيلته
بامريت قرب صفرو .

جدول مؤلفات اليوسى

وضع الاستاذ بيرك فى آخر مؤلفه عن اليوسى جدولاً مفصلاً لكتب
اليوسى أتى فيه على أسماء 33 مؤلفاً مع الإشارة الى المكتبات التى يوجد فيها
بعض هذه الكتب . وقد نقلت هنا هذا الجدول وأضفت اليه 14 مؤلفاً لليوسى
أعطاها الاستاذ بيرك كما أشرت الى مكتبات توجد فيها كتب لليوسى لم يقف
عليها . وجعلت على كل زيادة هذه العلامة x

اسم الكتاب	المكتبات التى يوجد فيها
------------	-------------------------

التوجيه

- | | |
|---|--|
| <p>(1) حاشية على شرح كبرى السنوسى
مخطوط غ. ع. ك 2645 . خزانة
القرويين بفاس 40 - 837 ، 732-40 ،
فى دار الكتب المصرية بالقاهرة .
222 ، 266 ، 473 ، 562 ، 1117
كلام . x وفى الخزانة الحمراء 69.
مخطوط غ. ع. ضمن مجموع I241 د
(من 8 - 9)
مطبوع على الحجر بفاس عام 1327 هـ</p> | <p>(2) أجوبة</p> <p>(3) * مشرب العام والخاص من كلمة
الاخلاص أو منهج اخلاص من
كلمة الاخلاص</p> <p>(4) شرح صفوى السنوسى</p> <p>(5) الرد على القرافى فى التفريق
بين القديم والحديث فى كلام الله</p> |
|---|--|

غير بعض مترجمى اليوسى عن مشرب العام والخاص بكتاب فى الهائلة . كالمقادير فى
نشر الثانى . والصلى فى الصفحة الاولى من القانون المطبوع فى فاس . وقد اختلطت
كلمة (الهائلة) على الاستاذ بيرك فقرأها هيلة . وجعل - خطأ - لليوسى مؤلفاً فى التسجيل

الفقه

- 16 شرح قول خليل : «وخصصت نية الخائف وقيدت ...» ؟
- 17 × فقهية منظومة فى بحر الزجر على نظام المرشد المعين لابن عاشر تشتمل على التوحيد ثم الطهارة فالصلاة فالزكاة فالصوم فالحج فمبدأ طريق القوم
- 18 × قواعد الاسلام من مضمون حديث النبى عليه السلام موضوعها واجبات المكلف كالرسالة الاتية رقم 35 الا أنها أوسع منها وأطول .
- مخطوط نخ. ع 157 ح ضمن مجموع من ورقة 1/124 - 131 ب 1164 د .
انتسخت فى حياة المؤلف عام 1099 هـ
- نفس المجموع (من ورقة 1/27 - 1/42)

الاصول

- 9 الكوكب الساطع بشرح جمع الجوامع لتاج الدين السبكى لم يكمله وإنما وصل فيه الى «إذا الفجائية» .
- مكتبة خاصة

الحديث

- 10 × رسالة فى العلم النبوى وهو رد على القاضى عبد الملك التجموعى .
- ؟

المنطق

- 11 زفائس الدرر على شرح المختصر للسنوسى
- مخطوط نخ. ع ضمن مجموع د 1072 (من ص 52 الى ص 195) د 451 ، 1751 ك وفى خزانة القرويين بفاس بدون رقم - وفى المكتبة الوطنية بالجزائر 2 و 1382 - وفى المكتبة الوطنية بباريز 2400 (من 104/ب - 251) .

مخطوط خ.ع 1072 د (من 196 - 223)

112 القول الفصل في الفرق بين
الخاصة والفصل أو الفرق ما
بين الذاتى والعرضى

ذكره عبد الله كنون في النبوغ المغربي
1 : 303 .

113 شرح السلم المروتنق للاخضرى

البلاغة

؟

114 شرح تلخيص المفتاح للقزوينى
(لم يكمل)

اللغة والادب

مخطوطات الخزانة العامة بالرباط
71 د ، 191 د ، 1001 د ، 1159 د ،
596 × ج ، 178 × ج ، والمكتبة
الوطنية بالجزائر 80 1842 . والمكتبة
الوطنية بباريز 52304 ، والقرويين
بدون رقم ، وفي دار الكتب بالقاهرة
14097 ، 14842 ادب .

115 زهر الاكم في الامثال والحكم

طبع على الحجر بفاس ، وتوجد منه
نسخ مخطوطة عديدة بالخزانة العامة
بالرباط . منها واحدة جيدة ضمن
مجموع عدد 32 ج ، كما توجد نسخ
مخطوطة أخرى بالمكاتب الوطنية
بباريس والجزائر .

116 الديوان

- جمعه ولد اليوسى بعد وفاة
والده -

مخطوطة خ.ع. ضمن مجموع 103 د
(من 98 - 103)

117 القصيدة الرائية في رثاء الزاوية
الدلالية (89)
(تتمثل على 162 بيتا)

عن الأستاذ بركات أن موضوع هذه الرائية الحكم والتصوف ، وهي في الحقيقة في رثاء
الزاوية الدلالية وإن كانت لا تخلو من اشارات صوفية . وأمثال حكمية على طريقة زهير
ابن أبي سلس في معلقته .

طُبعت مع شرحها فى مصر عام 1291 هـ
و 1329 هـ وتوجد منها نسخ خطية
عديدة بمكاتب القرويين والرباط
والقاهرة وباريس .

طبع بمطبعة الكوكب الشرقى
بالاسكندرية عام 1291 هـ × وبمطبعة
التقدم بالقاهرة عام 1329 هـ وتوجد
منه نسخ خطية فى المكاتب العامة
بالرباط والجزائر والقاهرة وباريس .

× مخطوط خ. ع 774 د ضمن مجموع

الخزانة الملكية بالرباط 2343 .

؟

(18) القصيدة الدالية فى مدح الشيخ
محمد بن ناصر
وقد عارض اليوسى بها دالية
البوصيرى فى مدح الشاذلى
والرسى .

(19) نيل الامانى فى شرح التهانى
وهو شرح للدالية المتقدمة

(20) شعر فى مدح خير البرية
أوله القصيدة الشميرة :

جد فى سيرها فليست تلام
هذه طيبة وهذا المقام

(21) × الرحلة - كتبها ولداليوسى
عندما صحب والده الى الديار
القدسة

(22) شعر فى رثاء عبد القادر الفاسى

التصوف والرد على المبتدعة

؟

(23) شرح عقد جواهر المعانى ، فى
مناقب الغوث عبد القادر الجيلانى
لاحمد بن المختار (بنخدة)

(24) تاليف فى المكاكرة المرقية
الفضالة بتادلا وزمور

(25) × أربعة وعشرون سؤالاً تتعلق
بصاحبة الشيخ وتأديلة
الأورداد الخ

× مخطوط خ. ع 1224 ك ، ضمن
مجموع (من 167 - 187) .

مخطوطة خ. ع. 612 ج (من ورقة
48/ب - 52/أ)

موسوعات

طبع على الحجر بفاس عام 1310 هـ
و 1315 هـ ، وتوجد منه نسخة خطية
بالمكتبة الوطنية بباريس 5291 كما
توجد نسخ خطية متعددة في خ. ع.
بالرباط

(2) القانون

طبع على الحجر بفاس عام 1317 هـ
وتوجد منه نسخ خطية بمكاتب
الرباط ، وباريس والقاهرة وتوجد
منه نسخة خطية هامة بخزانة
العطارين بتونس انتسخت بعد وفاة
اليوسى بأربع سنين .

(3) المحاضرات

x مخطوط خ. ع 1234 ك ضمن
مجموع (من 103 - 147) .

(4) الفهرست

الخزانة الملكية بالرباط 5995

(5) الكناشة العلمية - تشمل
على فوائد في التفسير والحديث
والشعر والتراجم

رسائل في مواضيع مختلفة

مخطوط خ. ع 6111 د (من 1 - 4)
1348 د (من 13 - 36) وقد نقلها
صاحب الاستقصا . 82:7 - 86

(6) رسالة الى السلطان اسماعيل
سبعة اربعة

x مخطوط خ. ع. 849 ج ضمن مجموع
(من ورقة 1 - 146)

(7) رسالة اخرى الى السلطان
اسماعيل يرفض فيها الذهاب
الى فاس

مخطوط خ. ع 364 د ضمن مجموع
(من 113 - 116)

(8) نعت الملوك الى العدل ، في آداب
الملوك

x مكتبة ابن غازي بمكناس

(9) رسالة في نعيم أهل الجنة

(10) رسالة في وصل الشعر

- (35) رسالة فى واجبات المكلف
- رسالة صفرى -
- (36) رسالة الى العربى وعبد السلام
ابن الطيب القادريين
- (37) رسالة الى المهدي الفاسى
- (38) رسالة فى نصيح المؤمنين
- (39) رسالة الى الصوفيين الحاج
على وأبى القاسم بن معمر
- (40) رسالة لبعض الاخوان
تتضمن على نصائح دينية
- (41) شرح الطالع المنتشر - لم يكمل -
- (42) * تقریظ اللمعة الخطيرة فى
مسألة خلق أفعال العباد
الشهيرة للمبدي الفاسى
- (43) رسالة صغيرة فى التصوف
سماها الناسخ مفتاح الوصول
- (44) رسالة حول من لا يحسن
النحو والصرف هل يجوز له
أن يفسر القرآن ، وحكم الرقص
والغناء والتصفيق وضرب
الغربال الخ
- x مخطوط خ.ع 612 ج ، ضمن
مجموع (من ص 21 - 27) .
- ؟
- مخطوط خ.ع 1138 ك ضمن مجموع
(من ص 1 - 31) وفى المجموع 612 ج
(من ورقة 1/ب - 1/15)
- نفس المجموع 1138 ك (من ص 32 - 39)
- مخطوطة خ.ع. 612 ج (من ورقة 42/أ -
44/ب) .
- ؟
- x مخطوطة خ.ع. 1234 ك (من 100 -
101)
- نفس المخطوط 612 ج (من ورقة
44/ب - 45/ب)
- نفس المخطوط 612 ج (من ورقة
46/أ - 48/ب)

* ذكرت هذا التقریظ - وإن كان صغيرا غير فى أهمية - نظرا لكون الاستاذ يسوك
أحد فى جدولہ ، ولو تتبعنا آثار اليوسى من هذا النوع لاقتنا بالمئات .

نفس المخطوط 612 ج (من ورقة
1/56 - 57/ب)

الوافية في الرسالة الآسفية
وهي نصيحة الى من في ثغر
آسفي وما حوله من الاخوان
والنجيب ختمها بقصيدة ضمنها
ملخص الرسالة وأمرهم بقرائها
مطلعها :

عبيكم بتقوى الله في السر والنجور
واخلاص ما تاتون من عمل البر

مخطوطة خ.ع. 612 ج (من ورقة
1/57 - 54/ب)

رسالة في النصائح موجهة
الى من بمكناسة الزيتون
واعمالها

المكتبة الملكية بالرباط 1577

وصية الامام اليوسى أوصى
فيها اولاده واخوانه ، وحبس
كتبه على أبنائه وطلبة العلم

ب) أحمد المقرئ

أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقرئ القرشمى التلمسانى ثم
المسى . العلامة الكبير الاديب البارخ والمؤلف الشهير . صاحب كتاب **نفسج**
الطيب . و **أزهار الرياض** وغيرهما . كان أعجوبة الزمان فى القدرة على الكتابة
سعة النسخة ، وقرض الشعر المحلى بأنواع البديع . كما كان فقيها محدثا ،
فقد عدة فى الراوية الدلالية يدرس الحديث على محمد بن أبى بكر الدلائى
كان يفتد فيه الشيخ بعجب بقوة حافظه المقرئ وسرعة ادراكه . لكنه
فى طريقة المحدثين والتحرى اللازمين فى الرواية فيجرحه
بما من جنابة الادب على المقرئ ، فالادباء معروفون منذ القديم بالتساهل فى
رواية . والتزبد فى التوارد والملح . الامر الذى يشافى وطبيعة المحدثين
نقد السند فى قبول السند . والدقة فى نقل متن الحديث . ويؤيد هذه
قصة ما ذكره أبو سالم العياشى فى رحلته (91) من أن المقرئ كان اذا أفتى
بمرارة فستل عنها مرة أخرى امتنع من الجواب تانيا ، مخافة أن يكون فى

الثانية ما يخالف الأولى . وما أرى ذلك الا نتيجة لتصرفه الكبير وعدم تقيده بمقررات الفقهاء المدونة ، حتى انه ليوشك أن يفتى في النازلة الواحدة بحكمين مختلفين . وبالرغم من هذا الحكم القاسى الذى أصدره فى حقه الشيخ محمد ابن أبى بكر الدلائى وسارت بذكره الركبان ، فان العلاقة ظلت طيبة بين الرجلين الى آخر حياتهما . وبقي ابن أبى بكر يشنى على المقرئ فى الدلاء ويشيد بقدرته العلمية وأدبه الرفيع ، والمقرئ بدوره يرأسل أستاذه محمد بن أبى بكر الدلائى من الشرق ويبعث اليه بنسخ مما يؤلفه هناك من الكتب ، ويطرفه بالنسخة الاصلية لقصيدة العمامة التى كتبها بجوار القبر النبوى الشريف بالمدينة ، ويقول فى مطلع رسالة وجهها اليه من مصر عام 1041 هـ :

خلى ان جئت الدلا وجرى ذكرى لدى حضرة الشيخ الرضى ابن أبى بكر
نتيجة سر الاولياء محمد معرف كليات فضل بلا نكر
فأخبره أنى لم أحل عن وداده ولم يوهن البين الملم قوى صبرى
ثم يقول المقرئ فى أثناء الرسالة : «فأما الشوق الى سيدى وولى فلا يستوفى وصفه القلم واللسان ، وحدث عن مسند أحمد بما شئت من طرق هى مع غرابتها حسان ..» (92) وقد وجه الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى الى المقرئ فى البلاد الشرقية أسئلة مختلفة من مهمات الاصول والفروع ، وطلب منه أن يكتب على كل واحدة منها ما ظهر له من موافقة أو مخالفة ليختبر مدى تقدمه فى العلوم الدينية «فقبلها المقرئ ووضعها على رأسه ، وعلم أن يومه بسببها خير من أمسه ، ثم كتب عليها ما ظهر له بقدر الامكان ، وأبرزها فى صورة تأليف حسن الوضع سماه : اعمال الذهن والفكر ، فى المسائل المتنوعة الاجناس . الواردة من الشيخ سيدى محمد بن أبى بكر ، بركة الزمان وبقية الناس . ووجهها الى شيخه بالزاوية البكرية فسر بها كثيرا» (93) .

وكان خروج المقرئ من فاس بسبب اتهامه بالميل الى قبيلة شراكة فى فسادها وبغيها أيام السلطان محمد الشيخ السعدى ، فارتحل الى الشرق عام 1017/1027 وحج مرارا وجاور فى المدينة المنورة مدة ، ألف فيها كتباً عديدة وأمل الحديث بالحرمين الشريفين . ودخل الى مصر والشام ونال فيهما حظوة كبيرة ، وألف كتابه العجيب نفح الطيب ولكنه مع ذلك لم يصف له العيش اذ لقي شتتا كبيرا من بعض العلماء الشرقيين الذين نافسوه وشوشوا عليه . وكان المقرئ قد ترك زوجه وبنته وكتبه بفاس ، وظل قلبه معلقا بذلك ، فأسرع

102 أنظر النص الكامل لهذه الرسالة فى ملحق رقم 8

103 سليمان الحرات . الدور الضاوية . أنظر فيه هذا التوثيق بتمامه من ورقة 40 الى ورقة 71

إليه الهرم واشتعل رأسه شيبا . وفي محاضرات اليوسى : « حدثني الرئيس
الأجل أبو عبد الله محمد الحاج بن محمد أبي بكر الدلائلي رحمه الله قال :
« لما نزلنا في طلعتنا إلى الحجاز بمصر المحروسة خرج للقائنا الفقيه النبيه أبو
العباس أحمد بن محمد المقرئ قال : وكنت أعرفه عند والدي لم يشب ، فوجدته
قد شاب . فقلت له : شبت يا سيدي ! فاستضحك ثم قال :

شيبتنى غر ندر وفجار
وبحار فيها اللبيب يحار» (94)
توفي أحمد المقرئ في مصر عام 1632/1041 (95) .

جدول مؤلفات المقرئ

اسم الكتاب المكتبات التي يوجد فيها

في التاريخ والتراجم

طبع بمصر مرارا . وآخر طبعة لهذا
الكتاب ظهرت عام 1949/1367 في 10
مجلدات .

(مطبوعة السعادة بمصر)

طُبعت منه ثلاثة أجزاء فقط بمطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر
بالقاهرة عام 1939/1358 .
ضمن مطبوعات المعهد الخليفى للابحاث
المغربية وتوجد نسخة خطية تامة لهذا
الكتاب في الخزانة العامة بالرباط
229 ك في سفرين ضخمين . كما توجد في
الخزانة الملكية بالرباط ، بخط المؤلف
وبها بتر .

(1) نفع الطيب ، من غصن الاندلس
الطيب وذكر وزيرها لسان
الدين بن الخطيب

(2) أزهار الرياض في أخبار عياض

(94) الحسن اليوسى . المحاضرات ، ص 58 . والفرنند مشكولة في احدى النسخ الخطية بضم
الفين وفتح الراء والذال وسكون النون . وفي متن اللغة : اغرنداه واغرندى عليه :
علاه بالشم والضرب والقهر . والقجار (يكسر الفاء) الطرق الواسعة بين جبلين .
(95) ترجم للمقرئ . محمد الاقرانى في الصفوة ص 72 وما بعدها . ومحمد القادري في نشر
الثاني ، 157:1 - 160 . والمجيب في خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادى عشر .
ج 1 ص 302 وما بعدها . وقد ألف حبيب الجناحاني من تونس كتابا في ترجمة المقرئ

- | | |
|---|---|
| <p>تبتدىء أثناء ترجمة أحمد المنصور
الذهبي . وقد طبعت بالمطبعة الملكية
بالرباط عام 1383/1964 .</p> | <p>13 روضة الآس ، العطرة الانفاس
في ذكر من لقيته من أعلام
الحضرة مراكش وفاس</p> |
| <p>ذكره المحب في خلاصة الاثر I : 303</p> | <p>14 عرف النشيق ، من أخبار دمشق</p> |
| <p>ذكره صاحب كتاب كشف الظنون
I : 106 .</p> | <p>15 شرح مقدمة ابن خلدون</p> |

في التوحيد

- | | |
|---|---|
| <p>ذكرها المحب في خلاصة الاثر I : 303</p> | <p>16 حاشية على شرح أم البراهين
للشيخ السنوسي</p> |
| <p>طبعت في مصر بمطبعة محمد أفندي
مصطفى عام 1304 هـ بهامش شرح
الشيخ عديش للعقيدة الستوية .
وتوجد منها نسخة خطية في الخزانة
العامة بالرباط 2742 ك .</p> | <p>17 اضاءة الدجنة ، بعقائد أهل
السنة
وهي عقيدة نظمها من بحر
الرجز ودرسها في الحرمين
الشريفين وسائر بلاد المشرق
التي زارها . وانتسخت منها
في حياة المؤلف نحو ألفي
نسخة (96)</p> |
| <p>الخزانة الملكية بالرباط 3544 و 5928</p> | <p>18 اتعاف المغرم المغربي في شرح
الصفري للشيخ السنوسي</p> |

في الفقه

- | | |
|--|---|
| <p>ذكره المحب في خلاصة الاثر I : 303</p> | <p>19 قطب المهتصر في شرح المختصر
وهي حاشية على مختصر
الشيخ خليل</p> |
|--|---|

توجد ضمن كتاب البدور الضاوية
بالحزانة العامة بالرباط من ورقة
1/64 الى ورقة 71/ب .

اعمال الذهن والفكر ، في المسائل
التنوعة الاجناس ، الواردة من
الشيخ سيدى محمد بن أبى
بكر ، بركة الزمان وبقيّة
الناس .

فى السيرة النبوية

توجد منه عدة نسخ خطية فى الحزانة
العامة بالرباط ، أحسنها فى المخطوط
565 ج وهو مطبوع بالجند

فتح المتعال ، فى مدح النعال
وهو كتاب جمع فيه ما ورد فى
النعال الشريفة من الاحاديث
النبوية ، وتوسع فى الشرح
والاشتقاء .

نفس المخطوط السابق 565 ج - فى
الاخير -

رجز فى النعال الشريفة

كان المقرئ قد جعل هذا الرجز
خاتمة لكتابه السابق : فتح
النعال ثم أفرد فى نسخة بعث
بها الى الشيخ محمد بن أبى
بكر الدلائى ، فانتشرت فى
المغرب .

مخطوط خ.ع 984 د ضمن مجموع
(من ورقة 99/ب الى ورقة 106/أ)

أزهار الكمامة فى شرف العمامة

وهو رجز فى موضوع العمامة
الندوية أرسل المقرئ النسخة
الى كتيبها فى المدينة المنورة
الى الشيخ محمد بن أبى بكر
الدلائى ، ويشتمل هذا الرجز
على نحو 320 بيتا . ومطاعه :

فإن الفقير المقرئ المرتجى
دخول باب العفو غير المرتجى
حمدا لمولى شرف العمامة
بلبس من ظلل بالعمامة

(14) الدر الثمين في أسماء الهادي | ذكره المحب في خلاصة الاثر I : 303
الامين

في علم الجدول وسر الاسماء

(15) نيل المرام المغتبط لطالب
المخمس الخالي الوسط
وهو رجز في علم الوقف وسر
الاسماء مطلعه :
أحمد من وفقنا وأفهمنا
ما لم نكن نعلمه وألهمنا

مواضيع مختلفة

(16) البداية والنشأة | ذكره المحب في خلاصة الاثر I : 303
وهو كتاب مملوء أدبا ونظما
(17) الفث والسمين ، والرث والشمين

(ج) العربي الفاسي

أبو حامد محمد العربي بن الشيخ أبي الحساسين يوسف الفاسي ، المؤرخ
الاديب ، العلامة المشارك ، مؤلف كتاب مرآة الحساسين ، يمتاز بالجرأة النادرة
في الحق ، والدعوة الى الدفاع عن حوزة الوطن . وهو الذي أفتى بوجوب
الجهاد لطرد المحتلين الاجانب من الشغور ولو مع عدم وجود الامام . تأييدا
لمجاهد العياشي السلولي . ومما ورد في هذه الفتوى الطويلة قوله : «ولا
يتوهم متوهم أن ترك مذائق المسلمين في أيدي الكفرة يدل على عدم الوجوب ،
لأن ذلك من تقصير الملوك ، وهم بذلك في محل العصيان ، لا في محل الاقتداء
بهم والاستئناس ، ولا فرق في الحكم بين ما أدركنا من أخذ كالعرائش والمعمورة
وإن كانت غير معمورة ، وبين ما لم ندركه كسبته وطنجة (97) . لأن الوجوب
متعلق بالمسلمين لا بقيد زمان ولا مكان . » (98)

وكانت حادثة تسليم العرائش للاسبانيين على يد الشيخ الحامون السعدي
شعاعه في نصرة طاغية النصراري ومساعدته له على استخلاص الملك من يد

(97) كان استيلاء الاسبانيين على سبتة عام 1416/819م ، وعلى طنجة عام 1437/841 وعلى
المعمورة عام 1513/921 . وعلى العرائش عام 1610/1019 .

(98) عبد العزيز الزياتي ، الجواهر المختارة مما وقفت عليه من التوازل بجبال غمارة 12112/ب

أخيه زيدان ، وما ترتب عن ذلك من استفتاء الماعون علماء فاس لتبرير فعلته الشنيعة مدعيا اضطرابه لافتداء أولاده وحشمة المرهوتين في بلاد العدو بهذا النفر الإسلامي ، كانت هذه الحادثة سببا في خروج أبي حامد الفاسي وأخيه الحافظ أحمد من فاس فرارا بدينهما ، وامتناعا من ممالاة ذلك الأمير الضال على فساد وبعي ، وقصدا قبيلة مصمودة بناحية وزان . حيث توفي الإمام أحمد الفاسي هناك بعد نحو سنة من خروجهما (99) ، وبقي أبو حامد متنقلا في البوادي ، وكان أكثر إقامته في هذه الفترة بالزاوية الدلائية . حيث أخذ عن الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي . وسمع منه صحيح البخاري . وتصدر للتدريس فتتلمذ له أكثر علماء الدلاء ، وأجاز منهم الشرقسي بن أبي بكر الدلائي ، وأخاه أحمد الحارثي وغيرهما . وقد ذكر العربي الفاسي في آخر كتابه **مرآة المحاسن** محمد بن أبي بكر الدلائي في جملة شيوخه وخصص له ترجمة حافلة قائلا عنه : «عالم حافظ دراك ، خاتمة مشايخ المغرب انتهت إليه رئاسة الدين والدنيا ، واستقل بساسة الأمور الجليلة والرتب العليا» (100) . وكانت تطوان خاتمة مطاف أبي حامد ، وبها توفي عام 1052/1042 (101)

د) علماء آخرون تخرجوا في الزاوية الدلائية

الاخوان العكاريان

الاخوان العكاريان محمد وعلي درسنا معا بالزاوية الدلائية وتخرجنا فيها على يد الإمام أبي علي اليوسفي وغيره ، ثم قصدا مدينة فاس واشتغلا فيها بالتدريس مدة . وأخيرا رجع محمد العكاري الى مسقط رأسه بمراكش وأقام بها الى أن توفي ، بينما قصد أخوه علي العدوتين واستقر بهما الى أن وافاه الأجل بمدينة الرباط . هذا ما اتفق عليه كل من تعرض لخبر هذين الشيخين ، خصوصا أبا الحسن العكاري الحفيد في كتابه **البدور الضاوية** في ذكر الشيخ وأصحابه وبناء الزاوية الذي ترجم فيه لجدّه علي العكاري صاحب الضريح المشهور في الرباط . لكن المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان صاحب **اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس** جعل الرباطي من الاخوين العكاريين هو

(99) كان خروج الاخوين أحمد وأبي حامد من فاس صبيحة يوم السبت السابع عشر من صفر عام 1012/0120 كما ذكره في **مرآة المحاسن** . ص 55 . وتوفي الحافظ أحمد الدلاسي عام 1012/1021 .

(100) العربي الفاسي ، **مرآة المحاسن** . ص 225 وما بعدها .

(101) الرجوع في ترجمة العربي الفاسي الى : محمد القادري : **نشر الثاني** : 1 : 180 - 183 السلفطان سليمان العلوي . **غاية أولى المجد** . ص 29 - 32 . محمد بن جعفر الكتاني . **السلسلة** . 2 : 313 - 315 .

محمد (102) ونسب اليه كثيرا مما ذكره الناس لآخيه علي ، معبرا عن مؤلف
البدور الضاوية المذكور بأنه حفيده ، ناقلا عنه بالنص فقرة طويلة لم أجدها
في النسختين المحفوظتين بقسم الوثائق من الخزانة العامة بالرباط (رقم 88د
و 2392ك) وإن كانت بعض الاخبار التي يتحدث عنها النص المنقول موجودة في
النسختين المذكورتين بعبارة أخرى . لذلك نتساءل : هل هناك كتابان في
مناقب شيخ الرباط العكاري ؟ أم ان الامر يتعلق بنسخ مختلفة لكتاب واحد ؟
وبرجع الاحتمال الثاني لما ذكره المؤرخ الرباطي محمد بوجندار في كتاب
الانقباط من أن النسخ الموجودة من **البدور الضاوية** كلها مبتورة من الاوائل
والاواخر والاثناء ، وأنها وقعت أولا في يد الفقيه الحاج محمد بن الغازي
الرباطي فلقق ما عشر عليه منها وأنشأ لها خطبة وخرجها بعد التنبيه على ما بها
من البتر (103) ولعل الخزانة الزيدانية تحتوي على نسخة سالمة من ذلك البتر
كله أو بعضه ، غير ان تسمية شيخ الرباط محمدا العكاري سبق قلم لا يحتمل
الشك ولا يقبل الجدل ، اذ المتواتر عند الناس خلافه ، والقصائد الكثيرة
التي قيلت في رثاء شيخ الرباط تكتيه أبا الحسن أو تسميه عليا .

... فغدا مع الشيخ الشريف أبي حسن علي أوحده العصر
وفي مرثية الاديب أحمد بن محمد عمور القاسي :

... ذخري أبو الحسن الشريف أخو الفضال والاكرام ذو العزم
والخلط واقع كذلك لامحالة عند المؤرخ ابن زيدان في قوله أن أبا
الحسن العكاري مؤلف **البدور الضاوية** هو حفيد الشيخ محمد العكاري ، مع
أن ترجمة العكاري الحفيد معروفة بخلاف ذلك ، بل تجده هو نفسه يترجم في
كتابه **البدور الضاوية** لوالده محمد ، وأجده علي . ويذكر محمدا العكاري دفين
مراكش على أنه أخو جده . وقد عد ابن زيدان من تلاميذ العكاري الرباطي
القاضي عبد الله بناني وأحمد عاشور ، مع أن الاول اتصلت حياته الى حدود
عام 1220/5 - 1806 والثاني الى حوالي عام 1250/34 - 1835 . والثابت في
كتب التراجم أن الشيخ عبد السلام بناني جد القاضي عبد الله بناني هذا هو
الذي أخذ عن الشيخ علي العكاري بالرباط .

والعكاري المراكشي هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الشريف
الحسني كان أدبيا خطيبا مصقعا ، استقر بالزاوية الدلائية طالبا للعلم مدة

(102) عبد الرحمن بن زيدان ، **الانقباط** ، ج 1 ، ص 340 .

(103) محمد بوجندار ، **الانقباط** ، ورقة 1/230 .

طويلة ، ساكنة مع رفيقه ابن عبد الرحمن الصومعي في بيت واحد من بيوت مدارسها . ولما لحق به أخوه علي من مراكش ليدرس كذلك بالزاوية أقام معهما في نفس البيت . وقد حضر محمد العكاري مجالس الدلائيين في مختلف الفنون ، ولازم دروس الشيخ الحسن اليوسي أخذاً عنه النحو والبيان والمنطق والفقه والاصول والتوحيد الى أن نال منه اجازة عامة ، ولما حصل على ملكة علمية أخذ يدرس بالزاوية الدلائية للمبتدئين من الطلاب ، وكان من جملة الآخذين عنه فيها رفيقه محمد بن عبد الرحمن الصومعي .

وبعد تخريب الزاوية الدلائية توجه محمد العكاري الى فاس ، وأقام بها مدة يطلب العلم ، وأجازه الشيخ عبد القادر الفاسي اجازة عامة قبل أن يرجع الى مسقط رأسه بمراكش . لكنه لم يستقر به المقام طويلا حتى ورد عليه كتاب السلطان اسماعيل يأمره بالتقدم الى مكناس ليكون امامه في الصلوات ، وخطيب الجمعة والاعياد في المسجد الكائن داخل القصبة السلطانية ؛ فاستقر محمد العكاري بالعاصمة الاسماعيلية مدة اشتغل فيها علاوة على الامامة والخطبة بالتدريس وافادة الطلاب ، وتخرج على يده عدد كبير منهم . وقد ابتلى هذا العالم في اواخر حياته بالمرض المعروف (بالضيق) فطلب من السلطان أن يأذن له في الرجوع الى مراكش «فأعفاه وتركه بعد أن كتب له عهدا كبيرا بليغاً باحترام جميع من هو في جواره ، وتوقيعهم ومحاشاتهم» (104) وألح المرض على الشيخ العكاري في مراكش ، الى أن توفي ، ودفن بقرية جده الامام الشيخ التركي ، اذ هي مقبرة آل العكاري بمراكش . ولم يذكر له حفيد أخيه ولا غيره ممن ترجم له تاريخ وفاة . ولعله هو الذي توفي عام 81/1092 - 1682 لا أخوه شيخ الرباط علي ما ذكره ابن زيدان في **الاتحاف** نقلا عن كناشة الوزير اليعمدي (105) .

وأما العكاري الرباطي فهو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسني ، العلامة المشارك المدرس النفاع ، ورد الراوية البكرية طالبا للعلم بعد أن صاحب الشيخ محمد بن عبد الله السوسى وأخذ عنه طريقة التصوف في مراكش فكان مع أخيه في البيت فاذا هو بحالة أخرى من التحري ومجاهدة النفس

(104) علي العكاري الحفيد ، **البدور الضاوية** ، ص 108 .

(105) اليعمدي هو العلامة محمد بن أحمد وزير السلطان اسماعيل وأمين مكتبته . له كناشة علمية هامة في 10 مجلدات بالخزانة الزيدانية بمكناس ، وفي الخزانة العامة بالرباط نسخة في مجلدين ضخمين بخط دقيق تحت عدد 5330 .
انظر ترجمة محمد العكاري في : علي العكاري ، **البدور الضاوية** ، في صفحات متفرقة وعباس بن ابراهيم ، **الاعلام** ، ج 4 ص 363 ، وأحمد الولاى ، **مباحث الانوار** ، في صفحات متفرقة .

والوقوف على الحدود ، فكان لا يفتاب أحد بين يديه ومع ذلك فهو يشاركنا في أخذ العلوم الآلية عن الشيخ ابن مسعود مثل البيان والمنطق وأصول الفقه وغيرها كالفقه وأصول الدين (106) وكان ذكيا حسن الإدراك لا يحفظ القرآن الكريم ولا المتون ، خلافا لما كان شائعا في ذلك الوقت من تغلب الحفظ على الفهم ، فكان رفاقه الطلبة يتعجبون من حسن تحصيله بالرغم من عدم اعمانه النظر في الشروح والحواشي ، خصوصا وقد كان يدرس معهم كتباً صعبة مثل جمع الجوامع في الاصول بشرح جلال الدين المحلي ، فيطالعها مرة واحدة قبل حضور المجلس ويكفيه ذلك لتفهم الموضوع والاحاطة به . وقد أجازته مع أخيه محمد المتقدم الامام الحسن اليوسي اجازة عامة ، ذكر فيها أنهما لازما دروسه في مختلف الفنون . كما أجازهما الشيخ عبد القادر الفاسي (107) وبعد تخريب الزاوية الدلائية قصد على العكاري مدينة فاس واشتغل بالتدريس فيها . ويحدثنا القاضي أبو عثمان سعيد العميري المكناسي (108) عن هذه الفترة من حياة على العكاري بقوله : « لما دخل الشيخ على العكاري حضرة فاس حين قفل من الزاوية الدلائية ، والعلماء اذ ذاك متوافرين بها غاية ، وكنت حينئذ بالحضرة المذكورة بصدد تحصيل العلم ، شرع يدرس كبرى الامام السنوسي (109) بجامع القرويين منها . فسمع بذلك فقهاء الحضرة وكان هذا الكتاب من أجل ما يتنافس فيه المتنافسون ، فاجتمعت جماعة من الفقهاء ، وجئنا قاصدين مجلسه لننظر قراءته ونختبر حاله ، بقصد الانتقاد عليه والامتحان له ، فحضرنا مجلسه بهذه النية ، فألفيناه جالسا وقد غص عليه المجلس بالطلبة ، وضربوا عليه حلقة عظيمة حافلة ، وهو يدرس بصوت فصيح جهوري ، وشاشيته مائلة لاحد شقي رأسه اشارة الى تمهره ، وعدم اكترائه

(106) أحمد بن يعقوب الزلائي . مباحث الانوار ، ورقة 1/7

(107) أنظر نص اجازة الامام الحسن اليوسي وعبد القادر الفاسي للاخوين العكاريين في : على العكاري . البدور الضاوية . ص 2 - 5

(108) سعيد بن أبي القاسم العميري - بفتح العين وكسر الميم نسبة الى بني عمير قرب تادلة المشهورين - كان آية في النحو والبيان ، اختاره السلطان اسماعيل للتدريس بحضرته وولاه قضاء غاصمته . وجعل له الشورى في مهماته ، فكان له بذلك نفوذ كبير في البلاط الاسماعيلي بمكناس . حتى كان يعبر عنه بعض معاصريه بالوزير . أخذ العميري عن الشيخ على العكاري والحسن اليوسي وطبقتهما ، وتوفي بمكناس عام 1718/1131 .

(109) الامام السنوسي هو محمد بن يوسف عالم تلمسان وامامها الكبير . صاحب العقائد الكبرى والوسطى والصغرى والصغرى الصغرى . وصاحب الحواشي على صحيح مسلم توفي بتلمسان عام 80/895 - 1490 .

بمعتقد عليه . لعرفته لاحكام الفن المذكور ، وكأنه تحدى بذلك الكتاب
اذ ذاك . . . (II0)

وبعد ذلك توجه على العكاري الى مدينة سلا ، وأقام فيها يدرس العلم
بمسجدها الاعظم ، وأخذ عنه كثير من أعلامها ، كالقاضي أبي عبد الله محمد
المنصوري السوسي (III) والقاضي أبي عبد الله محمد زنيبر (II2) والفقيه
أبي محمد عبد الله الجزار بن أحمد حجي (II3) . والعلامة أحمد بن عاشر
الحافي (II4) والاديب محمد ملاح (II5) . وكان الامير عبد الواحد بن السلطان
اسماعيل (II6) ساكنا بالرباط ، فلما سمع بالشيخ على العكاري قصده بسلا
للاخذ عنه ، ثم طلب منه أن ينتقل الى العدوّة الاخرى ، فلبى الشيخ طلبه ،
ونزل معه بداره في رباط الفتح ، وبدأ يلقي دروسه في ضريح أبي العباس
أحمد بن موسى العايدى (II7) تارة وفي المسجد الاعظم تارة أخرى ، وكان

- (II0) على العكاري الحفيد ، البدور الضاوية . ص 7 .
(II1) محمد المنصوري السوسي قاضي سلا والمحلة البخارية . له شرح على مختصر السنوسي
في المطلق . وشرح على كبراه . وحواسر على العقيدة الكبرى للسنوسي أيضا . توفي
عام 1729/1142 ودفن بزاوية سيدي مغيث في حي الطالعة بسلا .
(II2) أبو عبد الله محمد زنيبر المحدث الاديب قاضي سلا . صاحب شرح همزية البوصيري
وقعت له محنة مع عامل سلا عبد الحق فيش فهاجر مدة الى الرباط . كان حيا عام
1752/1165 وتوفي في سلا معروف بالقرب من ضريح الشيخ أحمد بن عاشر . انظر
ترجمته في : محمد بن علي الدكالي ، الاتحاف الوجيز . ص 105 .
(II3) عبد الله الجزار حجي اشتهر بالعلم والنسك ، وكان من أخص تلاميذه الشيخ على العكاري
وأحبهم اليه . لازمة حتى بعد انتقاله الى السكنى بالعدوّة الاخرى فكان يحضر معه
صلاة الجمعة في الرباط ولا تفوته مجالسة العلمية فيه . توفي عام 1710/1122 .
(II4) أبو العباس أحمد بن محمد بن عاشر بن عبد الرحمن الحافي السلاوي صاحب الفهرست
التي ذكر فيها علماء عصره . ومؤلف تحفة الزائر في ترجمة فخر سلا ابن عاشر الذي
عرف فيه بالشيخ أحمد بن عاشر الجزيري السلاوي . وتوفي أحمد الحافي بسلا
عام 1163/49 - 1750 .
(II5) أبو عبد الله محمد ملاح السلاوي . قال عنه أبو الحسن العكاري الحفيد مؤلف البدور
الضاوية انه كان يعبر النهر كل يوم ليحضر مجالس الشيخ على العكاري بالرباط .
وقد وقف له على قصائد رائقة بلسنة . وكتب بعضهم في الجامع انه عاش الى حدود
عام 1175/61 - 1762 .
(II6) الامير عبد الواحد بن السلطان اسماعيل العلوي . أمه عربية من قبيلة بني مالك الشهيرة
بمصر وهي سوق أربعاء الغرب . وهي قبيلة المجاهد محمد المياشي السلاوي ولعل لذلك
علاقة باقامة الامير بالعدوتين ولم أقت على تزيين وفاته .
(II7) يوجد هذا الضريح بحي السويقة بالرباط قرب مسجد مولاي سليمان بينهما طريق
ممتدة بين (اليوية) وسيدي قاتح .

يحضر هذه المجالس العلمية علماء العدوتين ، كابنه محمد العكاري (118) وأبي العباس أحمد والزهره (119) وعامل الرباط أحمد حجي مرينو الاندلسي (120) وأخيه القاضي محمد مرينو (121) وأبي عبد الله محمد الزبدي (122) والحافظ أحمد بن عبد الله الغربي (123) وقد لقي الشيخ على العكاري السلطان اسماعيل وتحدث معه طويلا . وتختلف الروايات في مكان هذا اللقاء وكيافته . فيروي أبو الحسن العكاري الحفيد - على ما ورد في نسخة الخزنة العامة بالرباط - عن الفقيه أبي يعزى بن محمد المستطاسي السلاوي تلميذ الشيخ على أن الملاقاة كانت بمدينة مكناس وزاد قائلا : «... وأنا حاضر واقف خلف الشيخ إذ ذاك . فحين تلاقي بالملك خضع له الملك وأهوى ليد الشيخ يريد تقبيلها ، فقال له الشيخ : لا تفعل وقل السلام عليكم . فطلب منه الدعاء بأن قال له : يا سيدي على ادع الله لي . الله يجعلني عبدا مخلصا لله . فقال له عند ذلك : اللهم آمين . الله يجعلك يامولاي عبدا مخلصا لله . وفرح الملك بذلك فرحا شديدا ، وعظمه غاية التعظيم وقال له : أردناك أن تكون امامنا في هذا المسجد ، وكان إذ ذاك يبني مسجد الأنوار (124) بمكناسة دار مملكته . فقال له الشيخ رضي الله عنه : حتى يتم المسجد بالبناء ان شاء الله ولا يكون الا ما يحب السلطان ...» (125)

- (118) محمد بن علي العكاري العلامة المشار له بقرا الا على والده . وكتب من املاء والده تعالين قيمة على مختصر الشيخ خليل . و الفية ابن مالك . و كبرى النوسى . و سلم الاخضرى وغير ذلك ، وتصدر بعد والده للتدريس والافتاء بالرباط . لم آقف على تاريخ وفاته
- (119) أبو العباس أحمد بن يحيى والزهره . عالم مشارك أجازته الشيخ العكاري اجازة عامة . وكان جده من وجهاء الاندلسيين أهل الحل والعقد بالرباط اواخر الدولة السعدية . توفى بعد عام 1098/1110 في سفره الى الحج بعد أداء الفريضة
- (120) أبو العباس أحمد حجي الاندلسي الاديب الشاعر الروشاح . كان يسرد صحيح البخاري على الشيخ العكاري بالمسجد الاعظم بالرباط . مات بعد عام 1135/1722 .
- (121) محمد مرينو قاضي الرباط أخذ عن الامام المستنوي الدلائي في فاس ثم عن الشيخ العكاري بالرباط . وقد خلف أخاه أحمد في سرد صحيح البخاري بين يدي الشيخ العكاري . توفى بعد عام 1143 1730
- (122) محمد بن الحاج ابراهيم الزبدي الاندلسي أحد فقهاء الرباط المستخرجين على يد الشيخ العكاري ومن أكبر خواصه . ترجم له محمد بوحدار في الاغتيباط ورقة 57 ولم يذكر تاريخ وفاته
- (123) الحافظ أحمد بن عبد الله الغربي العلامة الرحالة الذائع الصيت بالمغرب والمشرق توفى عام 1178/1764 ودفن بالزاوية المنسوبة اليه قرب دريع مولاي ابراهيم بمدينة الرباط
- (124) مسجد الأنوار بمكناس هو المعروف اليوم بمسجد سوق السباط . أنظر أخباره في الانصاف 1 : 162
- (125) على العكاري الحفيد . البدور الضاوية . من 44

ويذكر ابن زيدان في كتاب **الاتحاف** أن اللقاء بين السلطان اسماعيل والشيخ العكاري كان في المسجد الاعظم بالرباط ، وذلك - على ما يظهر - من جملة النص الذي نقله عن **البدور الضاوية** ، قال : «... ثم ورد السلطان الاعظم مولانا اسماعيل على رباط الفتح ولما التقى به نجله المولى عبد الواحد المذكور حدثه بحال الشيخ المترجم ومناقبه وفصائله ومحاسنه . فقال له : لا بد لي أن التقى معه في هذا اليوم وأخذ عنه الطريقة الشاذلية تبركا . فركب السلطان وولده ، فوجدوا المترجم بالجامع الاعظم يسرد **صحيح الامام البخاري** ، وكان السارد لديه الفقيه العلامة القاضي سيدي عبد الله بناني الاندلسي (126) ولما دخل السلطان صلي تحية المسجد وجلس لاستماع الحديث والشيخ لم ينظر اليه . ولما تم المدرس نظر الشيخ الى القاضي وقال له : اختتم الفاتحة فقال له حاشا معاذ الله والسلطان ينظر بعينه . ولما قام من مجلسه جذبه السلطان وعانقه وجلس بازائه وقال له عظمي يا ولي الله . وتذاكروا ساعة زمانية وافترقوا (127) .

ويذكر ابن زيدان بعد ذلك أن الشيخ العكاري لما رجع الى داره بعد هذه المقابلة وجد بها مالا كثيرا أهدها اليه السلطان اسماعيل ، فبعث الى تلميذه أبي عبد الله الزبدي وقال له : خذ هذا المال وافعل به ما شئت ، فاشتري الزبدي للشيخ دارا كبرى بدرب البروزي من حومة السوق (128) مجاورة للدار الصغرى التي كان يسكنها ودفن فيها بعد مماته . ولم ينفصل السلطان عن الرباط ويتوجه الى سبلماسة - حسب رواية ابن زيدان - الا بعد أن سحب معه الشيخ العكاري وعشرة من تلاميذه من فقيهاء العدوتين وذلك ليؤم به في الصلوات الخمس ويختتم معه صحيح البخاري ، ويتبرك به أنجال السلطان في تافيلالت .

ولما استورد السلطان اسماعيل مدينة الميمنية من يد الاسبان عام 1092 / 1681 وكان قد شارك في هذا الفتح كثير من المجاهدين السلاويين ، منهم الشيخ أحمد حجي رفيق الشيخ علي العكاري وصديقه الحميم ، طلب السلاويون من السلطان اسماعيل أن يأذن برجوع الشيخ علي العكاري الى مدينتهم فوافقهم

(126) لا يوجد اسم عبد الله بناني من بين تلاميذ الشيخ علي العكاري في نسخة **البدور الضاوية** المحفوظة بخزانة الرباط . ولم يترجم بوجندار في **الاغنياء** الا للقاضي عبد الله بن محمد بن عبد السلام بناني الخولفي في حدود العشرين من القرن الثالث عشر الهجري .
(127) عبد الرحمن بن زيدان ، **اتحاف اعلام الناس** ، ج 4 ، ص 96 .
(128) ما يزال حدة الشيخ علي العكاري يسكنون هذه الدار برفقة سيدي عمرو يحيى السويقية في الرباط ، وهي متصل بمزيج الشيخ العكاري بواسطة موصف (مخراجه) موجود حتى اليوم

على ذلك وعاد العكاري من جديد الى سلا ، وسار فيها بسيرته الاولى من تدريس العلم بمسجدها الاعظم وأقبل عليه طلبتها وعلمائها اقبالا كبيرا . ولا ندرى المدة التي قضاها الشيخ على العكاري في هذه الاقامة الثانية بسلا ، ولعلها لم تطل اذ كانت للشيخ تعلقات كثيرة بالعدوة الاخرى ، لاسيما وهو يمتلك هناك دارين صغيري وكبرى كما رأينا . فرجع الى الرباط وقضى بها آخر أيامه في حالة مرضية من النسك والعبادة ، ونشر العلم وتعميم الافادة ، الى أن توفى عام 1766/1118 (129) .

محمد بن عبد الرحمن الصومعي

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الزمراني التادلي الصومعي ، نسبة الى قرية الصومعة الشهيرة بتادلا (130) العلامة الحشبارك ، الورع الصالح ، صاحب شرح سمينية ابن باديس (131) وشرح همزية البوصيري (132) . مكث مدة طويلة في الزاوية الدلائية مقيما في غرفة من غرف مدارسها مع الاخوين العكاريين المتقدمين . وكان يلزم مجالس الشيخ أبي علي اليوسفي وغيره ، ثم

(129) جعل ابن زيدان وفاة الشيخ العكاري الرباطي عام 81/1092 - 1682 نقلا عن كتابه الوزير اليمهدي . وهذا من ذيول الخلط بين الاخوين العكاريين وربما كان المتوفى في هذا التاريخ هو محمد العكاري دفين مراكش ، اذ هو أكبر من علي سنا ، فيناسب عادة أن تتقدم وفاته عليه ، كما انه هو الذي يستأثر باهتمام الوزير اليمهدي أكثر مادام قد عاش واباد في بلاط السلطان اسماعيل اماما وخطيبا كما تقدم في ترجمته .

(130) ما تزال قرية الصومعة قائمة حتى اليوم متصلة بمدينة بني ملال . وقد أنجبت كثيرا من العلماء مثل عبد الرحمن بن اسماعيل الصومعي صاحب التشوف في رجال السادات أهل التشوف المعروف بالتشوف الصغير . وأحمد بن أبي القاسم الصومعي شيخ زاوية الصومعة أيام ازدهار الزاوية الدلائية ، وهو الذي أجاز المقرئ صاحب نصح الطبيب وأخرج له ستين مجلدا كلها من تصنيفه ، وكانت له خزانة علمية تحتوي على 1080 مجلدا . توفى عام 1604/1013 .

(131) أبو الحسن بن أبي القاسم بن حسن بن باديس القسنطيني ، صاحب النفحات القدسية وهي قصيدة سينية مطعما :

الأصل الى بغداد فهي هنا النفس . وحدث بها عن نوي باطن الرمس ذكر فيها الشيخ عبد القادر الجلاني وأشهر تلاميذه وجعل لها شرحا سماه اللوحات الانسية وقال محمد القادري في نشر المثاني (108:2) انه وقف على شرح الصومعي لهذه السبئية وهو شرح عجيب جمع فيه بين الاختصار والتحقيق ، وتوفى ابن باديس عام 1385/787 م .

(132) شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري المصري المتوفى عام 696هـ - 1296 . له قصيدتان شهيرتان في مدح الرسول الكريم أحدهما بحمية وتعرف بالبردة والاخرى همزية ومطعما : كيف ترقى رقيبك الانبياء يا سماء ما طاولتها سماء .

ولها شروح كثيرة . ويمتاز شرح الصومعي بعدم الاطالة والاستطراد ، والاقتصار على ما لا بد منه لتحليل الابيات ومعرفة ما تشير اليه من احداث في السيرة النبوية الكريمة . ويوجد هذا الشرح في قسم المخطوطات بأثرانة العامة بالرباط تحت عدد 232/ك . ضمن مجموع

نقطع مدة عن دروسه للالتحاق بمراكش من أجل الاتصال بالشيخ الصوفي محمد بن عبد الله السوسى وسلوك طريق القوم على يده . فاغتم اليوسى سفره إذ كان يرى فيه استعدادا كبيرا للاستفادة من دروسه ويعدده من أنجب طلابه الذين يتوسم فيهم الاهلية لتحمل الامانة العلمية . ولم تطل غيبة الصومعى فى مراكش ، فخرج منها مع شيخه ابن عبد الله السوسى راجعا الى الراوية الدلائية عام 1071/1660 وانقطع من جديد الى دروس الامام اليوسى وغيره من العلماء الدلائيين ، الى أن تخرج عالما كبيرا ، ومصلحا ناصحا . ورجع الصومعى بعد حادثة تخريب زاوية الدلاء ، الى مسقط رأسه فى تادلا وأقبل هناك على نشر العلم بين طلبة قبيلته وغيرهم من أبناء الاقليم التادلى ، وتكاثر الآخذون عنه فيها ، وأجمع الناس على محبته وتعظيمه ، وصلحت أحوالهم بارشاده ، ثم صحب الشيخ الصوفى أحمد بن عبد الله صاحب زاوية الخفية بفاس وحج معه الى بيت الله الحرام عام 1100/1688 ، وظل يتردد اليه فى مناسبات الاعياد الدينية . ويحدثنا أحمد الولاى عن حال رفيقه الصومعى عام 1109/1697 وهو التاريخ الذى ألف فيه **مباحث الانوار** بقوله : «وهو وفقه الله تعالى الى الآن مقبل على ما يعنيه من العلم والعمل ، تخرج عليه فى العلم ناس من أصحابه ، وتهذب بمصاحبته أخلاقهم وهو حسن العهد ، منقطع من الولاة . لا يرى غالبا الا ذاكرا أو مشغلا بالعلم تعليما ومطالعة أو مذاكرة . وعرفه ذو النصف ، سليم الصدر ..» (133)

توفى محمد بن عبد الرحمن الصومعى عام 1123/1712 (134) .

أحمد بن يعقوب الولاى

أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الولاى (بفتح الواو وتشديد اللام الاولى) نسبة الى بنى ولال احدى بطون قبيلة آيت عطا (بتشديد الظاء) الصنهاجية المشهورة بأقصى جبال ملوية (135) وكان أحمد بن يعقوب من أعلام زمانه علما وتدينا «يجيد التعبير عن كل ما يريد ، متبحرا فى العلوم

(133) أحمد بن يعقوب الولاى ، مباحث الانوار ، ورقة 31 .

(134) يرجع للصومعى أحمد الولاى فى مباحث الانوار ، ورقة 31/1 وما بعدها ، ومحمد القادري

فى نشر الثاني ، 108:2 - 109 .

(135) لى لال صلات وثيقة قديمة بأبناء عمومتهم انجاطيين . وكان محمد بن يعقوب الولاى من يريدى أبى بكر الدلائى وعنه أخذ الطريقة الشاذلية كما كان ابنه محمد الولاى من تلامذة محمد بن أبى بكر الدلائى . قضى أحمد هذا حياته كلها يطلب العلم فى الزاوية البكرية ولم تقتصر الصلات بين القبيلتين البربريتين على الناحية العلمية بل شملت الناحية الحربية أيضا ، فكان بنو ولال من أهم القبائل المتحصنة للرئيس محمد الحاج الدلائى ومن أحسن العناصر التى يعتمد عليها فى ناحيتى مكناس وفاس وسهول سايس لذلك تعرض الولايون لغارة الرشيد بن الشريف قدوخهم قبل أن يتوجه الى الدلاء .

محققا لها» (136) انقطع الى طلب العلم فى الزاوية الدلائية زمنا طويلا مقيما فى إحدى مدارس الزاوية ، وقد توثقت الصلة بينه وبين محمد بن عبد الرحمن الصومعى والاخوان العكاريين المتقنين . درس على الامام أبى على اليوسى واضرابه مختلف الفنون من فقه ، وأصول ، ونحو ، ومنطق . ومن أهم الكتب التى درسها هناك ، **جمع الجوامع للسبكي** ، **ومختصر الشيخ خليل** ، **وتلخيص المفتاح للقرويني** ، **والتسهيل لابن مالك** . ولما حل الشيخ محمد بن عبد الله السوسى بالزاوية البكرية كما تقدم ، أخذ عنه أحمد الولالى الطريقة الصوفية ، فأكمل بذلك تكوينه العقى والروحى . وبعد أفول نجم الزاوية الدلائية قصد أحمد الولالى مدينة مكناس واستقر بها متصدرا للتدريس فى قصبة الحضرة السلطانية الاسماعلية ، وأقبل الطلبة على مجالسه العلمية المفيدة . ومن تخرج على يده من علماء مكناس أبو القاسم بن سعيد العميرى (137) والطبيب عبد القادر بن شقرون (138) . وألف أحمد بن يعقوب كتبا عديدة أغلبها شروح وحواش على الطريقة المعروفة فى عصره . منها شرح **مختصر المنطق** للشيخ السنوسى ، وشرح **السلم المروتنق فى المنطق** أيضا للاخضرى (139) وشرح **تلخيص المفتاح** ، فى البلاغة للخطيب القروينى ، وشرح **لامية الافعال** ، فى التصريف لابن مالك ، وشرح **روضة الازهار فى التوقيات** للجادري (140) وحاشية على شرح **المحلى لجمع الجوامع** . فى الاصول . ولعل أهم كتبه وأفيدها جميعا هو كتاب **مباحث الانوار فى أخبار بعض الاخيار** ، الذى ألفه فى مطلع القرن الحادى عشر الهجرى للتعريف بشيخه أبى عبد الله السوسى ، وذكر فيه كثيرا ممن أخذوا عنه . كما ترجم فيه لاييه وجمه ، وشيوخهما من الدلايين وغيرهم ، ولطائفة مهمة من العلماء الذين لقيهم أو كاتبهم . وقد خصص أحمد بن يعقوب الخاتمة لذكر من اشتهر شرفه بالمغرب ، وفى هذا

(136) محمد الجادري ، نشر المائى 114:2

(137) أبو القاسم هذا هو ابن القاضى سعيد بن أبى القاسم العميرى المتقدم . وكان مثل أبيه فقيها تولى القضاء بمكناس وأخذ عنه كثير من العلماء . توفى عام 64/1178 - 1703

(138) عبد القادر بن العربى المنهوى المدغرى ، المعروف بابن شقرون المكناسى الفقيه النحوى الاديب الطيب الشارح . من مؤلفاته شرح **البسط والتعريف فى التصريف للمكودى** ، و **الارجوزة الطبية** المعروفة بالشرقونية . مات بعد عام 1140/1727

(139) عبد الرحمن بن محمد الصغير الاخضرى . مؤلف **السلم المروتنق فى المنطق** ورسالة **الحساب والجوهر المكنون فى الثلاثة فنون** - المعانى والبيان والهدى - وغيرها من الكتب التعليمية المشهورة . من رجال القرن العاشر الهجرى

(140) أبو زيد عبد الرحمن بن أبى غالب الشهير بالجادري موقت جامع القرويين بفاس ومؤلف **روضة الازهار فى علم وقت الليل والنهار** . وهى ارجوزة تشتمل على 336 بيتا يدرسها الناس ويعتمدون عليها فى هذا الفن حتى اليوم . توفى بفاس عام 839/1435

الكتاب تبدو قدرة المؤلف على التعبير وحسن الاداء في أسلوب سليم خال من التكلف وقد تحدث فيه كثيرا عن الزاوية البكرية ، خصوصا في المبحثين الاول والثاني وسجل من أخبارها وأوصافها ما لا يوجد عند غيره من المؤرخين وكانت وفاة أحمد الولالى بمدينة مكناس عام 1715/1128 (I41).

أحمد القادري

أبو العباس أحمد بن عبد القادر القادري الحسنى ، الفقيه الاديب ، العلامة الصوفى صاحب نسمة الآس في حجة سيدنا أبى العباس ، وهى رحلة حجازية مفيدة جدا على اختصارها ، ألفها عندما حج للمرة الثانية عام 1100/1688 صحبة الامام العارف أحمد بن عبد الله معن (I42) وقد سبق للقادري أن حج للمرة الاولى عام 1083/1672م وزار مصر حيث التقى بشيوخها وأعلامها وأقام أحمد القادري فى الزاوية الدلائية طويلا يأخذ العلم عن محمد المرابط الدلائى والحسن اليوسى وغيرهما ، ثم أصبح الى الدلائيين فتزوج بنت الشاذلى أخى الرئيس محمد الحاج مستقرا نهائيا بالزاوية الدلائية الى أن خرج منها مع أهلها عندما خربها السلطان الرشيد ، ففقد زاوية الصومعة بتادلا حزينا يبكى مجد الدلاء الغابر ، ويندب جدها العاثر ، وقد روى عنه صاحب تحفة المعاصر (I43) عبارات مؤثرة وصف بها حادثة اخلاء الزاوية .

كان أحمد القادري يقرض الشعر فى سهولة ويسر ، وله رجز فيمن هاجر الى الحبشة من الصحابة . ويبحث لطيف حول قاعدة ابن خلدون فى تقدير الاجيال مع أمور تتعلق بالنسب الشريف من نسل الحسن والحسين بعد أن سأل عن ذلك شرفاء جيل العلم «فأجاب عن جميع مسائل السؤال بما ينبغى من النقل الممتع وبها هو للمستفيد مقنع . وحقق أن قاعدة ابن خلدون ليست بمطردة ..» (I44) وقد سافر القادري مرة مع شيخه أبى على اليوسى

(I41) ترجم لأحمد الولالى محمد بن الطيب القادري فى نشر المثنى 1142: وما بعدها . وعبد الرحمن بن زيدان فى الاتحاف 340:1 وما بعدها

(I42) أحمد بن محمد بن عبد الله معن الاندلسى الصوفى الكبير صاحب الزاوية المعروفة فى فاس بالمخفية من عدوة الاندلس . وكان الذى خطبها هو أبود الصالح محمد بن عبد الله فى حدود عام 1048/1638 م . ثم جدد الشيخ أحمد بناتها ورفع خزانة الكتب المحبسة عليها فى مستهل القرن الثانى عشر الهجرى وكانت مجمع فقهاء فاس وعلمائها . توفى الشيخ أحمد عام 1120/1708

(I43) تحفة المعاصر فى بعض صالحى تلامذة أبى عبد الله محمد بن ناصر ، لمحمد بن عبد الله الحوات . احدى المصادر الهامة التى اعتمد عليها سليمان الحوات فى كتاب البندور الضاوية . وقد نقل عبارات القادري فى التحصير على الزاوية الدلائية فى ورقة 116

(I44) محمد القادري ، نشر المثنى ، ج 2 ، ص 121

ومرا بقرية أزرو ومعهما كثير من الناس فنزلوا بها واجتمع أهلها على الشيخ
اليوسى دون أن يظهروا له شيئا من كرم الضيافة فلما ألح الجوع على الشيخ
وأبس من قراهم عمد الى زاده وتناول منه سويقا ، فأقبلوا يشاركونه فى أكله ،
وكان فيهم قضاة وأعيان القرية فأنشد اليوسى أبياتا للاديب الدغوغى :

قرية لا قرى لابن السبيل بها بها لها ولا رجاس بها اجتمعوا
لولا أقاردها يقرون واردها من سمور بازدها فى ضمنه وجم
لقلت من زار أزرو زار مقبرة ورب مقبرة زوارها انتفعوا
فزاد أحمد القادرى على هذه الايات مثلها وقال :

وان حلت بها فانزل بروضتها ولا تقم ساعة فالخير ممتنع
لقد أتيناهم يوم الخميس ضحى فلم ينل منهم قوت ولا شبع
قالوا القضاة أتوا ، قلت لاكرامنا اذا هم فى سويق الشيخ قد طعموا

وتوفى أحمد القادرى عام 1133/20 - 1721 ، ودفن بقرب ضريح الشيخ
أحمد اليمنى خارج باب فتوح من مدينة فاس (145) .

محمد بن مسعود المراكشى

أبو عبد الله محمد بن مسعود المراكشى الفقيه النحوى العالم الصالح .
انصرفت همه منذ أول عهده بالدراسة الى تحصيل قواعد اللغة العربية ،
والفقه المالكى فقرأ ألفية ابن مالك ، ومختصر الشيخ خليل أكثر من مرة
بالزاوية الدلائية على علمائها حتى أحرز قصب السبق فيهما فأخذ يدرسهما
ندوره لطلبة الزاوية مع كتب أخرى فى هذين الفنين وله تقاريد كثيرة وملاحظات
عجبة كتبها على مختصر خليل . وكان فى ابتداء أمره مفتونا بمظاهر الدنيا
شفوقا بزخرفها ولهوها ، يعاشر المشرفين من شباب الدلائيين أولى السلطة
والجاه لا يكاد ينتهى من اللقاء دروسه وينصرف من المسجد حتى يغشى مجالس
الانس والطرب . وكان محمد بن مسعود بالإضافة الى شبابه وعلمه خفيف
الروح حلو النكتة شأن كثير من المراكشيين ، فتهاقت عليه زملاؤه من شباب
الزاوية ويصادف ذلك منه ميلا ورغبة فتوثقت الصلة بينهم . ولما قدم الشيخ

الصوفي محمد بن عبد الله السوسى من مراكش الى الزاوية البكرية اتصل به محمد بن مسعود فى جملة العلماء فأعجب باستقامة الشيخ وجده ، ولازمه طيلة الايام العشرة التى قضاهما بين ظهرانيتهم ، فتبدلت حاله وتطهرت روحه من أدران المادة حتى انه مرق ما كان عليه من ثياب فاخرة واستبدلها بملابس خسنة ، وانقطع عن رفاقه الامراء ، ولم يلبث أن غادر الزاوية الدلانية نهائيا فإذا من مجالس لهوه القديم وقصد قرية تمجث بتادلا حيث عاش بجوار الشيخ الصوفي على بن عبد الرحمن الدرعى (146) يدرس العلم فى زاويته ويؤم الناس فى الصلاة ، ثم جرت أحداث سياسية استهدف فيها الشيخ على ابن عبد الرحمن لعسف بعض الولاة ، فغادر محمد بن مسعود هذه الزاوية الى قرية تنغملت بالقرب من مراكش وظل فيها على ديانتته وعبادته واشتغاله بالتعليم والإرشاد وتدريس الحديث الشريف الى أن توفى بالطاعون ، ولعله الوفاء الذى اجتاح المغرب عام 1090/1679 م (147) .

على بن عبد الواحد الانصارى

أبو الحسن على بن عبد الواحد بن محمد بن أبى بكر الانصارى السجلماسى أصلا السلوى ثم الجزائى ، الفقيه المحدث العالم المؤلف الشجاع ، نشأ بسجلماسة وقرأ بفاس وزاوية الدلاء ورحل الى الشرق فأخذ عن علماء مصر مثل الإمام الاجهورى (148) . ثم استوطن مدينة سلا ، وفيها نشر علمه وألف تأليفه العديدة ، مثل اليواقيت الثمينة ، وهو نظم فى قواعد المذهب ونظائر الفقه على نسق منهج الزقاق (149) وشرح تحفة ابن عاصم (150) وشرح

(146) الشيخ أبو الحسن على بن عبد الرحمن الدرعى هو دقن تادلا بمنزله بها المسمى (تمجث) توفى بالطاعون ، ولعله وفا ، عام 1090/1679 م

(147) أنظر ترجمة محمد بن مسعود فى : أحمد بن يعقوب الرلالى . مباحث الانوار ، ورقة 35 وعباس بن ابراهيم فى الاعلام ، 4915

(148) أبو الحسن على الاجهورى شيخ المالكية بمصر وصاحب شرح مختصر خليل ، أدرك شهرة عظيمة بالمغرب حتى كانت توجه اليه منه الاسئلة للافتاء ، توفى عام 1065/1655

(149) أبو الحسن على بن قاسم بن محمد التجيبى الشهور بالزقاق . القاسى له نظم المنهج فى اصول المذهب ، ولامية فى أحكام فقهية جرى بها عمل فاس ، توفى عن سن عالية عام 912/1506

(150) أبو بكر محمد بن محمد المعروف بابن عاصم . قاضى غرناطة ، صاحب الرجز المشهور تحفة الحكام فى الاحكام الفقهية الذى شرحه المغاربة والمشاركة وحفظه الناس لمجولته ورقة اسلوية . توفى عام 829 هـ - 1423 م

الاجرومية في النحو (151) وغير ذلك .

وذكر الافرائي في الصفوة (ص 135) أن علي بن عبد الواحد الانصاري قرأ صحيح البخاري على الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي نحو احدى وعشرين مرة . كما قرأ عليه الشفا للقاضي عياض (152) والموطأ للإمام مالك بن أنس (153) ورسالة الامام القشيري (154) وحكم ابن عطاء الله (155) .

وقد استوطن علي بن عبد الواحد الجزائر في أواخر أيامه ، وتخرج على يده هناك كثير من الاعلام . وتوفي بإطاعون عام 1054/44 - 1645 (156) .

(151) الاجرومية كتب صغير يستعمل على مبادئ النحو ، أقبيل الناس عليه كثيرا . ومؤلفه أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي القاسي المعروف بابن اجروم المتوفى عام 723 هـ - 1322 م .

(152) القاضي عياض بن موسى البصري السبكي . امام الحديث والفقه والادب . دليمن مراكش المتوفى عام 544 هـ - 1149 م . وقد أورد أحمد القرني بثالته ازهار الرياض في اخبار عياض نشره بيت المغرب بالقاهرة 3 أجزاء .

(153) الامام مالك بن أنس المصنف اسم دار الهجرة . واحد أصحاب المذاهب الاربعة المشهورة توفي عام 179 هـ - 795 م .

(154) عبد الكريم القسري من أشهر المحققين الذين كتبوا في الورع ومحاسبة النفس . ويعرف كتابه بالرسالة القسرية . طبعت في مصر مرارا . وتوفي عام 1072/495 .

(155) ابن عطاء الله الاسكندراني الساجي . من اكبر عقاومي ابن تيمية . ألف نحو 20 كتابا أشهرها الحكم في أبحاث الصوفية . وتوفي عام 709/1310 .

(156) تلميذ علي بن عبد الواحد الانصاري - محمد الافرائي . الصفوة . ص 135 وما بعدها . ومحمد الحجوي . الفكر الساجي . 1114 - 112 . وأخباره متفرقة في نفع الطيب . والبذور الضاوية . وغيرها .

128

الباب الرابع

الدلائيون والسياسة

1 - موقف الدلائيين من الاضطرابات الداخلية

- (أ) علاقة الدلائيين بالملوك السعديين
- (ب) موقف الدلائيين من ابن أبي محلي وأبي زكريا
- (ج) موقف الدلائيين من أبي حمون السملالي
- (د) علاقة الدلائيين بالمجاهد العياشي

2 - زعامة محمد الحاج السياسية

- (أ) من هو محمد الحاج ؟
- (ب) نزوع محمد الحاج الى الحكم
- (ج) تأسيس مدينة الدلاء
- (د) بيعة أهل المغرب لـ محمد الحاج

3 - أعمال محمد الحاج الحربية

- (أ) الحملتان الدلائيتان الأولىان (وقعة أبي عقبة)
- (ب) مهاجمة المجاهد العياشي
- (ج) غزو شرفاء سجلماسة (وقعة القاعة)
- (د) الجهاد ضد الاسبانيين في المعمورة
- (هـ) حملات تأديبية في بلاد زعير والحياينة

1 - موقف الدلائيين من الاضطرابات الداخلية

(أ) علاقة الدلائيين بالملوك السعديين

لم يكن الدلائيون في بادئ الامر يهتمون الا بالناحيتين الدينية والعلمية. فالشيخ أبو بكر مؤسس الزاوية الدلائية كان زاهدا في الدنيا عزوفا عنها ، لا يشتغل حتى بتدبير أموره الخاصة . ولا ينصرف عن عبادته واذكاره ، الا ليرشد مريديه ويعظمهم ويذكرهم . وسار محمد بن أبي بكر الدلائى على نهج والده في الاعتراض عن الدنيا وزخرفها والانقطاع الى عبادة الله وتقريبه المریدين وتدریس العلم للطلبة المقيمين بالزاوية ، وإكرام العرفود والاحسان الى الناس جميعا . وظل يعترف بسلطة السعديين ملوك مراكش ، حتى بعد أن مزقت الحوادث شملهم ، وبدأ عجزهم وقلة كفايتهم ، وآخر من بايع منهم الوليد بن زيدان بن أحمد المنصور (1631/1040 - 1036/1045) .

وعلى الرغم مما كان لمحمد بن أبي بكر الدلائى من نفوذ قوى لدى القبائل البربرية في الاطلس المتوسط ، وما امتاز به بعض أبنائه من شجاعة وغرورية وما آتاه الله من بسطة في العلم والمال والجاه ، على الرغم من ذلك كله لم يحاول ابن أبي بكر قط استغلال تلك الامكانيات الواسعة التي لم تنح لغيره ليبدل بدلوه في بحر السياسة والسلطان ، وانما كان يدعو الى السمع والطاعة ، والتمسك بالوحدة ولزوم الجماعة . وطالما ندد بما كان يشعر به عند بعض بنيه من الزهو وحب الرياسة . وعاش محمد بن أبي بكر الدلائى أربعاً وثلاثين سنة من عهد الفوضى والاضطراب (1012 - 1003/1046 - 1036) الناتج عن تصدع السلطة المركزية وانقسامها وعجزها عن حفظ النظام في البلاد ، خصوصا في الاطراف والجبال . وكان برابرة الاطلس خلال هذه الفترة يلتفون حول شيخ الدلاء لما يعرفون فيه من صلاح الحال وطهارة النفس ورحابة الصدر ، ورعا كذلك لعصبيته القوية ، اذ كان يحاط في ذروة تلك القبائل شدة بأس وصعوبة مراس . وهكذا نجد محمد بن أبي بكر الدلائى حكما يختصم اليه قومه ، وملجأ يهرع اليه المستضعفون من جيرانه ، فلا يالو جهدا في اصلاح ذات البين والعمل على انصاف المظلومين ، ساعيا دائما في الخير والسداد ، داعيا الى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة . وقد عرفنا مما سبق أنه اضطر مرة الى الهجرة من الدلاء الى قرية تاغيا بناحية مبدلت عندما اشتد عناد بعض القبائل الطاغية ، وتآلمت على اذايته والكيد له .

وفي هذه الظروف التي لم يبق فيها لسلطة السعديين في جبال الاطلس وبلاد تادلا الا الاسم ، كان لابد من وجود قوة محلية في هذه النواحي تعصل

على حفظ النظام وتأمين السبل وحماية القوافل فتكون في الدلاء جيش قوى من فرسان مجاط وآيت اسحاق وغيرهما من القبائل البربرية بقيادة ثلاثة من أبناء الشيخ محمد بن أبي بكر ، استبروا بالشجاعة والاقدام وهم عبد الخالق ، وعمر ، ومحمد الحاج (2) ولم تقتصر تحركات هذا الجيش على العمل فى النطاق المحلى المحدود ، بل ذهب بعيدا عن الدلاء ، فسار الى سلا وفاس لمساعدة المجاهد العياشى فى القضاء على بعض الفتن الداخلية . كما توجه الى تافيلالت لإنجاد أهل قرية تابوعصامت والوقوف فى وجه الجيوش السوسية مما سبب له مصلا فى فصل آت . وسيكون هذا الجيش الدلائى السند الاول الذى يعتمد عليه محمد الحاج بعد وفاة والده لإقامة امارة دلائية مستقلة عن نظر السعديين .

(ب) موقف الدلائيين من ابن أبي محلى وأبى زكريا الجاحي

أبو محلى أو ابن أبي محلى (بفتح الميم والحاء وكسر اللام المشددة) هو أبو العباس أحمد بن عبد الله السجلماسى ، كان يزعم أنه من نسل العباسيين . انتقل أبو محلى فى مقتبل العمر الى فاس لطلب العلم ، وتخلف عن المجاهدين الذين سارعوا الى لقاء العدو على وادى المخازن فارا الى البادية يحفظ المتون ويتسكع بين الخيام الى أن خمدت الفتنة وسكنت بانتصار المسلمين ، فرجع الى فاس وأقام فيها سنين عديدة الى أن تخرج منها عالما متبحرا فى اللغة والسبائل الدينية بالخصوص . وألف أبو محلى عدة كتب تحوم كلها حول البدع والنكرات . ويمكننا أن نأخذ فكرة صغيرة عن هذا الرجل من عناوين كتبه قبل أن نقرأها - أنظر جدول مؤلفات أبى محلى - ويمتاز بشدة التحامل على البدعيين والمنحرفين عن الدين ، فينتعهم بأقبح النعوت ، ويدعوهم بالجهلة والسفلة ، ولا يرى الا شذخ رؤوسهم بالمهراس والمدراس والمنجنيق ، وتقطع أعضائهم بالسهم الزعاف .

وقد سلك أبو محلى طريق التصوف ، وصحب الشيخ محمد بن مبارك الزعرى المتقدم ، وبقي عنده فى تسنوات نحو ثمانى عشرة سنة . وكانت نظريته عند شيخه أحوال ، فيصيح قائلا : «أنا سلطان ! أنا سلطان !» فيقول له الشيخ : «أنت لى تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا» .

(2) عبد الخالق الدلائى عالم أديب وبطل مغوار . وهو أول رئيس من الدلائيين . قتله اعراب تادلا غدرا عندما كان راجعا من حركة تاديبية قام بها ضد اعراب الشاوية ببلاد نامستا عام 1640/1059 وحمل الى الزاوية البكرية فدفن فيها . وأخوه عمر أديب شاعر وشجاع ، باسل كذلك درس بالزاوية البكرية وقاد الجيوش الى أن مات فى أثناء قتاله ضد الحياتية بخواجر فاس عام 1645/1055 وحمل مصبرا ، وقيل جريحا ثم مات .

أما محمد الحاج فستأتى ترجمته بشئ من التفصيل .

وبعد أن أقام أبو محلي عدة في الزاوية الدلائية ، اتجه إلى وادي الساوره
في الصحراء (2) وادعى أنه المهدى المنتظر . وبدأ يكتب رؤساء القبائل بأمرهم
بالتمسك بالدين والسنة . وبيناهم عن المنكرات والبدع . ولما سلم الشيخ
المامون السعدي مدينة العرائش إلى الأسبانيين عام 1039/1040 ، حضر ابن أبي
محلي الغضب والحمية للدين ودعا الناس للجهاد . واجتمعت عليه العامة ،
وتقدم بهم إلى سجلماسة فملكها ثم استولى على بلاد درعة ، وقصد مراكش
فاقتحمها عنوة وطرد ملكها زيدان بن المنصور الذهبي . ولما دخل أبو محلي
قصر الخلافة بمراكش فعل فيه ما شاء ، وولد له هناك مولود سماه زيدان .
ويقال أنه تزوج أم زيدان وبني بها ، ودبت في رأسه نشوة الملك . وتسمى
ما بنى عليه أمره من الحسية والنسك (3) . وبالرغم من كون فتنة ابن أبي محلي
لم تدم إلا نحو ثلاث سنوات ، فإنه ضرب السكة باسمه وكتب عليها : وضرب
بلكتاوة حرسها الله عام احدى (كذا) وعشرين وألف :

باسم الله الرحمن الرحيم

القائم بأمر الله

أبو العباس القاطمي

العباسي أيداه الله

الملك لله الواحد القهار

نقش خليفة الله الهاشمي المجدار

لا اله الا الله

محمد رسول الله

أبو العباس المهدى

خليفة الله (4)

ولعل لمسارعة أبي محلي إلى ضرب السكة باسمه علاقة بما يذكره عنه
المؤرخون من أنه اشتغل بالكيمياء وتحويل المعادن فكان صاحب حكمة لم
تنقطع النار في جيشه لتذويب الرصاص وصيغته (5) . وقد توجه السلطان

(2) وادي الساوره من حملة الأراسي التي اقتطعها الفرنسيون من المغرب أيام الحماية والحقوها
بالجزائر ، وما يزال آل أبي محلي حتى اليوم في هذه المنطقة الصحراوية .

(3) أحمد التاشري ، الاستقصا ، 101:6 .

(4) M. Henri Lavoix, Catalogue des monnaies musulmanes, P. 492.

(5) مؤلف مجهول ، تاريخ الدولة السعدية ، ص 101 .

الطوبى زيدان الى زاوية الشيخ ابي زكريا الحاحي بجبل درن (6) ورجا منه ان يساعده على الرجوع الى عاصمة ملكه . والقضاء على عاصمته ابي محلي . فسار ابي زكريا عام 1022/1014 في جماعة كبيرة من اتباعه الى مراکش . حيث التقى بخصمه في جليز خارجيا . ووقعت بين الفريقين معركة حامية الوطيس استمرت من مقتل ابن ابي محلي الذي احتز رأسه وعلق على سور مراکش مع رؤس جماعة من اصحابه طيلة 12 سنة .

(6) جبل درن هو عبارة عما تسميه اليوم بالاطلس الكبير

اسم الكتاب وموضوعه

المكتبة التي يوجد فيها

(1) أصليت الخريت في قطع بلعوم
العفريت

وهو كتاب ترجم فيه لنفسه
وتحدث عن نسبه ونشاته الى
أن قام بالثورة

(2) مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة
ومدراس النكوس السفلة
المتدعة وقد تحدث فيه أبو محلي
عن المهدوية ورد فيه على
خصومها . ويقع في 221 صفحة
من الحجم المتوسط

(3) منجنيق الصخور في الرد على
أهل الفجور

أو منجنيق الصخور لهدم بناء
شيخ الغرور ورأس الفجور

(4) السيف البارق مع السهم الراشق

(5) سم ساعة في تقطيع امعاء مفارق
الجماعة

وهذه الكتب الثلاثة الاخيرة
انسخت في حياة المؤلف
عام 1017

(6) القسطاس المستقيم في معرفة
الصحيح من السقيم : تكلم فيه
على العلم والعمل والخلافة

(7) الوضاح

(8) الهودج

(9) جواب الخروبي عن رسالته الى
الشيخ أبي عمر القسطلي
المراكشي

توجد منه نسختان مخطوطتان بالخزانة
الملكية تحت عدد 4009 و 4442

مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط 192ك

مخطوطة خ.ع. 338 (من ص 130-453)

نفس المخطوطة

نفس المخطوطة (من ص 2 - 126)

مخطوطة خ.ع. 576 ق

؟

؟

هذه الكتب الثلاثة الاخيرة ذكرها
الناصري في الاستقصا ج 6 ، ص 33

ولعل أهم صلة جمعت بين الدلائيين وابن أبي محلي على الطريقة الصوفية الساذلية ، إذ أخذ كل من محمد بن أبي بكر الدلائى وابن أبي محلي عن الشيخ محمد بن مبارك الزعرى المتقدم ، وأقاما مدة في زاوية هذا الشيخ بتستاورت . وبعد ذلك استقر ابن أبي محلي في الزاوية الدلائية زمانا غير قصير بدأ خلاله يحاول التظاهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكنه كان يلقي معارضة قوية من شيخ الدلاء الذي لم تخف عليه نوايا صاحبه القديم ذي الشظحات والصيحات الهستيرية : «أنا سلطان ! أنا سلطان !» وتحدث ابن أبي محلي ذات يوم الشيخ محمد بن أبي بكر ، وقام في الدلاء بتجربته الأولى في الاتصال بالجمهور والعمل على اغوائه واستهوائه عن طريق الارشاد الدينى المزيف ، وقضى يوما في التجريح والشعوذة ، واشتبك مع بعض الناس الذين لم تنطل عليهم حيلته ، ورجع في المساء الى الزاوية الدلائية منهوك القوى لم يؤد الصلاة في وقتها . فعنفه الشيخ ابن أبي بكر وقال له : «أما أنا فقد قضيت ماربى وحفظت دينى ، وانقلبت في سلامة وصفاء ، ومن أتى منكرا فאלله حسيبه ، أو نحو هذا الكلام . وأما أنت فانظر ما الذى وقعت فيه» (7) . ولم يرعو ابن أبي محلي عن غيه بل راح يضرب في الارض باحثا عن مكان صالح لنشر دعوته الباطلة ، حتى وصل الى وادى الساورة في الصحراء ، فأعلن مهدويته ، وكان ذلك آخر عهد له بالدلائيين الى أن قتل في مراكش بعد نحو ثلاث سنوات .

أما أبو زكريا فهو يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي . أسس جده سعيد زاوية تافيلالت (8) بزداغة الواقعة شمالى تارودانت على واد يسميه البربر (آسيف نتامنت) أى وادى العسل ، واشتغل فيها بتدريس العلم وتربية المريدين . ثم خلقه فيها ابنه عبد الله ، وكان مثله عالما مصلحا أرسل ابنه يحيى الى فاس ليدرس فيها ، وطالت اقامة يحيى بفاس سنين عديدة ، كان يسكن خلالها هو وابن أبي محلي بيتا واحدا في إحدى المدارس ، وحصل على نصيب وافر من العلوم الدينية والادبية ، ورجع الى قرينته الجبلية عالما كبيرا . وأديبا شاعرا (9) ليتولى أمر الزاوية بعد وفاة أبيه عبد الله عام

(7) البوس ، المحاضرات ، ص 91

(8) محمد المختار السوسى . خلال جزولة ، ج 2 ، ص 51 . وقد أخبرنى الاستاذ المختار السوسى أن اسم تافيلالت يطلق على أماكن متعددة في سوس .

(9) ذكر المؤرخون أنه وقع نضاج كثير بين أبي زكريا وأبي محلي أنهى الناضج في الاستقصا ، 29:6 - 34 بنماذج لهذه النقائض الادبية ، كما نقل عن الاقرانى أن القاضى أبا زيد السكتانى وقف على تأليف كبير مشتمل على ما وقع بين يحيى وأبي محلي من الشعور فى غرض الهجاء وغيره . وأخبرنى الاستاذ الحسن البونعماني أن العالم السوسى أحمد الجبرائى وقف فى إحدى المكتبات الخاصة بسوس على كتاب أدبى ضخيم بعنوان : التحلى فيما وقع بين أبي زكريا وأبي محلي .

1603/1604 - 1604 . وقد سلك أبو زكريا في بداية الأمر سبيل سلفه ، فوقع عليه اقبال عظيم من قبائل جبل درن وبلاد سوس ، وامتلات رحاب زاويته بالمريدين وطلبة العلم الذين انكبوا على دروسه واشتغلوا بانتساح الكتب القيمة (10) وألف أبو زكريا كتابا في العقائد ، مثلما فعل جده سعيد من قبل . وشرح العقيدتين معا وعقيدة المهدي بن تومرت العالم السوسي ببورك من رجال القرن الحادي عشر للهجرة (القرن السابع عشر للميلاد) .

وقد رأينا أن أبا زكريا استجاب لطلب الملك زيدان السعدي وقضى على خصمه ابن أبي محلي . وظل أبو زكريا مقيما بمراكش في حين كان السلطان زيدان في آسفي ينتظر على أحر من الجمر أوبة السوسيين الى مساقط رؤوسهم ليرجع هو الى دار ملكه . وطال به الانتظار فكتب الى أبي زكريا : وأما بعد ، فإن كنت انما جئت لنصرتي وكف يد ذلك الشاغر عني ، فقد أبلغت المراد ، وشفيت الفؤاد ، وإن كنت انما زمت أن تجر النار لقرصك ، وتجعل الملك من قنصك فأقر الله عينك به» (11) فاضطر أبو زكريا الى مغادرة مراكش تحت ضغط أتباعه الذين لم يكونوا يعرفون الا أنهم أدوا واجبا دينيا فرضته عليهم بيعة السلطان التي في أعناقهم ، وليس لهم بعد ذلك الا الرجوع الى الزاوية واستئناف حياتهم العادية في المداشر التي طالت غيبتهم عنها واستولت فكرة الرياسة على نفس أبي زكريا بعد رجوعه من مراكش وفترت همته في تدريس العلم وتلقيين الاوراد وأخذ يرسل السلطان زيدان ويمن عليه بمناصرته ، ويتجنى كثيرا دون أن يفصح عما يجول بخاطره (12) وأخيرا أعلن أبو زكريا الثورة في سوس ضد السلطان زيدان السعدي ، موحما أتباعه أن عمله هذا يهدف الى حماية الدين ، وجمع كلمة المسلمين ، وتقديم بهم الى تارودانت فملكها عن يد أبي حسون السملالي بعد قتال شديد ، واتخذها عاصمة لامارته . ولم يستطع أبو زكريا بعد ذلك أن يوسع دائرة نفوذه شمالا ولا جنوبا واكتفى بالسيطرة على هذه المنطقة الجبلية الضيقة ، المتسدة من تارودانت الى زداغة ، الى أن وافته المنية عام 1035/1026 . فنقل الى زاوية تافيلالت بالاطلس الكبير ودفن بجوار والده وجده . وما تزال جدران ضريحهم قائمة حتى اليوم . ولا يعرف لأبي زكريا اتصال بالدلائيين ، سواء أيام طلبه للعلم في فاس ، أو تصديه للشيخ بزدانة ، أو على عهد استبداده بتارودانت وناحيتها .

(10) وفق الاستاذ المختار السوسي في إحدى المكنيات الخاصة بسوس على بعض المخطوطات القيمة التي انتسخت في زاوية تافيلالت على عهد أبي زكريا . انظر خلال جزوة 51:2

(11) أحمد الناصري ، الاستقصا ، 43:6

(12) نفس المصدر ، 46:6

ج) موقف الدلائين من أبي حسون

إذا كان الثائران ابن أبي محلي وأبو زكريا قد فشلت ريجتهما وأفلح ريجتهما بسرعة ، فإن أمر أبي حسون بخلاف ذلك ، إذ استطاع أن يوطد أركان إمارته عشرات السنين ، ويستمد بالجنوب المغربي كله حيناً ، وبعضه حيناً آخر . وأبو حسون ، ويكنى أيضاً أبا الحسن وبودميعة ، وصاحب الساحل ، من أحفاد الشيخ الشهير أحمد بن موسى السملالي (سيدي أحمد وموسى) . وهو علي بن محمد بن محمد بن الشيخ أحمد بن موسى صاحب الزاوية المشهورة في تازورالت بسوس . ولا يعرف لأبي حسون باع في العلم إلا ما كان من تحلية بعض بلدييه له بالفقيه . وليس هو أول الظامعين فلى الملك من الاسرة ، بل سبقه الى ذلك من بنى عمه ابراهيم والحسن فلم يتم لهما أمر . وكان قيام أبي حسون واستحواذه على بلاد سوس عام 1613/1022 - 1614 فأسس قريبا من زاوية جده الشيخ أحمد بن موسى مدينة حصينة سماها ايليج (I3) ، واتخذها عاصمة لإمارته . وصفا له أمر بلاد سوس كلها بعد موت أبي زكريا الحاحي ، ثم امتد نفوذه الى درعة وسجلماسة حوالى عام 1630/1040 - 1631 فصار أمير الجنوب المغربي كله ، وتكون فى ايليج جهاز حكومى تام ، يضم الى جانب أبي حسون الذى تلقب بالسلطان ، وزيرا يسمى محمدا (I4) وقاضى الجماعة على بن محمد التيلكاتى (I5) والقائد حمو بن بلا (I6) وغيرهم من ذوى المسؤولية والنفوذ .

واعترفت الدول الاوربية التى لها مصالح فى المغرب بالامر الواقع ، فأخذت تفاوض أبا حسون (I7) بصفتة صاحب الامر فى الساحل (I8) ، وتعقد معه المعاهدات التجارية ، فى نفس الوقت الذى كانت تتعامل مع السلطان

(I3) فى سوس ثلاثة أماكن يطلق عليها ايليج . عاصمة تازورالت هذه ، وفرية فى ادا وزكريا ، وفرية فى القابحة . المختار السوسى . المصنوع ، 16 : 12

(I4) رعد الامتاد المختار السوسى اسم هذا الوزير (محمد) ضمن رسالة كتبت على غلاف مخطوط فقهي بالخزانة الاريفية بسوس . انظر خلال جزولة ، 2 : 89

(I5) كانت وفاة القاضى على بن محمد بمدينة تيلكات عام 1633/1043 - 1634 . المصدر السابق ، ص 140 .

(I6) سجد اسم القائد حمو بن بلا بعد قليل . وسنرى ان الشيخ محمد بن ابي بكر الدلالى يلى عليه ويقترح تعيينه حاكما لبلاد سجلماسة .

(I7) يطلق الاوربيون على ابي حسون أسماء كثيرة . فيدعونه : Le Marabout du Sous, Le Saint de Massa, Le Marabout du Sahel, etc..

(I8) الساحل عبارة عن المنطقة الجنوبية الغربية الممتدة من اكدير الى وادى نول .

السعدى فيما يرجع الى منطقة نفوذه بمراكش وآسفى وناحيتيها ، وتتخابر مع العياشى ثم الدلائيين فى شأن سائر الثغور الواقعة شمالى نهر أم الربيع . وكانت هذه العلاقات الخارجية من أهم الاسباب التى دعمت نفوذ أبى حسون فى سوس ، اذ جعلته يفيد أرباحا طائلة من الصفقات التجارية التى كان يعقدها مع الاوربيين ، ويتزود منهم بالذخيرة الحربية لتجهيز جيش قادر على الدفاع عن الاقاليم الشاسعة التابعة لايلىغ .

ولما تمكنت قدم أبى حسون فى بلاد سوس أخذت أطماعه فى التوسع تتجه نحو الشرق . وبدأ يتحين الفرصة للانتقاض على درعة وسجلماسة ، ويوطد العلاقات الودية مع أعيان هذه الاقاليم ليكونوا له خير عون على تحقيق مآمحه . وفعل استطاع أبو حسون أن يبسط نفوذه على الجنوب الغربى كله حوالى عام 1040/1630 - 1631 كما سبق . وكان ممن صادقيهم فى سجلماسة الشريف بن على جد الملوك العلويين الحاليين . وكان للشريف عداوة متمكنة مع جيرانه بنى الزبير أهل حصن تابوعصامت . فاستعدى عليهم أبى حسون الذى قصد تاغيلالت فى جمع حوام من جند سوس . ولم يجد الزبيريون أمامهم الا اللجوء الى الدلائيين والاستصراخ بهم . فسارع الشيخ محمد بن أبى بكر بارسال كتيبة قوية من فرسان برايرة الاطلس المتوسط الى سجلماسة ، بقيادة ابنه محمد الحاج ، وأعطاه رسالة الى أبى حسون يناشده فيها الله أن يكف عن البوعصاميين ، ويحقق دماء المسلمين . وذلك عام 1043/1633 - 1634 . فافترق الجمعان دون قتال . ولا ندري أكان ذلك استجابة من سلطان سوس لنداء الواجب أو احجاما منه أمام القوة العظيمة التى وجد أمامه دون أن يحسب لها حسابا . وقد تطورت العلاقات بعد ذلك بين السوسيين والعلويين وانقلب ما كان بينهم من مودة وصفاء الى عداوة وجفاء . وصرف أبو حسون هواه الى البوعصاميين وحالفهم قالبا ظير المجن للعلويين ، وانتهى الامر باعتقال الشريف بن على وحبسه فى سوس عدة سنوات . وتختلف روايات المؤرخين فى سبب هذا الاعتقال . فيذكر البعض أن أسر الشريف كان بسبب تسور ابنه محمد فى جماعة من العلويين حصن تابوعصامت على حين غرة ، وتحكيمهم السيف فى رقاب الزبيريين واستيلائهم على ذخائرهم . فأخذ أبو حسون الشريف بجزيرة ابنه الذى فر الى أقصى الصحراء . بينما يرى آخرون أن الشريف لم يلق عليه القبض الا لكونه تزعم حركة التمرد ضد نفوذ أبى حسون وبإيعاز أهل تاغيلالت . وربما كان الحادثان معا سببا فى نكبة الشريف سجلماسة .

وفي هذه الفترة التي قضاهما جد العلويين سنجينا في سوس تجدد الاحتكاك بين الدلائيين وسلطان ايليخ . ويذكر المؤرخون أن أبناء الشريف توجهوا الى الزاوية الدلائية ، للعمل على تخلص أبيهم من الاسر ، فكتب الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي الى أبي حسون رسالة يعنفه فيها على سوء معاملته لأهل تافيلالت ، ويذكره بتسبب الشريف وقرابته من الرسول الكريم . طالباً منه أن يخلي سبيله . ويتخلى له عن بلاد سجلماسة : ولكن لا حسون ذكر في جوابه لشيخ الدلاء أن أهل تافيلالت بايعوه ، ثم نقضوا بيعته وبايعوا غيره فحل له أن يحكم فيهم باجتهاده . وزاد قائلا : «وأما ما قلت بأن ترك سجلماسة للشريف المذكور كغيرها من البلاد التي بأيدي غيره ، ولا تركها ، لأنهم رضوا بني وبايعوني ورضوا به وبايعوه فإن بعضهم معي وبعضهم معه ، كأهل العراق مع الحسين بن علي الذين خرجوا على يزيد بن معاوية . وانظر ما فعل بهم وبه . وأنا لم أفعل به ولا بهم شيئا من ذلك (19) . وبالرغم من خطابات شيخ الدلاء المتعددة التي سنتحدث عنها قريبا ، وتحسن الجري بين الجانبين ، لم يطلق أبو حسون سراح أسيره الشريف ، وإنما خفف من الضغط عليه ، وجعله في شبه إقامة محروسة بسوس طيلة سنين عديدة ، نرى خلالها الشريف بجارية من سبي المغامرة فولدت له المولى اسماعيل ونسبه المبدى (20) . واستمرت معاملة أبي حسون القاسية لسكان تافيلالت وانتقل كاهلهم بالأتاوات والمغارم ، وعمل السجون بالاعيان والاشراف ، وحاصر شاذيه المتنعين عليه في الحصون ، وأطلق أيدي جنده في حقول الناس وسائينهم ، يهلكون الحرث والنسل ، ووقع الاستصراح مرة أخرى بالدلائيين فكتب محمد بن أبي بكر رسالة مطولة الى سلطان سوس يطلب منه أن يكف قاه عن أهل تافيلالت . وخصص صدر الكتاب للمتحدث عن فضل أسيرة الشيخ أحمد بن موسى ومجدها وأهلية أبي حسون للإمارة ، ثم تخلص لمطالبته بالرفق والاحسان فقال : «لكن المرجو عنكم ، والمأمول من شملكم ، رحمة المسلمين والشفقة على الضعفاء والمساكين ، لأنكم دار رحمة ، لا دار نقمة . إن كان الملك مطلوبكم فأتوه من بابه ، وتوصلوا اليه بأسبابه . ويسرروا ولا تعسروا . وبشروا ولا تنفروا . وخذوا أموركم بسياسة ورفق ، لا بشدة

(19) سناد الطوائف ، الدور الضاوية . ورقة 1/92

(20) لم يرجع الشريف بن علي الى سجلماسة الا حوالي عام 1047/1637 - 1638 بعد أن اقتاده ابنه محمد من أبي حسون بمال كثير ، على ما في أغلب الروايات .

وعصف ، واستعوا في عمارة البلاد برحمة العباد ..» (21) وبعد ذلك عدد محمد ابن أبي بكر الدلائى ضروب العصف التى يلقاها السجلماسيون على أيدي عمال أبي حنون بقوله : «... وأقرب الناس من أمركم فى حيرة وأعظم حيرة ، فمن أطاع ، أكثر عليه من التكاليف ما لاطاقة له به حتى ضاع ، ومن أبى وخشى ما وقع بمن قبله وعصى ، على بالعصا . الناس فى سجون حصونهم ، النساء والرجال والدواب كأنهم فى حشر ، الشمار تجنى وأهلها ينظرون نظر حيرة ، والأشجار تقطع ، وقد حرم الشرع قطع أشجار الكفار فضلا عن المسلمين» (22) .

ويتحدث الفصل التالى من الرسالة عن نقطة هامة يبدو أنها كانت تشغل بال أبي حنون وبطانته . وهى مسألة مناقسة الدلائيين ومزاحمتهم له فى اعتلاك البلاد . فأكد محمد بن أبي بكر الدلائى فى عبارات يتجلى فيها الصدق ، ويدعمها الرأى والمنطق ، انصرافه المطلق عن الملك وعزوفه عن الجاه والسلطان : «وبلغنا أن من لا يبالى بما يقول ولا فيمن يقول يكاتبونكم بسوس ان العبد الفانى ، العاجز عن اصلاح نفسه ، يريد تافيلالت يتولى أمرها . فتأمل - أرشدك الله وسددك - أدنى تأمل ، هل لهذا الكلام وجه أو يلتفت النصف اليه . هذه البلدة بينكم وبينها نحو ثلاثين مرحلة ، وبيئنا وبينها ست مراحل . ولضعف ملك المغرب نحو ثلاثين عاما ، ما المانع لنا لو كانت لنا فيها شهوة أو رغبة . فمن بلغ أو قرب سنه الثمانين ، والتفت للملك المحدود بالسنين ، فاعدده من المجانين . حاصليها ان كانت لكم رغبة فى الملك ولا بد وعلمت من نفسك القدرة على وظيفتها ، من احاطتكم بالعدل والرحمة لقويها وضعيفها ، فتقدم ان لم نعتك ، لم نمنعك وان كان مرادك جمع المال ، والغناء النظر عن مصالح العباد والقاء أمورهم فى زوايا الاهمال ، فأنت وذلك ، فالرب عالم قدير ، رحيم بعباده قوى عزيز ..» (23)

وفى ختام الرسالة يتحدث شيخ الدلاء عما بلغه من عزم أبي حنون على استلاب زروع الزاوية الدلائية فى بلاد غريس بتافيلالت ، وينبئه الى شناعة هذا العمل . خصوصا وان هناك روابط متينة تجمع بين الزاوية الدلائية والسلاوية . فكلتاهما تنتسبان الى الطريقة الشاذلية بواسطة الامامين الجزولى والتبايع . ويتنازل فى الاخير عن زرع الزاوية فى غريس ويهبه حلالا لابی

(21) سليمان الحوات ، البدور الشاذلية . ورقة 48/ب

(22) نفس المصدر فى نفس الورقة

(23) سليمان الحوات ، البدور الشاذلية . ورقة 59/أ

حسون شريطة أن يكف أذاه عن المسلمين . وهذه الرسالة العجيبة غفل من التاريخ ، غير أن ماورد فيها من الإشارة الى ضعف الملك بالمغرب منذ نحو ثلاثين سنة . وتحدث شيخ الدلاء عن نفسه بأنه بلغ الثمانين أو قاربها ، يدلنا على أنها أرسلت حوالي عام 1635/1045 - 1636 . وكان لهذا الخطاب الأثر الطيب في نفس أبي حسون بالرغم عما اشتملت عليه بعض قصوله من التقريع والتعنيف . ولعل الذي فتح قلب سلطان سوس اليه هو لهجته الصريحة التي لا تعرف المراوغة ولا الإيهام . فقد اتضح لأبي حسون أن الدلائيين يأخذون عليه جوره وعسفه ، وسوء معاملته للناس . ولكنهم لا يزاحمون في الحكم والتملك ولا يعترضون سبيله اذا ما استقامت أحكامه ، بل يعدونه في هذه الحال النصر والإعانة . وتوطدت عرى الصداقة بعد ذلك بين الدلائيين والسملاليين السوسيين ، واتصلت المواصلات الودية بينهم ، وتبادلوا الزيارات في ايليج والدلاء ، وتبادوا بأطبب الطعام والادام وغير ذلك (24) وشملت الاتصالات بين الزاويتين فيما شملت الناحية العلمية ، فكان أبو حسون يستنسخ الكتب القيمة من الدلاء (25) ويمكننا أن ندرك مدى الصفاء والثقة بين الجانبين اذا عرفنا أن محمد بن أبي بكر الدلائى أشار في إحدى رسائله على أبي حسون باجلاء جنوده عن تافيلالت ، وتعيين حاكم لها من ذوى الصلاح والكياسة ، هو القائد حمو بن بلة الذى سبق أن تعرف عليه فى الدلاء ، وعرف فيه سعة الصدر ، وشدة الحلم ، والمبالغة فى النصيح لأميره السملالى وللرعية (26) . غير أن هذه العلاقات الطيبة بين الدلائيين والسملاليين لم تلبث أن تغيرت على اثر وفاة الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائى وقيام ابنه محمد الحاج الراغب فى السيطرة على البلاد . واشتدت لهجة المراسلات المتبادلة بين ايليج والدلاء ، فكان أبو حسون يرمى الى اقناع محمد الحاج بضرورة التخلي عن أطماعه فى الرئاسة وحمله على الاعتراف بسلطة الملك السعدى صاحب مراكش - ليخلو له الجو - ثم انقطع حبل الاتصال نهائيا بين الدلائيين والسملاليين بسبب انصراف محمد الحاج الى نشر سلطته فى تادلا وبلاد المغرب ، واشتغال أبي حسون بالفتن الخطيرة القائمة ضده فى الصحراء ، تلك الفتن التى انتهت باقصائه نهائيا عن سجلماسة ودرعة حوالي عام 1640/1050 - 1641 على يد

(24) من رسالة محمد بن أبي بكر الدلائى الى أبي حسون ذكرها سليمان الحوات فى البدور الشاوية ، ورقة 60/ب

(25) محمد المختار السوسى ، خلال جزولة ، 2 : 62

(26) سليمان الحوات ، البدور الشاوية ، ورقة 60/ا

محمد بن الشريف . وقد انكمشت اماره أبى حسون بعد ذلك ، وعاد نفوذه منصرفا على سوس كما بدأ . وتوفي أبو حسون عام 1070/1659 - 1960 فخلفه ابنه محمد فى اماره ايليغ ، وظل بها الى أن دكتها مدافع السلطان الرشيد بن الشريف وهدمتها على رؤوس أهلها عام 1081/1670 . ووصف الاستاذ لمختار السوسى أطلال ايليغ المهذمة فقال : «لا يزال برجان الى الآن ، أما أحدهما فكان متعبدا للشريف العالم سيدى أبى بكر ابن السلطان بودميعة ، والثانى يسامت هذا شرقيا فى زاوية من زوايا السور وذكر انه مركز المدافع (الصقالة) وبين البرجين دار الامير الكبرى لا يزال بعض جدرانها قائما ، وشوارع المدينة طولا وعرضا لا يزال بعض آثارها واضحا وقد استفاض عند السكان اليوم مواضع الأبواب فى منتهى الشوارع الرئيسية فى المدينة ، كما لا يزال يظهر موضع مسجد المدينة الكبير الذى كان انهدم مع المدينة ، والمدينة المهذومة تاتى فى شمال ايليغ المحدثه التى سكنها أهلها الآن ..» (27)

د) علاقة الدلائين بالمجاهد العياشى

المجاهد العياشى هو محمد (بفتح الميم) بن أحمد المالكى الزيانى (بفتح الزاى وتشديد الياء) العياشى السلاوى . أصله من قبيلة بنى مالك بن زغبة من العرب الهلالية المستوطنة فى بلاد الغرب ، وفصيلته القربى بنو زيسان القاطنون اليوم بأحد أولاد جلول بدائرتى القنيطرة وسوق أربعاء الغرب . كان العياشى من أخص تلاميذ الشيخ عبد الله بن حسون الذى أشار عليه بالجهاد فى سبيل الله ، وبدأ يظهر على مسرح السياسة فى أوائل العقد الثانى من القرن العاشر للهجرة (أوائل القرن 17 للميلاد) كمجاهد متطوع فى بلاد دكالة يربط فيها لقتال البرتغاليين فى الجديدة . وبلغ خبر تضييقه على النصارى المحتلين وانتصاره على جيوشهم فى وقائع حربية متعددة الى بلاط السعديين بمراكش ، فكافؤوه بعمالة مدينة أزموور ، ليظل شوكة فى جنب البرتغاليين يقض مضجعهم ويبعث فى قلوبهم الرعب والهلوع . وتضايق البرتغاليون كثيرا من حركات العياشى ومرابطته الدائمة حول المنطقة التى يحتلونها ، فعمدوا الى المكر والخديعة ، واشتروا ضمائر حاشية السلطان زيدان بهدايا ثمينه . ونجحت المؤامرة الدنيئة فجهز زيدان سرية قوية وجهها الى مدينة أزموور للقبض على العامل وقتله . لكن قائد السرية محمد السنوسى الذى كان على علم بجدية الامر بعث الى المجاهد العياشى خفية أن ينجو بنفسه ، وأنسح له المجال للخروج الى مسقط رأسه . ورجع العياشى الى سلا عام

1614/1615 - 1615 فوجد الإسبانيون قد احتلوا ثغر المعمورة (28) قبل ذلك بسنة . وعاثوا في ضواحيه فسادا . وكان السلويون استغاثوا بالسلطان زيدان . ووفد جماعة منهم عليه بمراكش طلبا للنجدة والمعونة . «فصار يوعدهم (كذا) بالنصرة وعو يهزا بهم الى أن خرجت له هدية عظيمة من عند النصاري من البريجة ودفعوها له . ففهم أهل سلا أنه قبض حق البلاد كيف فعل أخوه الشيخ بالعرائش ، فانصرفوا راجعين الى بلادهم ، وأخذوا في العدة والحزم والعسة على الاسوار ..» (29) وهكذا اضطر السلويون الى الاعتماد على أنفسهم في مدافعة العدو النازل بأبواب مدينتهم ، وقدموا عليهم المجاهد محمد العياشى وبايعوه على الجهاد واقامة الحدود ، وكتبوا بذلك وثيقة أمضاها سكان المدن والقرى من بلاد تامسنا الى تازا . ووافق عليها فقهاء الوقت وقضاة . وبذلك نصب العياشى أميراً للمجاهدين فى سلا وسائر بلاد الغرب . وامتد نفوذ فشملى تطوان وأقاليم الشمال . واتسع نطاق العمل أمامه فصار ينتقل فى حركاته الجهادية بين المعمورة ، والعرائش ، وطنجة ، وسبتة ، ومليلية ، والجديدة ، ويقارع فى حملات موفقة المحتلين الاسبانيين والبرتغاليين . وجابه العياشى فى نفس الوقت صعوبات داخلية متعددة ، منها ما كان ناتجا عن التمرد المعتاد لبعض القبائل ونزوعهم الى الاغارة والسلب والنهب وقطع السبل لإثارة الشعب والاضطراب انسياقا مع تيار الاحقاد والضغائن . وكثيرا ما تعرضت فاس لغارات قبائل شراكة والحياينة ، وتوجه العياشى الى عين المكان لكف المعتدين وزجرهم . وكان بعض رؤساء قبائل الغرب ينافسون العياشى ويحسدونه على ما يتمتع به من نفوذ وشفوف ، بالرغم من وشائج القرى التى تربطهم وایاه ، وقد استطاع العياشى أن يتغلب على جميع الصعاب ويسير فى خطته الجهادية قدما ، فيصلول ويجول ويرعب المحتلين ويدفعهم الى أن يقبعوا وراء أسوار المدن التى يحتلونها ، ولا يبرحوها الا نادرا .

على أن هناك طائفة أخرى من خصوم العياشى كانت أعظم خطرا عليه وأكثر ضررا . وهى جماعة من الفقهاء النفعيين الذين كان يحركهم البلاط السعدى بمراكش ليفسد على العياشى خطته ، ويصرف الناس عنه بعد أن فشل فى القضاء عليه بأزمور . أخذ هؤلاء المتفقهون ينشرون بين الناس أن الجهاد لايجوز الا مع وجود الامام وبإذن منه ، فتصدى لدحض هذه المزاعم

(28) ثغر المعمورة . ويسمى أيضا المهديّة وحلق سبو . يقع شمال مدينة سلا على مصب نهر سبو

(29) مؤلف مجهول . تاريخ الدولة السعدية ، ص 103

علماء ذلك العصر وفي مقدمتهم محمد العربي الفاسي الذي أصدر فتوى عامة مطولة في الموضوع ، اشتملت على خمس مسائل . ومما جاء فيها فيما يخص الإمام واذنه قوله : « لا يتوقف وجوب الجهاد على وجود الإمام ولا على اذنه في الجملة ، وذلك شرط كمال لا شرط وجوب ومن المعلوم الواضح أن الجهاد مقصد بالنسبة إلى الإمامة التي هي وسيلة له ، لكونه في غالب العادة لا يحصل على الكمال إلا بها ، فإذا أمكن حصوله دونها لم يبق معنى لتوقفه عليها فكيف ترك المقاصد الممكنة ، لفقد الوسائل المتعذرة . ومن المعلوم في الفقه أن جماعة المسلمين تنزل منزلة السلطان إذا عدم السلطان . وما تهذى به بعض الألسنة في هذه الأزمنة من أنه لا يجوز الجهاد لفقد الإمام واذنه ، فكلمة أوحاشا شيطان الجن إلى شيطان الانس وقرها في أذنه . ثم ألقها على لسانه ، في زخارف حدياته ، اغواء للعباد ، وتثبيطا عن الجهاد . وحسبك فيمن يقول ذلك أنه من أعوان الشيطان ، واخوانه الممددين في الغي والطغيان . والذي تشيد به الأدلة أن الجهاد الآن أعظم أجرا من الجهاد مع الإمام ، لأن القيام به الآن عسير ... » (30) فخرست ألسنة المشاغبيين عدة ، وتبين للناس تدجيلهم وتلاعيبهم بالدين . لكنهم عاودوا الكرة مرة أخرى واستغلوا فرصة نشوب الخلاف والقتال بين العياشي والاندلسيين المقيمين في الرباط والقصبة فركزوا دعائيتهم هذه المرة على أن العياشي طامع في الملك يدعو الناس للدخول في طاعته ويقاثلهم على ذلك مضفين حلة الجهاد والقداسة على خصومه الاندلسيين . معللين مهادنة السلطان السعدي للنصارى بأنها ضرورة اقتضتها الظروف ليمون بواسطة سفنهم الحربية قصبة الرباط المحاصرة من طرف العياشي . وكان الذي تصدى للافتاء في ذلك هو أبو مهدي عيسى الكتاني قاضي الجماعة بمراكش (31) فأسيب في الكلام . ومما قاله عن العياشي : « ان حاصل أمر هذا الرجل المسؤول عنه أنه خلط عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليه ان الله غفور رحيم . أما جهاده ورباطه وحراسته ونسكه فنعمما هي ، وأما مقاتلته للمسلمين وعدم اكترائه بدمائهم واعتقاده حليتها ، ومحاصرته لسكان الثغر وفساده بلادهم التي هي في نحر العدو ، وحل نظامهم والسعي في ضعفها واخلائها من عمالها فمن الشرع والدين

(30) عبد العزيز الزياتي ، الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجمال غمارة ورقة 122

(31) الشيخ أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني أستاذ الحسن اليوسى صاحب الحاشية على شرح العقيدة الصغرى للسبوسى . وكان قاضيا بتارودانت فلما استولى أبو زكريا العياشي على المدينة فر السكتاني منها والتحق بمراكش فسماه عبد المالك بن زيدان السعدي قاضي الجماعة . وظل في عمله إلى أن توفي بمراكش عام 1040/1030 - 1031 .

والصواب فيها بمعزل ...» (32) ولستنا بصدد البحث عن تاريخ العياشى
لندرس بتفصيل موقفه من مهاجرى الاندلس ، وناقش أقوال خصومه
ومزاعمهم . على أنه بالرغم من نبل مقصد المجاهد السلوى ، وثبوت استقامته
وصلاحه باجماع كل من تعرض لأخباره من المؤرخين ، يبدو أنه اشتط قليلا
فى المساواة التى عامل بها الموريسكيين وأبنته غرض الطرف عن صفواتهم - مهما
كانت عظيمة - وتركهم ولو الى حين على ما يرومون من استقلال فى مدينتهم ،
وعمل على إيلافهم واجتذاب أفئدتهم ، وتعويدهم الاشتراك فى المجتمع الجديد
الذى انتقلوا اليه .

وقد سبق لمحمد بن أبى بكر الدلائى أن تعرف على المجاهد محمد العياشى
فى مدينة سلا عند الشيخ عبد الله بن حسون ، فتوطدت عرى الصداقة والمحبة
بين الرجلين ، وظلا يذكران طول حياتهما صفاء المنبع الصوفى الفياض الذى
كربما منه معا ، ويتبادلان فى شتى المناسبات رسائل تبدو فيها الصراحة والثقة
والتقدير والاحترام . فالعياشى يذكر لصديقه الدلائى ما يعتزم القيام به من
الحركات الجهادية ، ويطلبه على خططه الحربية ، ويتحدث اليه فى غير كلفة
ولا احتراز عما يعترضه من صعوبات مادية معنوية . وجاء فى رسالة وجهها
المجاهد العياشى الى الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى بعد الانتصار الذى كملت
به إحدى غزواته ضد الاسبانييين فى العرائش ، وذلك عام 1040/1631 : «وقد
ورد علينا كتابكم المعظم أثير المحل لدينا . كريم الورود علينا مهننا بغزوة
العرائش أعادها الله دار اسلام ، وقد قوى الأمل فى الله سبحانه أن تكون
نلك الغزوة مفتاحا لفتحها ، ومقدمة تلزم لعزائم الاسلام نتيجة نجاحها .
فالمسلمون نازلون الآن بعقر دارها ، ومرسلون الصواعق على أسوارها ، حتى
تفرق أن شاء الله بكفارها ، ويأذن الله عز وجل ببوارها ، وتطهيرها من
أدناسها وأوضارها ، وعودها الى ملك الاسلام بعد إبقاها وفرارها . هذا الذى
انعمت عليه النية ، وانطوت عليه الحنية . لكن يا سيدي أين المساعيد ؟
والامر لا ينحصر به الواحد ...» (33) وكانت الرسائل الواردة من الدلاء تحمل
للعياشى من التشجيع والتأييد ما يدفع به للسير قدما فى ميدان المقاومة
والجهاد والذود عن حوزة البلاد . وأخطر عقبة كانت تعترض طريق العياشى
عن اختلاف القبائل وتخاذلهم . خصوصا بنى عمه أعراب بلاد الغرب . ولما

(32) عبد العزيز الزياتى ، الجواهر المختارة ، ورقة 126/1

(33) عبد القاهر املاق ، الخبر عن ظهور العياشى ، ص 34 .

طرق خبر فتنهم سمع الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائل كتب الى العياشي يقول : «... هذا وقد بلغنا وانتهى اليانا أن تلکم القبائل المحيطة بسلا ، حسبما نقله الرواة حديثاً صحيحاً ومسلماً ، ما قاموا بواجب شكر الله في نعمه التي أسداها اليهم ، وأسبغها عليهم ، وهي ذاتكم التي نابت عن الامة المحمدية في أداء هذا الفرض ، الذي جمدت سعيه أهل السموات وأهل الارض ، وإذا كانت عادة القبائل أن يردوا أمورهم لمن فيه خصلة واحدة من شجاعة ، أو ورأى ، أو جود ، أو دين ، ويجعلوه المعول فكيف لا يردده قبيلكم لمن جمع الله به وفيه هذه الخصال وزيادة ، وأخله بجهاذه الرتبة العليا من الرياسة والسيادة ، وسلك بهم مسلك الطاعة ، وشيد لهم فخراً تبقى مناقبة الى قيام الساعة ، فتقرب ربك ، وتشد يديك على الاعتصام بحبله والانتصار به وبأوليائه المؤمنين» (34) . وكتب الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائل رسالة أخرى في نفس الموضوع الى أحد رؤساء بلاد الغرب من ذوي العصبية القبلية والسلطة الروحية ، وهو الشيخ أبو زيد عبد الرحمان العايدى من أعيان أعراب سنجبر (35) يحثه على نصرته المجاهد العياشي وتب القبائل الى الائتثار بأمره ودعوتهم للإلتفاف حوله والعمل معه يداً واحدة . وهي رسالة طويلة مؤثرة سلك فيها شيخ الدلاء مسلكاً حكيماً بين اللين والشدّة ، والترهيب والترغيب ، وكان يعرف من مخاطبته التدوين والميل الى التصوف ، فحاول أن يؤثر عليه من الناحية الروحية ، وذكر له أن للعياشي مدداً من نور النبى صلعم بواسطة شيوخه عبد الله بن حسون ، وعبد العزيز التباع ، ومحمد بن سليمان الجزولى وطلب منه أن يبين ذلك لقومه : «واشرحوا لهم أصل الهداية ، فما هي إلا من النبى صلى الله عليه وسلم ومن أهل المدد من نوره وكل هداية غير هذا ضلال . واستدعوا من الله بقاء هذا السيد المرابط المجاهد في سبيل الله على الصالح العالم الناصح العارف بالله المحقق الصوفى الربانى . أبو عبد الله سيدى محمد العياشى - وفر الله أنصاره - فله مدد من هذا النور ...» (36) وتحدث ابن أبي بكر بعد ذلك عن المسائل الثلاث التي كانت سبب الخلاف القائم بين العياشى وقبائل الغرب . وهي قطعهم للطرق ، وامتناعهم عن دفع الزكاة ، والجهاد معه في سبيل الله ، فقال : «... أما نهى القبائل عن قطع

(34) عبد القاهر املاق . الخبر عن ظهور العياشى . ص 18 - 19 .

(35) الشيخ أبو زيد العايدى هذا هو قريب سيدى الحسن العايدى صاحب المزارعة المشهورة ببحر المويقة بسلا . والمتوفى عام 1131/1718 . وهناك صلحاء آخرون من قبيلة سنجبر ذكر بعضهم الناصرى في الاستقصا

(36) عبد القاهر املاق ، الخبر عن ظهور العياشى ص 22 - 23

الطريق والظلم ففيه صلاح دنياهم ومعاشهم ، وأما الآخرة فما شعروا بها ولا عرفوها . ولو عرفوها ما احتاجوا الى هذا . فالظلم يخلى الخيام ، ويعمرها بالآيتام . وأما أمرهم بدفع الاعشار والزكوات فلأنه لا يتم الإيمان الا بذلك . قال الله تعالى : وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . وقد صرفها في مصرفها الشرعي . وأعان بها المجاهدين ، وأما دعاؤه الناس للجهاد واستنجادهم واجتماعهم عليه فإن فيه قهر العدو الكافر ، وبه رد الله كيده في نحره . مات والله الاسلام . قد قطع العدو البحر ودهم المسلمين في بلادهم ، وتخطف الناس واسرهم من بين خيامهم ..» (37) وسار شيخ الدلاء في رسالته على هذا النمط متفجعا على الاسلام ، مذكرا بما جرى للمسلمين في الاندلس ، والمراحل التي قطعها العدو في امتلاك بلادهم ، الى أن أخرجهم عنها نهائيا . وأخذت أطاعه نتيجة لاحتلال هذه العدو أيضا ؛ ثم عاد فذكر فضل العياشي وجمعه لكلمة المسلمين ، ودفاعه عن بلادهم دون أن يجد من ينضم مؤازرا أو معيناً .

ولم يقتصر تأييد الدلائيين للمجاهد العياشي على تشجيعه بالمراسلات وندب القبائل لمؤازرته ونصرته ، وإنما كانوا يقدمون له الإعانات المادية ، ويعتون اليه بالجنود المقاتلة عند الحاجة . وقد أرسل الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي أواخر عام 1032/1023 جيشا قويا بقيادة ابنه محمد الحجاج (38) لمساعدة العياشي على اخماد فتنة شراكة بضواحي فاس (39) . وكان المجاهد العياشي ينادي الدلائيين بما يستطيع من التحريض والطرائف اعترافا منه بالجميل . وبعث اليهم عام 1043/1033 - 1034 مع ابنه عبد الله بهدية عظيمة اشتملت على أنواع الملف والكتان وغيرهما من الثياب الرفيعة الغالية الثمن» (40) حتى أن الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي تعجب من تلك التفاضل التي امتلأت بها صناديق عديدة ، ورأى في استعمالها ترفعا لا يليق بصوفي زاهد مثله ، فوزعها كلها على الشرفاء والضعفاء والطلبة المقيمين بالزاوية الدلائية ، ولم يحتفظ منها لنفسه ولا لأهله بشيء .

(37) عبد القاهر املاق ، الخبر عن ظهور العياشي ، ص 23

(38) نفس المصدر ، ص 13

(39) أصل شراكة من أعراب تلمسان ، اصطنعهم عبد الله بن الشيخ الماعون السعدي سلطان فاس (1022 - 1033/1013 - 1023) واتخذ منهم جيشا خاصا يعتمد عليه . وكانوا في بادئ الامر يسكنون بعض قصبات فاس وفنادقها ثم أخرجوا من المدينة بسبب طيشهم وقسادهم . ولما توفي عبد الله بن الشيخ عاث أعراب شراكة في ضواحي فاس قصادا . وكانوا ذوي بأس شديد ، لم يتمكن العياشي من القضاء عليهم الا بمساعدة فرسان الدلاء . وسكنوا شراكة اليوم في شمال فاس تابعة اداريا لقرية ابا محمد .

(40) سليمان الحوات ، الدور الضاوية ، ورقة 49

وصفوة القول أن العلاقات بين الدلائيين والمجاهدين السلأويين قامت على أساس مثنين من الاخلاص والوفاء . وكان الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائى بولى الرئيس أبا عبد الله العياشى كثيرا من التقدير والاحلال ، ويعتبره قائما برأجب دينى ووطنى ، نيابة عن جميع المسلمين فى المغرب ، حتى انه اتخذ دعاء خاصا مع أوراده يدعو به لهذا المجاهد فيقول : « اللهم اجز عنا سيدي محمد العياشى أفضل المجازاة ، وكافئه أحسن المكافاة ، واجعل مكافأتك له كشف الحجب عن قلبه حتى تكون أقرب إليه منه . اللهم لا تحرمه توجيه اليك ، وانقطاعه لخدمتك . اللهم نفس كربته ، وكمل رغبته ، وأجب دعوته ، وسدد رميته ، واردد له الكرة على من عداه فى الحق . انك على كل شىء قدير » (41) .

وسنرى فى الفصل الرابع من هذا الباب التطورات المؤسفة التى طرأت على العلاقات بين العياشى والدلائيين الى أن انحس الامر بهم الى العداة والقتال .

3 - زعامة محمد الحاج السياسية . (1040 - 1079/1636 - 1668)

(أ) من هو محمد الحاج ؟

محمد الحاج هو أكبر أبناء الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائى . ولد فى الدلاء عام 1588/997 - 1589 (42) ونشأ كسائر اخوته وبني عمه مكيا على الدرس والتحصيل فى الزاوية البكرية . ونال اجازات عامة فى مختلف الفنون الدينية والادبية من شيوخه أحمد بن القاضى ، وأحمد بن عمران السلاسى ، والعربى بن يوسف الفاسى المتقدمين . « وكان ذا وجه حسن ، وذلاقة لسان ، حسن الشارة ، بارع الفهم والعبارة ، موصوفا بالرجولة والبرودة الفائقة » (43) وتوجه محمد الحاج الى البقاع المقدسة عام 1631/1041 - 1632 فى موكب حافل ضم كثيرا من رجال العلم والفضل والدين . من جهات مختلفة حتى من بلاد توات . ولقى فى رحلته الحجازية كثيرا من مظاهر العناية والتقدير ، فيخطب الناس فى عرفات ، ودرس بالمدينة المنورة ، وقدم فيها خطيبا واماما ، ولدى مروره بالقاهرة خرج للمقائه الامام أحمد القرى ، فأقام عنده وعند شيخ المالكية بمصر على الاجهوى مدة كان محمد الحاج خلالها يعقد مجالس علمية بالجامع الأزهر ويلقى دروسا فى التفسير والحديث وغيرهما .

(41) أحمد الناصرى ، الاستقصا ، ج 6 ، ص 91

(42) أبو القاسم الزياتى ، الترجمان العرب ، ص 302 . ويجعل مؤرخون آخرون ولادة محمد الحاج عام 1591/1000 - 1592

(43) سليمان الحوات ، البدور الضاوية ، ورقة 109/ب

وبدت كفاءة محمد الحاج السياسية والحربية في حياة والده الذي كان يعتمد عليه في المحطات ، ويرسله على رأس جيش الدلاء الى ما وراء نهر ملوية والى بلاد الغرب فيرجع ظافرا منصورا . وقد انفرد أبو القاسم الزباني - فيما أعلم - بذكر أخبار غريبة عن نشأة محمد الحاج ، زعم نقلها عن الشيخ اليوسى فقال عن أمير الدلاء انه كان في ابتداء أمره طالبا صعلوكا مملقا، طرده والده لاستغاله بما لايعنيه ومصاحبته للبطالين ، فكان يأوى الى كهف في جبل بدلا لوقد فيه النار ذات ليلة فرأى أثر باب داخله فنقبه واستخرج منه سبعة قمام نحاسية في كل منها عشرة آلاف دينار مريني «فأصلح حاله وواسى أقاربه واصحابه . وولع بركوب الخيل ، واستركب الاقارب والاقربان ، فلم تكمل عليه السنة الى أن كان يركب في مائة من الخيل من الاولياء والمصطنعين . واشتغل بتقويم الاتباع من قبيلة مجاط وغيرهم من صنهاجة آيت أومالو (44)، وصار يشن الغارة عن من بملوية وتادلا من العرب فعلى صيته» (45) .

وأخبار الصعلكة والبطالة والاملاق تناقض ما أجمع عليه المؤرخون وأصحاب التراجم من حسن تربية أبناء الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائى جميعا ، وتنافي وتأثير البئة الصالحة في نفوس الناشئين فيها ، خصوصا ونحن نعرف ما أوتى الدلائيون من بسطة في المال والعلم والصلاح . وكتب اليوسى بين أيدينا لم نعر شيئا فيما قرأناه منها على هذه الاساطير ، بل بالعكس من ذلك نجد اليوسى في المحاضرات يخصص فصلا طويلا في نحو 18 صفحة يروى فيه مباشرة عن محمد الحاج كثيرا من الاخبار العلمية والادبية ويتحدث عنه بكامل الاجلال والتقدير .

ب) نزوع محمد الحاج الى الحكم

بمجرد وفاة الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائى عام 1046/1636 ظهر نزوع محمد الحاج الى الاستقلال بالامر ، وبدأت أعناق مختلف القبائل تسرب اليه واحمال أعشارهم وزكواتهم تحمل لديه . فامتدأت رحاب الدلاء بالوفود ، وتضاعف فيها عدد الاتباع والجنود ، ورأى ملك مراکش محمد الشيخ السعدى في ذلك الاداة الفعالة للقضاء الحتمى على ما بقى له من نفوذ ، فعمل على تدارك الامر بالحكمة ، وسلك نحو هذا الرئيس الطموح سبيل المجاملة واللين . فصار في بادىء الامر الى بناء ضريح الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائى ،

(44) آيت أومالو ومعناها بنو الظل هم سكان شمال الاطلس . يقابلهم آيت آسار (بشديد الميم) أى بنو الشمس وهم سكان جنوب الاطلس

(45) أبو القاسم الزباني . البستان . ورقة 1/5

رئيد عليه قبة أنيقة بعث لاقامتها الصناع والادوات اللازمة من مراکش .
وانفق عليها بسخاء . وبعد ذلك بعث ملك مراکش قاضيه الشيخ محمد
المزوارى الى الدلاء . ليستميل اليه محمد الحاج ويحضه على الطاعة والبيعة .
ولكن نصائح القاضي ومواعظه ذهبت أدراج الرياح ، فمحمد الحاج كان مصمما
على أن يقبض على زمام الحكم في المغرب . بعد أن تأكد من اضمحلال نفوذ
السعديين واستبداد الثوار عليهم في كل مكان . ويذكر المؤرخون أن محمد
الحاج اعتذر لقاضي مراکش بمسائل لم يفصحوا عنها . ولعله أفهم مخاطبه
بأن عجز السعديين في ذلك الحين عن القيام بمهمتهم . أفقدهم أهم أركان
الخلافة الذي هو الكفاءة . فلم تعد لهم عصبية قبلية . ولا سلطة روحية مستمدة
من نسبتهم القرشية فغدا بذلك جلوسهم على العرش غير ذي موضوع . إذ ليس
من المعقول أن تشتعل نيران الفتنة في أرجاء البلاد وتأتي على الأخضر واليابس ،
وينعدم الأمن ويختل النظام ، في الوقت الذي يوجد ملك صوري تابع في قصره
لاحرك ساكنا وكأن الامر لايعنيه !

وبالرغم من فشل القاضي لم ييأس محمد الشيخ ، وكتب رسالة مطولة
الى محمد الحاج وعشيرته ، حاول فيها أن يكون لبقا يجمع بين الوعد والوعيد ،
ويسلك سبيل اللين والتهديد ، ولكن قلم الكاتب جمع فأسيب في اختلاق
الغايب والنقائص للدلائيين ، مما يتنافى وما يتطلبه الموقف من اجتلاب قلوبهم
والتودد اليهم . وقد جاء في هذه الرسالة : «ولم تراقبوا مكر من رفعكم عن
غمار عموم البرابر ، وأقعدكم في القباب على الاسرة وفي بيوت الله على
الكراسي والمنابر . عويتم علينا معشر الثوار كالذئاب من كل عراء وشعبة ،
لتكون عزيمة نهوضنا اليكم معطلة صعبة ، وان لاندري أين تصل النفوس .
التلك الصحاري أم الى ايليغ السوس . وهذا المغرب لا يخلو علان من نواويس
كل كاهن ومدع قرقرار (46) تسمى فيه البومة خاملة وتصبح بالمخلف
والمنقار» (47) واقترح محمد الشيخ في آخر هذه الرسالة على الدلائيين أن
يتنازل لهم عن قسط من الجبايات ، يكفي شؤون الزاوية وأهلها ، مقابل أن
يعترفوا بسلطته ويكفوا أيديهم عما عدا ذلك . . . فقال «وحتى الآن دعوناكم
لنعقد البيعة الواجبة لنا على كل من أطاع أو عصى ، من وحدة الى حدود السوس
الاقصى . فنزهد لكم فيما يقوم بحق تلك الزاوية وأهلها . بشرط أن تفيقوا
من سنة الغفلة وجهلها ، وان أمسكتكم أقدام الانقياد عن سلوك سبيل السداد

(46) القرقرار : الذي يهدر كالجمل

(47) أحمد الناصري . الاستقصا . 6 : 99

وقول سوله ، فأذنوا بحرب من الله ورسوله» (48) وقد أجاب محمد الحاج عن هذه الرسالة بأخرى بليغة من انشاء أخيه محمد المسناوى ، ظهر فيها استكاف الدلائيين مما لزعم به محمد الشيخ من النقائص واعتذروا عن عدم تجديد البيعة بأمرين ، أولهما أن قبائل البربر لم تعد تعترف بسلطة السعديين ، فلو بايعهم الدلائيون لانتقض البربر من حولهم ونزحوا عن ساحتهم . وثانيهما قيام محمد بن الشريف فى الصحراء وتقويه ببرابرة صنهاجة وعرب دخيسة وتشوفه لامتلاك المناطق الخاضعة للدلائيين على ضفاف نهر ملوية ورباط تازا . وبعد أن ذكر الدلائيون ما هم عليه من المنعة وشدة بأس قالوا : «وحتى الآن أن قصدتم الغرب أو حصن فاس ، فلا تنالكم من جانبنا مساء ولا بأس ، فبعد أن يكون لكم فى المدينة البيضاء الجديدة والقديمة (49) قرار ، يكون لنا بعد ذلك حكم الاختيار . بين أن نؤمن لك أو نترك لك الديار ، أو نستصرخ بمن هو مثلك شريف حقيقى وسلطان ، له شرف أكثر منك فى ضبط الاوطان ، وإن قنعت بحوز الحمراء من مراكش ، ورفضت عنك معاناة الهراش والتناوش ، فدعنا ومراعاة من تجارته الرئاسة ، وعنه اشتراء نفيس السياسة ، ضرغام غاب سجلماسة» (50) . والرسالتان خاليتان من التاريخ ، وقدر الناصرى فى الاستقصا (51) أنهما تبودلتا خلال عام 1046 . (1636 - 1637) والظاهر أنهما كانتا فى أواخر عام 1047 أو فى أوائل 1638/1048 لأنهما تتحدثان عن الضريح الذى شيده السعديون للشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى المتوفى شتاء عام 1636/1046 . وتتعذر المواصلة فى هذا الفصل أن لم نقل تنقطع بين مراكش والمنطقة الجبلية التى تقع فيها الزاوية الدلائية . وبذلك فإن العمل فى بناء الضريح لم يبتدىء إلا فى أواخر ذلك العام أو مطلع العام الذى يليه . ولا يمكن عادة نقل المواد اللازمة للبناء من مراكش إلى الدلاء ، وتشيد القبلة وزخرفتها فى أقل من سنة ، أضف إلى ذلك فترة سفارة القاضى المزوار التى سبقت الإشارة إليها وعلى أى حال فإن الرسالتين السابقتين كانتا آخر محاولة للتفاهم السلمى بين السعديين والدلائيين ، وصيتقابل الفريقان فى معركة حاسمة على ضفاف وادى العبيد بفران المصير النهائى لعلاقتهم كما سنراه فى الفصل التالى .

(48) نفس المصدر ، ص 100

(49) المراد بالمدينة البيضاء الجديدة فاس الجديد ، وبالقديمة فاس الأدرسية

(50) الناصرى ، الاستقصا ، ج 6 ، ص 102

(51) ج 6 ، ص 97

ج) تأسيس مدينة الدلاء

عرفت الزاوية الدلائية القديمة في هذه الفترة تطورا كبيرا ، فنضخم عدد سكانها حتى ضاقت بهم الابنية والاخصاص ، واعتلات السبل المؤدية اليها على وعورتها بالواردين والصادرين . ورأى محمد الحاج أن يؤسس مدينة جديدة واسعة في منبسط من الارض يسهل الوصول اليه . فارتاد لعاصمة امارته المكان الذي توجد فيه زاوية آيت اسحق في سفح الاطلس المتوسط على الطريق الرابطة بين خنيفرة وقصبة تادلا (52) وفي ذلك يقول محمد بن الطيب القادري : «وفي عام 1048 - 1638 تشرع أمير المؤمنين السلطان سيدي محمد الحاج الدلائي في بناء قصبة الدلاء في منتصف يوم الاحد سادس وعشرى ربيع الاول من العام . وانتظر لذلك طالع سعيد» (53) وقد أخذت هذه المدينة الجديدة أسماء كثيرة ، فبعض المؤرخين دعاها قصبة الدلاء ، وبعضهم سماها مدينة الدلاء أو مدينة ازغار أو زاوية محمد الحاج ، وإلى ذلك كان يطلق عليها اسم الزاوية الدلائية أو الزاوية البكرية ، لانتقال الدلائيين الى السكنى بها وهجرة العلماء والطلبة اليها ، حتى ان الزاوية الدلائية القديمة في عهد محمد الحاج لم تعد سوى قرية ثانوية يسكنها الفقراء والعجزة ويدفن فيها موتى الاسرة الدلائية كما سبق . واتخذ محمد الحاج لنفسه قصرا وديوانا عظيمين في وسط المدينة الجديدة كان يحيط بهما سور داخلي ما يزال بعضه ماثلا للعيان حتى اليوم . (54) وأسكن معه في العاصمة خمس قبائل بربرية من أكثر سكان الاطلس المتوسط عصبية وحمية ، وهي مجاط ، وآيت يبور ، وآيت نضير (بنى مطير) ، وكروان ، وآيت اسحاق . فاستكمل الدلائيون بذلك مظاهر الابهة والسلطان ، وتكونت لديهم أهم قوة حربية بالبلاد سيصول محمد الحاج بها ويجول ، ويمتلك أهم أقاليم المغرب مدة تنيف عن ثلث قرن .

د) بيعة أهل المغرب لمحمد الحاج

لما استتب الأمر لمحمد الحاج ، وقضى على خصومه ومنافسيه ، ودان له وسط المغرب وغربه وشماله ، وكثر جنده وأنصاره ، أخذ يفكر في اضغاث صبغة شرعية على موقفه ويعمل على تنصيب نفسه ملكا على البلاد لاسيما وقد كان تدهور السعديين في مراكش بلغ غايته ، وأصبح من السهل التخلص من

(52) تبعد مدينة محمد الحاج المعروفة اليوم بزاوية آيت اسحاق عن خنيفرة بـ 35 كلم ، وعن قصبة تادلا بـ 64 كلم

(53) محمد القادري ، نشر الثاني الكبير ، ورقة 1/92

(54) انظر اللوحة رقم 8

القائمين على الجنوب . فطالب الناس ببيعته والتزام طاعته ، وذلك في أوائل عام 1061/1051 . «فقام أهل المغرب بدعوة سيدي محمد الحاج وأدعنوا لطاعته وأمره ، وجاءته البيعات من البلدان المغربية . وبأيعه أهل فاس الادريسية واعيا بالخلافة . وكتبوا له البيعة بجامع القرويين ، وحضرها من هو أهل ذلك من الاعيان ، والجم الغفير من أهل الديوان ، في مهل ربيع الثاني عام 1061 . وقدموا عليه بها للزواوية الدلائية فقرئت على منبر مسجدتها ، ووضع في صندوق مع غيرها من بيعات أهل نواحي المغرب في خزانة كتب الجامع المذكور ...» (55)

4 - أعمال محمد الحاج الحربية

أ - الحملتان الدلائيتان الاوليان

قضى محمد الحاج الدلائي السنتين الاوليين في اعداد العدة وتنظيم الجيش . وتأسيس العاصمة وترتيب القبائل ، ولم يتحرك جنده الا في عام 1048/1038 . فقام في هذه السنة بحملتين كبيرتين ، على ضفاف نهر وادي العبيد وفي بسائط بلاد سائس . وقد ترأس محمد الحاج بنفسه الحملة الاولى ، عندما بلغه خبر تحرك جيش محمد السعدي من مراكش في اتجاه الدلاء . والتقى الجمعان على ضفة وادي العبيد ببلاد تادلا ، في المكان المعروف بأبي عقبة على بعد نحو 12 كلم من المركز الحالي لدار ولد زيدوح . وجرت معركة حامية الوطيس اسفرت عن انهزام محمد الشيخ السعدي ورجوع جيشه مغلولاً الى مراكش . وانقطع بذلك نظر السعديين نهائياً عما شمله نفوذ الدلائيين من البلاد .

وكان سبب الحملة الدلائية الثانية هو استنجد المجاهد العياشي بمحمد الحاج ، ليساعده في القضاء على فتنة الحياينة (56) وشراكة الذين قويت شوكتهم ، وأمسوا يغيرون على الفاسيين ويسلبونهم أموالهم وأمتعتهم ، ويتخطفون أولادهم ونساءهم . وقد توجه وفد من علماء فاس وأعيانها الى المجاهد العياشي بسلا (57) ، ورجوا منه أن يخلصهم من بلاء القبيلتين الجاوزيين . فأحالهم العياشي على محمد الحاج ، وبعث معهم بخطاب يشرح له

(55) سليمان الحوات ، الدور الزاوية ، ورقة 111/ب . وذكر خبر قيام أهل المغرب بدعوة محمد الحاج في التاريخ المذكور أيضا محمد القادري في نشر الثاني ، ص 196

(56) الحياينة : قبيلة عربية في شمال شرق فاس ، مستقرة بين نهرى سبو وورغة ، تشمل على ثلاث عشائر كبيرة وعشائر كثيرة - (هامش العز والصولة ، ص 17)
(57) أشار الى هذه الزيارة التي قام بها وفد علماء فاس للمجاهد العياشي بسلا محمد بن أحمد ميارة في مقدمة شرحه للمرشد المعين ، 1 : وكان ذلك في أواسط ذي الحجة عام 1047/1038

الحال ويرجو منه الاغاثة والنجدة . فلبى أمير الدلاء نداء الواجب ، وأرسل الى العياشي جيشا قويا من البربر تحت امره أحد قواده المسمى شعشوع . ويمكننا ان ندرك مدى أهمية هذا الجيش اذا عرفنا أن المجاهد العياشي استطاع به أن يقضي نهائيا على القبيلتين المتمردتين ويلاحق فلولها في قنن الجبال ، ويفرق بقاياها في القبائل لتتحل عصبيتها ، ويامن الناس شرهما ، وطالما عالج العياشي أمر الحيانة وشراكة قبل ذلك فلم يحصل على طائل .

(ب) مهاجمة المجاهد العياشي

لم تطل مدة الصفاء بين الدلايين والعياشي بعد ذلك ، اذ كان نظر محمد الحاج متجها نحو الغرب ، بعد أن تركزت قدماء في ملوية العليا وبسائط تادلا وما والاها من البلاد . وكان لابد له اذا أراد تحقيق مطامحه من أن يتخلص من العياشي صاحب النفوذ في الشغور . ولا نطن حادثة الاندلسيين الا تعلقه اتخذها محمد الحاج لتبرير موقفه العدائي من مجاهد سلا ، وفرصة اعتيلا للقضاء على منافسه من أجل التوسع وبسط النفوذ . وقد اتهم العياشي الاندلسيين المقيمين على الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق بممالة الاسبانيين على المجاهدين ، وأفتاه العلماء بجواز قتالهم ، فحاصروهم وضيق عليهم الخناق الى أن تمكن من مدينة الرباط ، وبقيت القسبة تقاوم الحصار مدة طويلة ، اذ كانت حاميتها تتألف من الموريسكيين وجنود الملك السعدي صاحب مراكش ، يشد أزرهم الاسبانيون . ومما يؤكد الاتهامات الموجهة ضد الاندلسيين ما ورد في رسالة بعث بها دوراستان « DE RASTIN » القائم بأعمال قنصلية فرنسا في سلا الى رئيس الوزراء ريشوايه « RICHELIEU » بتاريخ 16 يوليوز 1639 يخبره بأن سلا الجديدة (الرباط) قد سقطت في يد العياشي ، وان الحصار قائم حول القسبة التي تمون بواسطة الاسبانيين (58) .

وقد أهدر العياشي دماء الاندلسيين في الرباط والقسبة وأباح أموالهم، وفرت طائفة منهم الى الدلاء فأجارهم محمد الحاج وشفع لهم عند العياشي فلم يقبل هذا الاخير الشفاعة فيهم ، وأبى الا أن يستأصل شافتهم . فكان رد محمد الحاج أن زحف بجنده على منطقة نفوذ العياشي ، في أوائل عام 1050 / 1640 وملك مدينة مكناس ، ثم اتجه الى فاس فاعترض العياشي طريقه، ووقعت الحرب بين الصديقين القديمين ، واقتتل الجيشان المتحالفان الى عهد قريب . وكان النصر في البداية حليف محمد الحاج ، فتقدم الى فاس وحاصرها مدة ،

ثم كر عليه العياشي في جموع وقيرة من رجال الغرب فانهزم الدلائيون لأول مرة ورفع الحصار عن المدينة . وعرف محمد الحاج انه لا يستطيع القضاء على خصمه ما دام في عزة ومنعة بين قومه وأنصاره من قبائل الغرب ، فرأى أن يبحث عن منافسي العياشي من بين رؤساء هذه القبائل ، وفي مقدمتهم الناعى والد خيسى ، فعالمهم وجذب بواسطتهم الى جانبه طائفة مهمة من الاعراب . واعتم محمد الحاج فرصة تغيب العياشي في بلاد الفحص لقتال الاسبانيين في طنجة . فحشد جموع العرب والبربر شمال نهر سبو ، وترصد وهو على أتم أهبة وأكمل استعداد عودة خصمه من الجهاد . وفوجيء العياشي بهذا الجيش الجرار الذي اعترض طريقه ، ورأى ألا يقبل له به ، فجنح الى السلم والميمنة لكن المجاهدين الذين كانوا معه أبوا الا الدفاع عن أنفسهم ومواجهة خصومهم . ف وقعت المعركة الثالثة بين العياشي والدلايين في ضواحي سوق أربعاء الغرب أواخر عام 1050/1641 وكان من الطبيعي ألا يصمد المجاهدون الذين أنبكتهم الاغارات على الاسبانيين ، خصوصا وهم قلة أمام هذه الحشود المستريحة . وقتل فرس العياشي تحته في المعركة فلهذا الى قبيلة الخلط (59) وهو لا يعلم أنها انحرفت عنه فيمن انحرف من الاعراب . فلم يستقر به المقام عندهم حتى اغتالوه في عين القصب التي تبعد عن مركز سوق أربعاء الغرب بنحو 20 كلم غربا ، واحتزوا رأسه وبعثوا به الى خصومه ، وذلك في 9 محرم عام 1051/21 أبريل 1641 . وبموت العياشي وتفرق أنصاره خلا الجو للدلايين وتساقت في أيديهم المدن والاقاليم تباعا . فملكوا فاسا بعد حصار دام ستة شهور ، ثم استولوا على سلا وتطوان وسائر بلاد الغرب . وقد عدد أبو القاسم الزياني المدن والقبائل التي شملها نفوذ محمد الحاج فقال : «استولى الرئيس محمد الحاج بن الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي على وادي ملوية كيف جري ، والريف ، وقبائل صنهاجة (60) والاحماس وغمارة (61) وتطوان ، وقصر مسمودة (62) والبصرة (63) وقصر كتامة (64) وقبائلهم ، وبلاد ورغة

(59) الخلط قبيلة عربية مساكنها بين سوق أربعاء الغرب وعرباوة

(60) يراد بقبائل صنهاجة ما يعرف اليوم بآيت اوهار في الاطلس المتوسط . وتشمل زيسان وانشون وآيت شحمان وبني مكيلد .

(61) الاحماس وغمارة من جملة قبائل جباله . وديارهم في ضواحي مدينتي شفشاون وتطوان

(62) قصر مسمودة ويقال له أيضا قصر المجاز والقصر الصغير يقع بين طنجة وسيطة

(63) تقع البصرة بين عرباوة ووزان . وهي الآن خراب

(64) قصر كتامة ويقال له أيضا قصر عبد الكريم هو مدينة القصر الكبير الشهيرة جنوبى العرائش

(65) وتازة ، ومكناسة الزيتون ، وبني يازغة (66) وقبائلها من الجبال» (67). وحاول عبد الله العياشي (68) أن يشار والده المجاهد القليل فحشر لذلك أنصاره من قبائل الغرب ، ولقى جيش الدلائيين بقيادة محمد الحاج علي صفاف واد الطين بالقرب من مركز أحد كورت الحالي ، في أوائل ربيع الأول عام 1643/1053 وجرى بين الفريقين قتال شديد كان التفوق فيه للدلائيين وطارد محمد الحاج أنصار العياشي في مساكنهم ، وجاس خلال ديارهم ، فعمت الفتنة قبائل الغرب وغشا فيهم القتل والنهب .

ج) غزو شرفاء سجلماسة

بعد أن قضى محمد الحاج علي منافسيه في بلاد الغرب وجه نظره إلى ما وراء نهر ملوية ، وكان يتوحيس خيفة من انتشار نفوذ محمد بن الشريف في الصحراء ، وطالما بحث محمد الحاج دون جدوى عن وسيلة تضمن له بسط سلطانه على سجلماسة (69) وتحد من طموح الشريف وأبنائه ، وبالرغم من تفوق الدلائيين المطلق في الناحية العسكرية كان يصعب عليهم أن يضايقوا آل البيت وينكروا بهم . ولعل أحجامهم عن الاساءة إلى العلويين في الوقائع العربية العديدة التي ظهروا عليهم فيها يرجع قبل كل شيء إلى ما وقر في صدور آل أبي بكر الدلائي من حب صادق في الجنب النبوي ، بالإضافة إلى ما يفرضه عليهم الوسط السجلماسي المشبع بتعظيم الشرفاء . ولكن السياسة تعمى وتعمى ، والرئاسة تدفع بصاحبها إلى حيث يريد وحيث لا يريد . وهكذا أكلت الغيرة صدر محمد الحاج وأعياه الصبر فزحف إلى تاقيلالت على رأس جيش جرار من البربر في أوائل عام 1646/1056 ليقضي على منافسه محمد ابن الشريف . وكانت بينهما وقعة القاعة المشهورة التي أسفرت عن انتصار الدلائيين ودخول محمد الحاج إلى مدينة سجلماسة ، حيث أباح للبربر أن

(65) نهر ورغة أحد روافد وادي سبو ، يقع شمالي فاس وتقطع حوله قبائل جباله

(66) بني يازغة تابعة لدائرة صفرو ومن أشهر قراها المنزل

(67) أبو القاسم الزياني ، رسالة الجليلين ، ص 479

(68) عبد الله بن محمد العياشي عالم أدب ويظل مغوار أثنى عليه الشيخ محمد مباركة في مقدمة شرحه للمرشد المعين (1 : 3) وحلاه بألقاب عديدة عالية . كان عبد الله العضد الابن لوالده في الحركات الجهادية ورسوله إلى الدلائيين وغيرهم . توفي عام 1663/1073 ودفن على ساحل المحيط الأطلسي بالقرب من مولاى بوسلهم

(69) سجلماسة مدينة عتيقة أسسها بنو مدرار في القرن الثاني للهجرة ، ولعبت أدوارا مهمة في تاريخ المغرب . وظلت أهلة بالسكان بل وعاصمة لاقليم تاقيلالت إلى ما بعد القرن الحادي عشر/ القرن السابع عشر وما زالت أطلالها ماثلة للعيان بالقرب من الريصاني ، ويسمونها القيلاليون المدينة الكبيرة أو القديمة

يفعلوا فيها ما يشاءون ، فروعوا السمكان ، واستباحوا الدماء والاعوال والاعراض
ثم استجاب الدلائى التوسلات أعيان تافيلالت وشفاعاتهم ، وكف أيدي الجند
عن الناس ، وصالح محمد بن الشريف على اقتسام مناطق النفوذ ، فجعلوا
مادون جبل العياشى من الاقاليم الصحراوية من نصيب ابن الشريف ، وما
فوق ذلك من البلاد خاصا بالدلائيين . واستثنى محمد الحاج عن منطقة نفوذ
السرفاء خمسة مراكز احتفظ بها لنفسه ، لما كان له فيها من مصالح حيوية
خاصة ، وهي : الشيخ مغفر فى أولاد عيسى بالرتب (70) والسيد الطيب
فى قصر السوق (71) والسيد أحمد بن على العثمانى فى بنى عثمان من
الحلق (72) وقصر كلممة فى وطن غريس (73) ، وأسرى فى بلدة فركلة (74)
غير انه لم يكد ينصرف محمد الحاج من الصحراء حتى هجم محمد بن الشريف
على القصور التابعة للدلائيين واستولى عليها . وتطورت العلاقات بين الطرفين
تطورا سيئا كان السبب فى القضاء النجاشى على الزاوية الدلائية كما سنرى
فى الباب التالى .

(د) الجهاد ضد الاسبانين فى المعمورة

لم يهتم محمد الحاج كثيرا بالجهاد ولو أن النصارى كانوا يحتلون ثغورا
عديدة بجوار المراكز التى يسيطر عليها . ولعله كان مشغولا عنه بالاحداث
الداخلية . فهو بالرغم من اتساع رقعة نفوذه ووفرة جنده ، لم يستطع أو لم
يجزؤ على التخلص نهائيا من منافسيه بمراكش وسجلماسة وإيبيغ زيادة على
خصومه شعبة العياشى النجاشيين فى بلاد الغرب وأقاليم الشمال ، على أن محمد
الحاج دعا الناس للجهاد فى أواخر رجب عام 1053/1043 واشتغل نحو نصف

(70) أولاد عيسى قصر يقع على الضفة الغربية لوادى زين . ويبعد عن قصر السوق بنحو
40 كلم جنوبا

والقصر فى اصطلاح أهل تافيلالت يعنى قرية صغيرة . ويطلق عليها العرب اسم الحرم
ابفتح البصرة والراء وتسكن القس والميم) . وإذا صغر القصر ولم يضد الا بضعة منازل
سمى قصيرا أو تغرمت (بفتح التاء والراء وتسكن القس والميم والتاء)

(71) قصر السوق هو مقر عمدة تافيلالت اليوم . ويبعد عن مكناس بنحو 330 كلم
فى عمان ويعرف اليوم بآيت عثمان . عبارة عن عدة قصور تقع على بعد نحو 27 كلم
من قصر السوق شمالا . ويوجد الآن مشروع بناء سد على وادى زين يعرف بمشروع
خزان آيت عثمان

(72) تقع كلممة على ضفة نهر غريس على بعد نحو 60 كلم عن قصر السوق غربا فى طريق
ورزازات . ويسكنها حتى اليوم آيت مرغاد من البربر

(73) أسرى قصر واقع على ضفاف وادى فركلة . يبعد عن قصر السوق بنحو 80 كلم غربا

شهر بتيبي، الحملة لكنه انصرف عنها لاسباب خاصة (75) ثم قام بغزوة كبرى ضد الاسبانيين بشعر المعمورة عام 1647/1037 بعد أن استنفر المجاهدين للحركة منه من جميع الاقاليم (76). وكان ممن استجاب لدعوته أهل فاس ومعهم الشيخ محمد بن عبد الله معن صاحب زاوية المخفية بعدوة الاندلس، وابنه الصالح أحمد، فأبليا البلاء الحسن في قتال العدو. وضعف الشيخ يوما عن صعود عقبة بضواحي المعمورة لكبر سنه، فحمله ابنه أحمد على ظهره حتى قطع به المواضع المخوفة، وكان ذا نجد واقدام، وحمية في الدفاع عن حوزة الاسلام.

وقد أورد الكونت دو كاستري (77) رواية مفصلة لحصار المعمورة تحدث بأسباب عن مراحل الهجوم والدفاع والاثابة. وتحدد تاريخ الحصار من 10 غشت الى 3 شتنبر 1647. وهذا التاريخ يتفق في المبدأ تماما مع ما ذكرته المصادر العربية. فالقادرى في نشر المثاني وغيره يقولون ان المسلمين خرجوا للجهاد في المعمورة في 7 رجب 1037 وهو يوافق 7 غشت 1647 ومن الطبيعي ألا يقع الزحف على الحصن الا بعد ثلاثة أيام من خروج المجاهدين من فاس مثلا. لكن تختلف الروايتان الاسلامية والافرنجية في مدة الحصار. فالمصادر العربية تقول ان المسلمين رجعوا الى ديارهم بعد 18 يوما بسبب نفشى المرض والموت فيهم من ماء فاسد شربوه هناك، بينما تدعى الرواية الاخرى استمرار الحصار نحو شهر. وتؤكد انتشار الحمى حتى فى صفوف الاسبانيين. ويمكن الجمع بين الخبرين بأن انسحاب المسلمين بدأ بعد 18 يوما ربقى بعض المجاهدين فى نحر العدو بضعة أيام أخرى. وبالرغم مما تمتاز به الرواية الافرنجية من دقة فى تحديد الايام والساعات للمعارك، وذكر أسماء الضباط المشاركين فيها، والمراسلات المتبادلة فى الموضوع بين الحامية المحاصرة وملك اسبانيا، فانها لا تخلو من مبالغات وتهويلات. ومجمل الخبر الذى أورده دو كاستري أن حصار المعمورة أو كما يسمونها

S. Miguel de Uliramar ou Saint-Michel d'outremer

(73) سليمان الحوات. البدور الضاوية. ورقة 110/ب

(76) محمد القادرى. نشر المثاني. ص 189

وقد ذكر المحققان لكتاب الاستقصا، فى الهامش (98:6) احتمال وقوع هذه الغزوة عام 1052 وهو خلاف الواقع لتضارب النصوص العربية والافرنجية على تحديد عام 1647/1037 تاريخا لحصار المعمورة من طرف محمد الحاج الدلانى

(77) دو كاستري، مصادر لم تنشر لتاريخ المغرب، السلسلة الاولى من وثائق فرنسا، 6:183

بعد الهجوم بمائة ألف من برابرة جبال سوس (78) جاؤوا للجناد
 ومع كل واحد منهم حنجر ، وسنة « Hache à deux tranchants »
 وبنقية خفيفة Escopete (79) وقد لوحظ وجود السوسيين في الخندق
 (80) يوم السبت والاحد 10 و 11 غشت 1647 لكن جنود الحراسة الاسبان
 لم يلاحظوا حذرهم ، عزحف المسلمون يوم الاثنين 13 غشت حوالي الساعة
 الرابعة صباحا ، وارتدوا في خندق باب سلا وبدءوا يقطعون الجسر المتحرك
 دون أن يشعر بهم الاسبانيون ، الى أن استيقظ القبطان أنطونيو دوباديسلا
 « Antonio de Padilla » على اثر أصوات الطرق ، وما كاد يصيح :
 الى السلاح ! الى السلاح ! أيها الاسبانيون ! « فحتى سقط ميتا بطلقة نارية
 من إحدى البندقيات الخفيفة . وتراجع المسلمون من الخندق بعد أن أخذت
 مدافع الاسبانيين تطلق النار عليهم ، ثم كروا بسرعة وتسلقوا بسهولة الجرج
 SAINT JOSEPH دون أن يدافعهم جنود الحراسة الذين أدوا
 ثمن أعمالهم بموت عشرة منهم وجرح اثنين آخرين . وحاول المسلمون أن
 يستولوا على الآبار التي تمون الحصن ، لكن الاسبانيين استماتوا في الدفاع
 عنها طيلة ثلاث ليال .

وقد بعث السوسيون الى الامير عبد الله الدلائي في سلا يخبرونه
 باستيلائهم على القنطرة والبرج . فأمر أن ينادى في جميع مناطق امارته ليأتي
 رعاياه في ظرف ثلاثة أيام الى مدينة سلا لجهاد النصارى فاستجاب لندائه في
 الاجل المحدد جميع من كانوا يستطيعون حمل السلاح ، واجتمع أكثر من
 30.000 رجل و 10.000 فرس ، علاوة على كثير من باعة المؤونة للجند .
 وتحرك جيش المسلمين من سلا حاملا معه ثلاث قطع من مدفعية القصبة .
 اقتتل من الحديد . ومدفع صغير من النحاس ، واحتل هذا الجيش المصراخ
 التي كان المقاتلون البربر قد استولوا عليها ، وأخذ يوجه قذائف المدافع الى
 المواقع الاقلية للاسبانيين ، وبقي يتقدم الى أن لم يعد يفصل بينه وبين أسوار

(78) من المعلوم أن بلاد سوس كانت خاضعة في ذلك العصر الى أبي حسون السملالي . فذلك
 قال البرابرة الذين تحدث عنهم الرواية الاسبانية هم من المنطقة الخاضعة للدلائييين
 بالاطلس المتوسط والكبير . ولفظ «جبال سوس» في الرواية اما أن يكون غلطا ، أو
 خطأ في اللفظ ، من أن السوس الذي كان معروفا عند مؤرخي القرن الحادي عشر الهجري (السادس
 عشر الميلادي) من أن السوس الذي يشمل المناطق الواقعة بين وادي ملوية ووادي أم الربيع
 Escopetie « نوع من البنادق الخفيفة المشهورة منذ القرن الخامس عشر
 يبدو أن حصن المعورة كان محاطا بجنود دفاعية . يسمى ما يقع منها في الناحية
 الجنوبية بخندق باب سلا

الحصن الا اقل من 30 قدما أمام قنطرة فاس وسلا . وكانت مقاومة الجنود
الاسبانيين ضعيفة لان أغليبيتهم كانت مصابة بالحمى الثلاثية وأرسل القبطان
دون فرانسيسكو ديهيريرا « DON FRANCISCO BANOS DE HERRERA »
التي كان قائما بقيادة حامية المعمورة زورقا سريعا الى اسبانيا وفيه رسالتان
إحدهما الى الملك والاخرى الى دوق المدينة والقلعة . يخبرهما بحالة الحصار
ويطالب الاغاثة والنجدة بأسرع ما يمكن . ويمجد ما توصل اليه الدوق بهذا
الانلام يوم 16 غشت سارع الى تسيء الاسطول بالرغم من كونه كان في طور
التفاحة من حمى ثلاثية خبيثة . وبدأت الاستعدادات في نفس اليوم . وانتهت
في اليوم الرابع . وانتظرت المراكب الريح المواتية فلم تنصب أشراعتها الا في
يوم 24 غشت . وكان أسطول الاغاثة يحتوي على سفينة دانكيرك المسماة
سان بيدرو « SAN PEDRO » وسفينة انجليزية كبيرة . وعشر سفن طويلة
ثم انضمت اليه في الطريق سفن حربية أخرى مليئة بالضباط والجنود . ولما
وصل الاسطول الى العرائش طلب قائده من حاكم المدينة الاسباني أن يزوده
بأجبار المعمورة . فأجاب بأنه لا علم له تماما بهذا الحصار لانه لم يصل اليه
أي رجل من المغاربة المسالمين (81) . وقد أعد قائد الاسطول الترتيبات اللازمة
للقال في حالة ما اذا وجدوا الحصن قد سقط في أيدي المسلمين . وفي يوم
الأربعاء 28 غشت على الساعة العاشرة وصل أسطول الاغاثة واقترب الى أن
صار يراى من الحصن وخيام المسلمين . لكنه لم يستطيع الدخول الى وادي
سبو نظرا للطلقات النارية التي توجهها مدفعية المسلمين المركزة على ضفة
النهر . وفي اليوم التالي عين بطريق القرعة مركبان على ظهر كل منهما ضابطان
وأربعة جنود للتوجه - بالقوة - الى الحصن . لكن هذه المحاولة باءت بالفشل .
وفي يوم الجمعة 30 غشت عاودت سفينتان أخريان الكرة بدون نتيجة . فقرر
رأي قائد الاسطول على أن يقتحم النهر بنفسه تفاديا لإخطار الانتظار والتردد .
وفي يوم السبت 31 غشت على الساعة الرابعة صباحا وصل الى الاسطول
لورق كبير قادم من الحصن دون أن يصيبه سوء أو يشعر به المسلمون . وكان
يحمل رسالة من قائد الحامية المحاصرة يطلب فيها بالحاح كبير من قائد
الاسطول أن يدخل الى النهر في أسرع وقت ممكن . لان الحصن المحاصر من
مسافة قريبة جدا معرض للسقوط . ولان الحاجة ماسة الى الرجال بسبب
كثرة المرضى والجرحى . فتقدم قائد الاسطول بسفينة الكبرى تتبعها السفن
الحربية الأخرى . الا السفينة الانجليزية التي تمرد قائدها وهدد بنفسه

في المغاربة المسالمين أو من يسمونهم MOROS DE PAS عبارة عن مغاربة شبه جواسيس كانوا
يؤدون بين الأتراك الى ملك اسبانيا . ويستخدمهم النصارى في مفاوضاتهم مع المسلمين

بأحرته إذا ما أرغم على الدخول إلى النهر . ووقعت معركة حامية بين المسلمين والبحارة الأسبانيين تبادل الطرفان خلالها طلقات المدافع في النهر ، ثم وقعت استباكات عديدة في البر ، وتمكن الأسبانيون أخيراً من الدخول إلى الحصن وربط حبل الاتصال معه .

وفي يوم الاثنين 3 سبتمبر 1647 أخذ المسلمون المدفع الصغير النحاسي ، وتركوا المدفعين الحديدين محطمين ، ورفعوا الحصار عن حصن المعمورة ، بعد أن أضرموا النار في مصف المدافع ليلاً أثناء انسحابهم .

هـ) حملات تآديبية في بلاد زعير والحياينة

قام محمد الحاج خلال العشرين سنة الأولى من ولايته بغارات عديدة في مختلف الأقاليم ، حالفه النصر في غالبها ، واستطاع أن يثبت الأمن ويقضي على الثوار والمصوص والعاشين . ومن أشهر حملاته التآديبية قتاله لقبائل زعير بالقرب من وادي الشراط (82) خلال عام 1650/1651 فشنت جموعهم وطارد رئيسهم الدقاق ، وجاسمت جنود الدلاء خلال ديار زعير وتعقبته آثار رؤوس الفتنة فيها إلى أن أذعنتم القبيلة كدياً بالطاعة ، وركنت إلى الخضوع والاستكانة واستراح الناس من عيشتها مدة طويلة . وفي السنة الموالية قام محمد الحاج بحركة مماثلة في ضواحي فاس ، قارع فيها قبيلة الحياينة وكسر شوكتها ، وكانت قد رجعت إلى سابق عهدها في السلب والنهب وقطع الطرق وسفك الدماء . وتوجه وفد من علماء فاس إلى مدينة الدلاء يرجون من السلطان محمد الحاج أن يكف عنهم القبيلة الباغية ويخلصهم من أذاها . وحملوا معهم سبعاً من فتاوى أكابر فقهاء المدينة الإدريسية تصرح بوجوب مقاتلة الحياينة الذين حاربوا الله ورسوله وسعوا في الأرض فساداً (83) .

وسنتحدث في الباب السادس عن باقي العمليات الحربية التي خاض عسارها الدلائيون في العقد الأخير من دولتهم ، لأن تلك الفترة تمثل عهد التدهور والانحدار نحو النهاية الحتمية للزاوية الدلائية .

(82) يبعد وادي الشراط عن الرباط بنحو 37 كلم جنوباً

(83) انظر نص هذه الفتاوى عند سليمان الحوات في الدور الضاوية . من ورقة 1/112 إلى ورقة 1/114 . كما توجد بالخزانة العامة بالرباط رقم 3270 نسخة مخطوطة خاصة بهذه الفتاوى . وأصحابها هم القاضيان أحمد الأزموري ومحمد بن سودة ، والعلماء محمد ميارة ، ومحمدون الأبار ، وعبد السلام بن محمد ، وعلي بن محمد المرق ، وعبد القادر القاسي . ومما جاء في فتوى القاضي ابن سودة : «وقال مالك أيضاً في أعراب قطعوا الطريق . جهادهم أحب إلى من جهاد الروم» .

1891

1892

1893

1894

1895

1896

1897

1898

1899

1900

1901

1902

1903

1904

1905

الباب الخامس

انتشار نفوذ الدلائيين السياسى

1 - الموريسكيون ينضمون تحت لواء الدلائيين

- (أ) المدجنون والموريسكيون
- (ب) الموريسكيون فى تطوان
- (ج) الموريسكيون فى الرباط
- (د) أسطول الجهاد أو القرصنة السلاوية
- (هـ) عبد الله الدلائى أمير سلا

2 - علاقات الدلائيين بأوروبا

- (أ) الدلائيون وفرنسا
- (ب) الدلائيون وإنجلترا
- (ج) الدلائيون والبلاد الواطنة (هولندا)
- (د) السفارة المغربية فى لاهاى
- (هـ) قضية تنصر أمير دلائى

3 - الدلائيون فى فاس

- (أ) أحمد بن محمد الحاج أمير فاس
- (ب) محمد الدلائى يخلف أخاه فى إمارة فاس

4 - آثار الدلائيين

- (أ) المباني فى الدلا وفاس
- (ب) النقود الاشقوبية

1 - الموريسكيون ينضوون تحت لواء الدلائيين

(1) المدجنون والموريسكيون

المدجنون أو « MUDJARES » هم الأندلسيون المسلمون الذين رضوا بحكم النصارى عندما استرجع هؤلاء بلادهم فلم ينزحوا عنها تلبية لما لهم فيها من ضياع وعتاع . وتكاثر عدد أهل الدجن بتوالي سقوط القلاع والحصون الإسلامية ، وتسامح معهم الأسبان فى بادئ الأمر ، ثم ضيقوا عليهم الخناق وألزموهم المقام فى أحياء منعزلة خاصة بهم كاليهود ، ومنعواهم من حق شراء الأراضى وحمل السلاح ، وانتهى الأمر بالمدجنين بتوالي السنين والإجبال إلى فقد لغتهم ودينهم .

ولما استولى الأسبانيون على غرناطة آخر معقل للإسلام فى الأندلس عام 1492/897 هاجر كثير من أشراف هذه المدينة إلى المغرب ، وتختلف آخرون واثقين بالعهود التى قطعها الملكان (فرديناند) و (إيزابيلا) FERDINAND « ISABELLA » (1) على نفسيهما بتأمين المسلمين فى أنفسهم وأموالهم واحترام دينهم وشعائهم . غير أن الأسبان ما لبثوا أن نكثوا عهدهم وسلكوا حيال المسلمين المغلوبين سياسة وحشية لم يعرف التاريخ لها مثيلا . فارتفعوا على التنصر ، وطاردوهم بالاتهامات الملققة على يد ديوان التحقيق (2) وقتلوا آلاف الأبرياء ومثلوا بهم ، وأحرقوا الكتب العربية أكاداسا فى ساحات غرناطة . وعرفت هذه الطائفة المنصورة من الأمة الأندلسية بالموريسكيين MORISCOS أو العرب الأصاغر ، ذاقوا الأمرين على يد الأسبانيين المتعصبين طيلة القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر وعوقبوا أشد العقاب على كل بادرة عنهم تنبىء عن تدمير أو مقاومة . ويحدثنا المقرئ عن نياية مأساة الموريسكيين

(1) ارتقى (فرديناند) الخامس عرش مملكة (ارجون) بعد وفاة أبيه الملك يوحنه الثانى سنة 1479 . وكان قد تزوج قبل ذلك بالاميرة (إيزابيلا) التى جلست على عرش مملكة قشتالة على اثر وفاة أخيها الملك (هانرى الرابع) سنة 1474 . وهكذا اتحدت المملكتان الأسبانيتان فى ظل عرش واحد . وتعاهد الملكان الكاثوليكيان المتعصبان على متابعة حرب المسلمين والقضاء عليهم نهائيا فى اسبانيا .

(2) لديران التحقيق أصول قديمة فى الديانة المسيحية . وضع لأجل التأكد من سلامة العقائد الكنسية الرومانية وتطور مفهوم ديوان التحقيق فعدا يطارد الزيف فى العقيدة والسحر معا . وتأسس ديوان التحقيق فى قشتالة سنة 1478 بمرسوم من البابا ولناهضة الكفر ومحاكمة المارقين» وابتدأ الديران أعماله فى اشبيلية وصب نفقته أولا على اليهود المتنصرين وكانوا كثيرين فى هذه المدينة فقتل منهم وأحرق الوفا خلال عام واحد . ثم أنشئت محاكم التحقيق فى سائر أنحاء اسبانيا . وبنت عيونها فى كل مكان للتحسس على المدجنين ثم على الموريسكيين . فكان من أكبر الجرائم التى يعاقب عليها بالتعذيب الوحشى والقتل والحرق ، أن يكون لباس المتهم يوم الجمعة أفضل من لباسه يوم الأحد . أو أن يمتلك كتابا عربيا أو يقرأه أو يتكلم باللغة العربية .

في الإندلس بقوله : «... وقاموا في بعض الجبال على النصاري مرارا ، ولم يقبض الله لهم تعالى ناصرا ، الى أن كان اخراج النصاري اياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر وألف ، فخرجت ألوف بفاس ، وألوف آخر بتلمسان من وهران ، وجمهورهم خرج بتونس ، فتسلط عليهم الأعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم ، وهذا ببلاد تلمسان وفاس ، ونجا الثقليل من هذه المضمرة وأما الذين خرجوا يتواحي تونس فسلم أكثرهم ، وهم لهذا العهد عمرووا قراها الخالية وبلادها ، وكذلك بتطوان وسلا وفيجة الجزائر. ولما استخدم سلطان المغرب الأقصى منهم عسكريا جازا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الآن . وحصنوا قلعة سلا (3) وبسوا بها التصور والحمامات والدور ، وهم الآن بهذا الحال » . (4)

ب) الموريسكيون في تطوان

تطوان مدينة قديمة أسست قبل الاسلام لتخلف جارتها تمودة الرومانية وقد خربت تطوان القديمة وخلت من السكان في مستهل القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ثم جدد بناءها في أواخر هذا القرن نفسه المهاجرون الأندلسيون الذين نزحوا الى المغرب قبيل سقوط مملكة غرناطة ، وكاتوا قلة لا يتجاوزون أربعين أسرة . وتلاحقت وفود المهاجرين من الفردوس المفقود لسكن المدينة المجددة في فترات متقطعة الى أن قضى الملك فيليب الثالث PHILIP III (5) بطرد جميع الموريسكيين عن أرض شبه جزيرة ايبيريا عام 1609/1018 (6) فعبروا البحر الى العدو الافريقية ، واستقر عدد كبير منهم في تطوان .

وقد توارث آل المنظري الغرناطيون حكم مدينة تطوان منذ تجديدها واشتغل مهاجرو الأندلس بالجهاد في البر والبحر والاغارة على البرتغاليين

(3) المراد بقلعة سلا قصبة الوداية الحالية

(4) أحمد المقرئ ، نفح الطيب ، 617:2

(5) فرديناند الثالث عشر اسبانيا بعد وفاة والده الملك فيليب الثاني سنة 1598 . وكان في ضعف الرأي يتأثر كآبيه بشراء الرهبان المتعصبين والوزراء المستبدين . وقد أصدر قرار التقي النهائي للموريسكيين في 15 شتنبر 1609 وأمرهم بالاجتثاث في النور ، ألا يأخذوا من متاعهم الا ما يستطيعون حمله على ظهورهم ، لتخليص السفن الإسبانية الى عدوة المغرب .

(6) اتفق المؤرخون الاوربيون على أن اقضاء المسلمين عن شبه جزيرة ايبيريا قد تم خلال سنتي 1609 - 1610 وهذا يوافق من التاريخ الهجري 1018 - 1019 وهو لا يختلف عما ذكره المقرئ في النص السابق من أن هذا الحادث قد وقع «أعوام سبعة عشر وألف» لما نشير به كلمة «أعوام» من التقريب .

الذين كانوا يحتلون مدن سبتة والقصر الصغير وطنجة (7) . وكان قوام جيش
المجاهدين التطوانيين في أوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)
أربعمائة من الفرسان وخمسمائة من المشاة ، وخمسة عشرة سفينة حربية
يهاجمون بها السواحل الإسبانية بمساعدة مراكب القراصنة الجزائريين . ثم
تضخم عدد المجاهدين بكثرة المهاجرين المبعدين في القرن الحادي عشر (السابع
عشر) وانتقل حكم مدينة تطوان إلى أولاد النقسيس الذين ظلوا على رأس هذه
المدينة مدة طويلة (1006 - 1083/1597 - 1672) (8) وأول من ذكره المؤرخون
من أفراد هذه الأسرة هو المقدم (9) أحمد بن عيسى النقسيس الذي انتصر
على الإسبانيين انتصارا كبيرا حتى كاد يطردهم من مدينة سبتة أيام أحمد
النصور الذهبي . وبعد انقسام الدولة السعدية إلى مملكتي فاس ومراكش .
انضم أولاد النقسيس إلى سلطان فاس لقربه منهم ولم يخضعوا للمجاهدين
العياشي عندما امتد نفوذه على أقاليم مملكة فاس المنقرضة ، فاقترح عليهم
قائده سليمان بن يوسف تطوان عام 1041/1631 وجند نحو ثمانية آلاف رجل
من الأندلسيين لطاردة عبد الله النقسيس الذي فر إلى بلاد غمارة أولا ثم التجأ
إلى الإسبانيين في سبتة . وظل نفوذ العياشي قائما بتطوان حتى أواخر
أيامه . وبعد ذلك «استقلت هذه المدينة بحكم نفسها ، وبأمر الحكم فيها مجلس
من أهلها الذين كان جلهم في هذا العهد من مهاجري الأندلس ، ثم بعد مدة
عاد الأمر فيها إلى أولاد النقسيس» (10) والدلائيل هم الذين أعادوا أولاد
النقسيس إلى تطوان ونصبوهم عمالا عليها يحكمونها باسمهم . غير أنه نظرا
لبعد مدينة تطوان عن عاصمة الدلائيل ، وضعف وسائل المواصلات آنذاك ،
ووقوع الاضطرابات في القبائل من حين لآخر كان لرؤساء تطوان نوع من
الاستقلال في الحكم فكانت صلتهم برؤسائهم الدلائيل تقوى أو تضعف تبعا
لأستقرار الأحوال الداخلية أو اضطرابها . لكن لا يمكن بحال أن نعتمد على بعض
مظاهر التصرف المطلق لأولاد النقسيس لنزعم أن مدينة تطوان كانت مستقلة

(8) احتل البرتغاليون مدينة سبتة عام 1415/818 - 1416 بعد حصار دام ست سنوات ، وظلت
تحت حكمهم أكثر من قرنين ونصف . ثم سلموها إلى الإسبانيين حوالي عام 1080/1669 -
1070 . وملكوا القصر الصغير الذي يسمى أيضا قصر مصمودة وقصر المجاز . بين سبتة وطنجة .
عام 1457/862 - 1458 . واحتل البرتغاليون بعد ذلك طنجة عام 1464/869 - 1465
وحكموها ما يقرب من قرنين . ثم تنازلوا عنها لانجلترا عام 1072/1661 كمهر قدمته
كاترين دو براكانس شقيقة ملك البرتغال لزوجها شارل الثاني ملك إنجلترا . وقد
استرد المرابطين اسماعيل مدينة طنجة من إنجلترا عام 1095/1684 .

(9) محمد داود ، تاريخ تطوان ، القسم الثاني من المجلد الأول ، ص 174

(10) المقدم لقب خاص برئيس جماعة المجاهدين

(11) محمد داود ، تاريخ تطوان ، ج 1 ص 232

له ينسبها نفوذ الدلائيين . والنصوص الصريحة المتقدمة تعد هذه المدينة من حملة مناطق نفوذ محمد الحاج (I1) ، والمعاهدة التي أمضاها سلطان الدلاء في رادى القعدة عام 1067/109 غشت 1657 مع الحكومة الانجليزية تؤكد انه صاحب النفوذ في تطوان (I2) وظلت هذه المدينة ودية للدلائيين حتى بعد قيام البوز ضددهم في بلاد الغرب ، ولم تستسلم تطوان الى الخضرغيلان الا بعد ان دحرت امامه جيوش محمد الحاج في وقعة «وادي بوحيرة» (I3) بالقرب من ساحل مولاي بوسلهام عام 1070/1660 .

ج) الموريسكيون في الرباط

ان اهم جالية أندلسية قدمت الى المغرب استوطنت الرباط والقصبة (I4) . وفي ان يندم الموريسكيون بالجللاء العام عن شبه جزيرة ايبيريا ، هاجر الى اقرب سكان غورناتشو (I5) المعروفون بصدق عقيدتهم الاسلامية وراثتهم الواسع ، فاستقروا بقصبة سلا وحصنوها وبنوا فيها الدور والقصور والجامعات ، ثم كانت الهجرة الاندلسية الكبرى في مستهل القرن السابع عشر فزحمت الرباط والقصبة بالموريسكيين ، ودخلوا في طاعة زيدان بن المنصور ملك مراكش فأقر عليهم القائد فاضل الزعروري الانصارى . وحدث بعد بضع سنوات من تولية هذا القائد أن رجع المجاهد العياشي الى سلا ناجيا بنفسه من المؤامرة التي دبرها السعديون ضده في آزمور ، فبعث زيدان الى قائده

الامير بن الاستاذ عبد السلام بنسودة - مشكورا - بقصبة نشتيا بعض الشعراء من أهل تطوان حين دخل الامير محمد الحاج الدلائى مدينتهم أيام ولايته . عطلتها :

نصارى	ظروان	شعوى
وسلما	كسل	المعاليلى

رب	لا	قد	اتانسا
رب	المرابح	خسيرا	
قد	صار	فصله	بحيرا

ميرانا سلطان عمدا

10 نو كستري . سلسلة وثائق إنجلترا . 588:3

11 وادى بوحيرة يقع بالقرب من المرحلة الزرقاء غرب مركز شرق ثربعا الغرب ، لا فى ناحية القصر الكبير كما يظن ذلك بعض الاوربيين

12 كانت الرباط والقصبة قبل مجيى الاندلسيين اليهما تنسبان معا الى سلا ، فيقال رباط سلا وقصبة سلا . ثم صارت المدن الثلاث تدعى اجمالا مدن سلا . وعند التفصيل يعبر عن سلا الحالية بسلا القديمة . وعن الرباط بسلا الجديدة . وبقيت القصبة منسوبة الى سلا الى ان سكنها جيش الودايا أيام السلطان عبد الرحمن بن هشام العلوى فسميت قصبه الودايا . كما استرجعت الرباط الاسم الذى أطلقه عليها مؤسسوها الموحدون وسموا رباط الفتح .

13 مودة تشو مدينة فى جنوب غربى اسبانيا بين اشبيلية وماردة . بمدة على الاولى نحو 170 كلم شمالا . وعن الثانية نحو 50 كلم جنوبا



مناظر العدوتين في منتصف القرن السابع عشر
تمثيل المصورات العملياً الى باط. والعصر الثاني الاخير سلا مرفأ سفن الجهاد (الفرصنة)

الزعروري أن يفيض على العياشي أو يغتاله ، لكن شيوخ الاندلسيين وأعيانهم عارضوا في تنفيذ هذا الأمر ، وتطوعت جماعة منهم للملازمة مجاهد سلا وحمايته من كل اعتداء . (16) ثم صدر أمر ثان إلى القائد الزعروري بتجهيز جيش من الاندلسيين المقيمين في القسبة وتوجيهه إلى درعة لخماد فتنة قامت هناك ، فوجه منهم أربعمائة مقاتل وطالت غيبتهم بالصحراء إلى أن فر أكثرهم ورجعوا إلى ديارهم حائقين ، وامتنع الاندلسيون بعد ذلك من الاستجابة للقائد الزعروري الذي كان يبلغهم أوامر ملك مراکش بالتجنيد والمساعدة في العمليات العسكرية بالجنوب ، ورأوا أن يتخلصوا منه بوسيلة أو بأخرى فوشوا به إلى السلطان زيدان ولفقوا ضده اتهامات مشيرة ، فبعث زيدان عن قبض على القائد الزعروري ، وولى على المدينتين مملوكا له يسمى عجيبا ، لكن الموريسكيين لم يلبثوا أن ثاروا على هذا المملوك وقتلوه ، قاطعين بذلك صلتهم ببلاط مراکش وأقاموا عنهم عاملا جعلوه مسؤولا أمام مجلس مختار لمدة محدودة يقع تجديده بطريقة الانتخاب . فتكونت بذلك الجمهورية الموريسكية الأولى بالرباط . ثم فعل سكان القسبة ما فعله جيرانهم فكونوا جمهورية ثانية مماثلة وذلك حول عام 1630/1640 . وربطت الجمهوريتان في بادئ الأمر علاقات طيبة مع المجاهد العياشي الذي كان نفوذه يمتد من سلا إلى تطوان ، واعترفتا بسلطته مع الاحتفاظ باستقلالهما الداخلي ، وساعدته في حركاته الجهادية «بالرماة والبارود والانفاط» (17) ثم فسد الجو بين العياشي والموريسكيين حين امتنعوا عليه فيما كان يريد من توحيد وادماج ، وأبوا إلا أن يظلوا متميزي الشخصية . وبحث الموريسكيون عن سند يعتمدون عليه ، وحليف يظاهرهم على خصمهم الرابض أمامهم وراء النهر ، فلم يجدوا غير الملك السعدي صاحب مراکش ، لكنه كان عاجزا عن أن ينجدهم بله أن يرجح كفتهم . فمدوا أيديهم إلى الأسبانيين - حسب الروايات المستفيضة - ووطدوا الصلات مع حامية المعمورة وأمدوها بالطعام والذخيرة في الوقت الذي كان العياشي وصحبه يرايطون حول هذا الحصن ويضيقون عليه الخناق حتى كاد يسقط في أيديهم . وقد رأينا ما فعل العياشي بالموريسكيين من الحصار والقتل والتشريد اعتمادا على فتاوى العلماء إلى أن تدخل الدلائيون لصالح مهاجري الاندلس ، فكان في ذلك نهاية المجاهد العياشي . وعلى اثر ذلك تكونت في سلا جمهورية ثالثة على غرار الجمهوريتين القائمتين في الرباط والقسبة . ولم يكن تكوين الجمهوريات على هذا النحو بدعا من النظم في ذلك العصر خصوصا في مراكز القرصنة

(16) عبد القادر املاق ، الخبر عن ظهور العياشي ، ص 10

(17) عبد العزيز الزياتي ، الجواهر المختارة ، ورقة 125/ب

القضية . وقد أقر الدلائيون هذا الوضع في الجمهوريات الصغرى الثلاث بعد أن استندوا أمر النيابة عنهم فيها جميعا إلى قائد سلا الأمين سعيد الجنوى (18) وبذلك أصبح له الإشراف على قائد الرباط أبي الطيب بن عبد الرحمان عبدون (19) وقائد القصبية الحاج يوسف السنسلياض (20) . ثم ترك سعيد الجنوى أمر قيادة سلا إلى عامر بن محمد (21) ليتفرغ هو للإشراف على الشؤون العامة وتنفيذ سياسة الدلائيين في العدوتين . وسمارت الأمور في المدن الثلاث سيرا عاديا بضع سنوات ، غير أن الموريسكيين في القصبية عاودهم الحنين إلى الاستقلال التام ، ورغبوا في الانفصال عن الدلائيين ، وجددوا صلاتهم بالملك السعدي صاحب مراكش فتصدى لقتالهم محمد الحاج الدلائي . وبعد أن أمر الرباطيين بأن يهاجموهم من البحر ، أغرق في مدخل النهر سفينة لتعزيت حصار القصبية من البحر . ولم تجد النجدة التي قدمها للمحاصرين (بالتفتح) أتراك الجزائر وسلطان مراكش ، واستسلم الموريسكيون في النهاية ، فأخرجهم الرئيس محمد الحاج من القصبية ولم يترك فيها إلا جنودا مغاربة .

(د) أسطول الجهاد أو القرصنة السلاوية

لا أقصد بالقرصنة هنا ما يدل عليه أصلها الأعجمي « Course » من لصوية بحرية ، وإنما أعني بالقرصنة السلاويين أولئك المجاهدين الأندلسيين والمغاربة الذين خاضوا بسفنتهم عباب البحر للدفاع عن حوزة الوطن ، أو للثأر من الأسبانيين الذين ساموا المسلمين في الأندلس سوء العذاب وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم بغير حق ، وإذا كان تاريخ البحرية في مصب أبي رقراق يرجع إلى القرن السادس (الثاني عشر الميلادي) أيام الملك الموحدى عبد المؤمن صاحب الأسطول العربي الجبار ومؤسس دار الصناعة البحرية بضاحية مدينة سلا ، فإن القرصنة لم تعرف في المغرب إلا على عهد الرينيين حينما استقروا وكر قرصتي في حلق المعمورة «فعظم شأنه واستفحل أمره . وكان القائمون عليه اخلاطا من جميع الأغصان ، فيهم من المسيحيين

(18) الأمين سعيد الجنوى قائد سلا وحاكم العدوتين من طرف الدلائيين . صار خليفة للأمير عبد الله الدلائي عام 1061/1051 وظل أمين سره إلى أن توفي بسلا في أوائل ذي الحجة عام 1065/أكتوبر 1055

(19) أسرة عبدون أندلسية كانت في الرباط ثم انقرضت

(20) السنسلياض (بفتح السين الأولى ، وسكون النون والسين الثانية ، وضم الضاد) اسم إسباني من جملة الأسماء التي احتفظ بها الموريسكيون المهاجرون إلى المغرب وقد انقرضت هذه الأسرة الآن

(21) عامر بن محمد من أسرة حركات الشهيرة بسلا حتى اليوم

أكثر من المسلمين . ثم صارت سملا خاصة المدينة القرصنية الرابعة - حسب دو كاستري - بعد طرابلس الغرب ، وتونس ، والجزائر (22) . وقد كون المهاجرون الإندلسيون بالرباط والقصبة في مستهل القرن السابع عشر أسطولا حربيا قويا أخذوا يغيرون به على مراكب الاعداء في عرض البحر ، ويهجمون على السواحل الإسبانية . كما فعل اخوانهم المقيمون في تطوان . وتطورت هذه القوة البحرية في عهد العياشي والدلائيين ، وظلت تشير الرعب في نفوس البحارة المسيحيين طيلة القرنين السابع عشر والثامن عشر ، الامر الذي حدا بالدول الأوروبية على أن تخطب ود المغرب وتؤدي له الجزية لضمان سلامة سفنها التجارية التي تمرر بعباب الاطلنطيق (23) . وازدهرت مع أسطول الجهاد من جديد صناعة السفن على ضفاف نهر أبي رقراق ، وزودت هولاندا . وهي أعظم دولة بحرية في ذلك العصر ، هذه المصانع بما تحتاج اليه من المواد . وكان البحارة العاملون في أسطول الجهاد مزيجا من الموريسكيين والسلوويين وغيرهم من المتحمسين للقتال في سبيل الله ، أو الطامعين في الكسب والاثراء . وقد سماهم الأوروبيون قرصنة سملا « LES CORSAIRES DE SALE » واشتهروا بهذا اللقب فدعوناهم كذلك ، على أن القرصنة البحرية كانت عامة في ذلك العصر يقبل عليها المسيحيون والمسلمون دون تمييز أو استحياء ، وكأنها نوع من الحرب القائمة باستمرار بين الدول الغير المتهادنة أو المتحالفة . وقد غنم هؤلاء المجاهدون أو (القرصنة السلوويون) في طرف عامين فقط أربعين سفينة ، واستولوا فيما بين سنة 1618 وسنة 1626 على ستة آلاف أسير من الافرنج ، وخمسة عشر مليون ليبرة (24) وكان الاسترقاق شائعا آنذاك عند المسلمين والأوروبيين على السواء . فنقلت أسواق النخاسة في العدوتين وملك المسلمون المسيحيين عبيدا واماء وامتلأت أيدي البحارة بأثمان الاسرى المالك أو بالاموال التي يحصلون عليها مقابل اطلاق سراحهم ورددتهم الى ذويهم أو حكوماتهم .

(هـ) عبد الله الدلائي أمير سملا

رأى السلطان محمد الحاج الدلائي بعد أن حملت اليه بيعات المدن والقرى عام 1651/1661 أن يغير سياسته تجاه منطقة الغرب التي تعد أهم ناحية في مملكته ، والا يكتفى باستنابة أحد الاهالي مهما بلغ حزمه واخلاصه

(22) عبد العزيز بن عبد الله ، البحرية المغربية والقرصنة ، مجلة نطوق 1958 - 59 العددان 3 - 4 ص 66

(23) نفس المصدر ونفس الصفحة

(24) نقل ذلك عن دو كاستري محمد بوجندار في مقدمة الفتح ، ص 34

فأسند أمر المدن الثلاث سلا والرباط ، والقصبة الى ابنه عبد الله الذي تلقبه المصادر الاوربية بأمير سلا أو سيد سلا « LE SEIGNEUR DE SALE » واستقر عبد الله الدلائي في قصر الامارة بالقصبة ، وقرب اليه الامين سعيد الجنوي وجعله خليفته وأمين سره ، وأخذ يرجع في مهام الامور الى اعيان العدوتين فلا يقطع أمرا دون مشورتهم . واتخذ القاضي الاديب عبد المالك التاجموني (25) كاتباً خاصاً له . فكان يجهز الرسائل التي تصدر عن أمير سلا الى مدينة الدلاء وغيرها . بل وحتى المراسلات الموجبة باللغة العربية الى الاعاجم في أوروبا لم يخل بعضها من سجع وجناس ومحسنات بديعية أخرى . وكان ديوان الامير الدلائي يضم الى جانب التجموعتي كتاباً آخرين من المؤرخين يعررون الرسائل والمعاهدات باللغة الاسبانية . وكان مجلس الامير الدلائي في سلا لا يخلو من علماء وأدباء يذاكرهم ويدرسهم على نحو ما درج عليه في الزاوية الدلائية ، كما كان يساجل اخوانه وأقرانه في الدلاء وغيرها ، ويعقد المجالس العلمية في المساجد بحيث لم تنقطع صلته بالعلم والادب بالرغم من أشغاله السياسية والحربية .

ولم تكن مهمة الامير عبد الله الدلائي تقتصر على النيابة عن والده في تولي شئون مدن أبي رقراق ، وإنما كان يقوم الى ذلك بوظيفة وزير الخارجية في الحكومة الدلائية ، فيستقبل ممثلي الدول الأجنبية ويتفاوضهم ويعقد معهم المعاهدات التجارية وغيرها ، ويراسل رؤساء الدول باسم والده ويتلقى خطاباتهم . كما كان كثيراً ما يتولى قيادة الجيوش في تحركاتها بمختلف الاقاليم الخاضعة لنفوذ الدلائيين . فينوب عنه في تصريف الامور عندما يتغيب عن سلا خليفته الامين سعيد الجنوي . وهكذا امتاز هذا الامير الدلائي بالعلم والادب والشجاعة والاقدام ، فكان رب السيف والقلم معا . الا انه كان مفرط الرزانة كثير التأنى والتريث ، يدرس الاشياء على مهل ، ويقلب وجوه النظر في الامور قبل أن يبت فيها . وقد لا يبدو له وجه الصواب في المسألة فيتركها معلقة ، أو ترد عليه قضايا مستعجلة وهو يشتغل بأخرى ، فيؤجلها الى أن يتفرغ لها دون أن يعير جانب الاستعجال أي اهتمام . أما جوابه عن الرسائل فكان بطيئاً متشاقلاً سواء في ذلك المراسلات الرسمية والاخوانية . وقد كتب له أبوه في الايام الاولى من اضطلاله بمهام الامور في مدن سلا يستخبره عن الاحوال فلم يرد عليه بشيء . فكتب اليه مرة ثانية يستحثه الجواب ويؤنبه

(25) أبو مروان عبد المالك بن محمد التجموعتي قاضي سجلماسة . ادب شاعر نثر . ألف كتابين في الرد على الامام اليوسي . أولهما ملاك الطب في جواب استاذ حلب يعني باستاذ حلب أبي العباس الحلبي دفين فاس . ولما انتقله اليوسي ألف فيه رسالة ثانية سماها خلع الاطهار البوسية بدفع الاسفار اليوسية . توفي عام 1706/1118 - 1707 .

على هذا التأخير الذي يقلق بال الوالد ويجعله فريسة الهواجس والاهتمام وكذلك فعل عبد الله مع بنى عمه تباطأ عنهم فلاموه وعاتبوه ، وربما بعضهم بالترفع والتكبر . وكاد هذا التريث الغريب يجبر على الأمير عبد الله الدلائى سرورا كثيرة فى علاقاته مع ممثلى الدول الأجنبية . فقد هم مرة قائد الاسطول الهولاندى أن يقنبر العدوتين بعد أن حال انتظاره فى عرض البحر أمام سلا دون أن يتلقى جواب الأمير عبد الله عن الوثائق التى حملها اليه من حكومته ، وعد هذا الإبطاء إهانة له واستخفافا بشأته (26) .

وهناك جانب آخر من شخصية الأمير عبد الله الدلائى لا ينبغى إغفاله ، وهو غيرته الدينية وحميته الإسلامية . فقد كان يرثى أعماله بميزان الشرع ولا يتساهل فى أى شئ مهما كان ضئيلا إذا خالف أصلا من أصول الدين . ويكفى للتدليل على ذلك معارضته للمعاهدة التى أبرمها قبيل مجيئه الى عدن سلا رؤساء هذه المدن مع الولايات العامة (هولاندا) لأن الفصل الرابع منها نص على مجافاة طائفة من المسلمين وعدم التعامل معهم بالبيع والشراء ، وقطع العلاقات معهم نهائيا فى سبيل حلفاء غرباء لا تكاد مصالحهم تتبدل حتى ينقلبوا خصوما محاربين . وظلت المخابرات جارية بين سلا ولاهاى نحو 7 سنوات لتعديل هذه المعاهدة والرسل تتردد بين البلدين حاملة الاقتراحات المضادة فى الموضوع ، والعلاقات تتوتر حتى تؤذن أحيانا بشر مستطير . ومع ذلك لم تلق قناة الأمير عبد الله الدلائى ولم يصادق على الاتفاقية مع هولاندا الا بعد حذف الفصل الرابع وادخال تعديلات أخرى لمصالح المسلمين .

2 - علاقات الدلائين بأوروبا

للمغرب علاقات قديمة مع أوروبا يرجع تاريخ توطيدها الى أواخر القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) حينما تردد فى أوروبا من أقصاها الى أقصاها صدى الانتصار الباهر الذى أحرز عليه المغرب ضد البرتغال فى معركة وادى المخازن عام 1578/986 . وأدركت الدول الأوروبية اذ ذاك أهمية القوة الحربية التى تتوفر عليها هذه البلاد ، فسارعت الى ارسال السفراء والهدايا الى بلاط مراكش للتودد الى الملك السعدى أحمد المنصور الذهبى ، وللعمل على كسب صداقته والتحالف معه . وبعد موت المنصور وانقسام السعديين على أنفسهم بتكوين مملكتى فاس ومراكش ، وقيام الثوار فى كثير من الجهات ، رأت الدول الأوروبية أن تساير الواقع للمحافظة على مصالحها وسلامة رعاياها

(26) بقى قائد الاسطول الهولاندى G. DE WILDT فى عرض البحر ينتظر جواب الأمير عبد الله الدلائى من 27 يوليو الى 5 غشت 1658 . انظر دو كاسترى ، وثائق لم تنشر لتاريخ المغرب . سلسلة البلاد الواطنة ، 392:6 - 416

في المغرب ، فأخذت تفاوض ذوي السلطة والنفوذ في كل منطقة تبينها ، سواء
تأثروا من السعديين أو غيرهم . حتى إذا آل أمر وسط المغرب وشماله إلى
الدلائيين مد إليهم الاوربيون أيديهم وعقدوا معهم الصفقات التجارية . وأعضوا
المعاهدات السلمية التي تقوم على التعاون والتحالف ، وبعثوا بقناصلهم إلى
سلا وتطوان .

وقد استفاد الدلائيون كثيرا من احتكاكهم بالاوربيين ، واستغنوا
بالاعشار التي فرضوها على البضائع المصدرة إلى أوروبا والمستوردة منها .
وازدهرت في أيامهم المبادلات التجارية ، فكان المغرب يصدر إلى الخارج الجلود
والصوف ، والشمع ، وزيادة على القصدير الذي اكتشف منجمه بالقرب من
سلا أيام المجاهد العياشي ، وأعطى امتياز استغلاله إلى تجار فرنسيين . ويجلب
المغرب في مقابل ذلك من أوروبا التبغ والاقمشة وبعض المصنوعات الأخرى .
وكان الدلائيون يتصلصون من التعهد بالمحافظة على قيمة الضرائب المفروضة على
البضائع في الموانئ ، وإذا اضطروا إلى قبول مثل هذا الشرط تحت الحاح
المفاوضين الأجانب ، وأعضوه في الاتفاقيات والمعاهدات ، فإنهم لا يلبثون أن
يفتنموا أول فرصة سانحة للتحرر من هذا القيد والزيادة في التعريفات
الجمركية . ومنذ أن عين الأمير عبد الله الدلائي حاكما على مدن سلا (عام
1061/1651) أخذ يتاجر بطريق البحر مع أقطار شمال افريقية ، وبخاصة
الجزائر ، ولم تنقطع السفن التجارية صادرة عن سلا أو واردة إليها ، وعلى
ظهرها حمولات هامة من البضائع المختلفة التي تدر على الدلائيين أرباحا طائلة
وكانت هذه الحركة التجارية ، ومسألة تأمين السفن والتجار ، وتعويضهم عن
الخسائر التي تصيبهم من أعمال القرصنة ، محور كثير من المفاوضات مع
الأجانب وموضوع مراسلات ومعاهدات . على أن هناك ناحية أخرى أفاد منها
الدلائيون في اتصالهم بأوروبا ، وكانت تمهيم أكثر من مسألة المداخيل الوفيرة ،
وهي ناحية التزود بالأسلحة والذخيرة الحربية من بندقيات ومدافع ومسحوق
البارود . وكانت البلاد الواطئة (هولاندا) في مقدمة الدول الأوروبية التي تمد
الدلائيين بهذه المواد الهامة ، زيادة على الأدوات والقطع اللازمة لسير معامل
صنع السفن وترميمها المنتشرة على ضفتي نهر أبي رقراق .

وشملت العلاقات بين الدلائيين والاوربيين فيما شملت الناحية الثقافية
وإن لم تلمسها إلا لمسا خفيفا . فقد كان المستشرق (جاكوب كول)
JACOB GOOL or GOLIJUS ، أستاذ اللغة العربية بجامعة ليدين يستجلب
المخطوطات العربية من المغرب ، لاسيما المتعلقة منها بالتاريخ ، ليترجمها إلى
اللغة اللاتينية . وكانت حكومة البلاد الواطئة تقتني هذه الكتب لحسابها الخاص

بواسطة قنصلها في سلا (دافيد دو غرييس) « DAVID de VRIES » وسبق لهذا المستشرق في المدة التي قضاها بالمغرب مع القنصل الهولندي (الهير رويل) « ALBERT RUYL » أن اقتنى كثيرا من المخطوطات العربية النادرة وحملها معه الى بلاده . وعندما زار السفراء السلاويون مدينة لاهاي (1639/1669) قدمت لهم الحكومة الهولندية عن جملة الهدايا كتبها عن جغرافية البلاد الباطنة ، وأرسلت بواسطةهم الى الاخير عبد الله الدلاي كتابا ثميناً في نفس الموضوع .

واذا كانت لبعض الدول الاوربية مطامع توسعية تهدف اليها من وراء تشجيع الثوار والخارجين على السلطة الشرعية في المغرب ، فان مساعدة هولندا للدلايين كانت لاهرين ، اولهما ضمان سلامة أسطولها التجاري في المحيط الاطلسيقي والبحر المتوسط . والثاني الانتقام من اسبانيا عدوة الهولنديين والمغاربة على السواء . وقد ظلت مسألة اتصال الدلايين بأوروبا مجبولة عند المؤرخين المغاربة الى أن كشف عنها القناع الكونت دو كاستري في كتابه **مصادر لم تنشر لتاريخ المغرب** « LE CONTE DE CASTRIES. LES SOURCES INEDITES DE L'HISTOIRE DU MAROC » اعتمدت في هذا الفصل على ما نشره دو كاستري من وثائق وما كتبه من مقدمات وتعليقات مقتصرها على ذكر علاقات الدلايين بثلاث دول أوربية بقدر ما يمكن من الاختصار ، وهي فرنسا وانجلترا والبلاد الباطنة (هولندا)

أ) الدلايون وفرنسا

كانت العلاقات متوترة بين المغرب وفرنسا في مطلع القرن السابع عشر بسبب أعمال القرصنة البحرية وما ترتب عنها من تدحور في تجارة الفرنسيين بالمغرب وأسر عدد عديد منهم في البحر بيعوا عبيدا في سلا . فرأت الحكومة الفرنسية أن تعين (30 نونبر 1629) أحد تجار مرسيليا يسمى أندري برا Andre Prat قنصلا في مدينتي سلا وتطوان ليهتم بمشاكل الفرنسيين بالمغرب ويعمل على افتداء الاسرى . غير أن هذا القنصل لم يلتحق بمقر عمله بسبب خلاف نشب بينه وبين حكومته في قضية التعيين وظل بمرسيليا يتمتع بالحقوق القنصلية ويستخلص الاعشار المفروضة على السفن الصادرة عن ذلك الميناء (27) . وبعد نحو ست سنوات رأى أندري برا أن يرسل كاسبار دورستان « GASPARD DE RASTIN » لينوب عنه في مهمته القنصلية بسلا . وفعلا قام دورستان بالامر ، واستطاع أن يحصل خلال عام 1649/1649

(27) كانت وظيفة قنصل في ذلك العصر تعتبر حقا مكتسبا لصاحبه ينصرف فيه كيف يشاء . فله أن يباشر العمل بنفسه أو أن يتوب عنه من يراه أهلا للقيام بالمهمة

على اتفاق مع المجاهد العياشي لحماية الفرنسيين من القراصنة السلاويين ،
 وعطائهم حق الامتياز لاستغلال معدن القصدير الذي اكتشف بالقرب من
 مدينة سلا . الا أن مشكلة المشاكل بين البلدين في ذلك التاريخ هي قضية
 الاسرى التي سبق لفرنسا أن اتفقت مع المجاهدين السلاويين على تحريرهم
 في أجل محدد مقابل فداء خاص . لكن لم تف فرنسا بتعهداتها فاضطربت
 الأحوال وتوقفت التجارة نهائيا بسبب أعمال العنف المرتكبة من الجانبين
 ورأى القنصل أندري برا حينئذ أنه أصبح من الضروري أن يذهب بنفسه الى
 المغرب ليدلل الصعوبات القائمة ، واصطحب معه ابنه هنري « HENRI »
 وقد عرف القنصل كيف يستميل اليه السلطان محمد الحاج الدلائي بما كان
 يقدم اليه من هدايا ، ونجح في اقناعه بأن من مصلحة السلاويين أن يضربوا
 صفحا عما لهم من التزامات قديمة مع فرنسا ، ليربطوا معها علاقات تجارية
 جديدة . وبعد مفاوضات طويلة مع رؤساء مدن أبسى رقراق العاملين باسم
 السلطان محمد الحاج الدلائي عقد معهم أندري برا اتفاقية لتوطيد العلاقات
 التجارية بين فرنسا والمغرب ، ثم أمضى معهم في السنة التالية اتفاقية ثانية
 في نفس الموضوع . وبالرغم من كون القنصل برا عقد هاتين الاتفاقيتين بصفة
 شخصية دون تفويض رسمي من حكومته فإنهما استطاعتا على الأقل أن تعملوا
 على تحسين العلاقات بين البلدين ولو الى حين . وأخيرا رجع أندري برا الى
 بلاده متنازلا لولده هنري عن مهمة القنصلية في المغرب ، وأقرت الحكومة
 الفرنسية ذلك وأصدرت مرسوما مؤرخا في 20 أكتوبر 1648 تعين بمقتضاه
 هنري برا « HENRI PRAT » قنصلا في سلا وتطوان . غير أن هذا القنصل
 الشاب كان يتسم بالفتور واللامبالاة ، فلم يعمل على تحسين العلاقات بين
 بلاده والمغرب ، وجرت في أيامه أحداث عنف متعددة كان من بينها استيلاء
 القراصنة السلاويين على سفينة فرنسية قادمة من الارض الجديدة
 « TERRE NEUVE » (28) وعلى ظهرها أربعون من النصارى ، بيعوا جميعا في
 سلا بطريق المزاد العلني ، وأضيفوا الى العدد الوافر من العبيد الفرنسيين
 الموجودين بهذه المدينة .

وبقي هنري برا يتولى منصب قنصل فرنسا في سلا وتطوان الى ما بعد
 نهاية ايامه الدلائيين ، وسلك نفس الخطة التي سار عليها أبوه من قبل ،
 فرجع الى فرنسا وجعل يرسل نوابا عنه يقومون بأعمال القنصلية ، منهم

الارض الجديدة أو TERRE NEUVE هي جزيرة كبرى في اميركا ، تبلغ مساحتها 110677 كلم ومسكانها 361400 . بقيت الارض الجديدة الى سنة 1949 مستعمرة الجبلية ،
 ثم أصبحت من هذا التاريخ مستقلة تكون الولاية العاشرة من ولايات كندا

أنطوان جوليان بارازول « ANTOINE JULIEN PARASOL » وفرانسوا جوليان « FRANÇOIS JULIEN » وهكذا ظل مشكل العلاقات المغربية الفرنسية قائما لم تستطع الحلول الجزئية والموقفة التي أشرنا إلى بعضها أن تعمل على حسمه. وسيكون هذا المشكل موضوع مفاوضات وسفارات بين الملكين مولاي اسماعيل ولويس الرابع عشر .

ب) الدلائل وأنجلترا

تمتنت العلاقات بين المغرب وأنجلترا أيام الملك أحمد المنصور الذهبي والملكة اليزابيث (29) وشهد مستهل القرن السابع عشر تعاوناً متصفاً بين البلدين خصوصاً في الميدان التجاري . ولما قام العياشي بحركة الجهاد ضد الأسبان والبرتغال حاول أن يستعين بالانجليز لطرد المحتلين من سواطىء المغرب ، ولكن الانجليز كانوا يطمعون في احتلال مدينتي سبتة وطنجة ويميلون إلى الموريسكيين المقيمين في تطوان والرباط أكثر مما يميلون إلى المجاهد العياشي . لاعتقدهم أن هؤلاء الموريسكيين الغرباء المطرودين من شبه جزيرة ايبيريا يمكن أن يساعدوهم في احتلال سبتة وطنجة لجرد الانتقام من أعدائهم الأسبانيين والبرتغاليين . بعكس الحال مع المجاهد العياشي الذي كان يعمل لاسترجاع الثغور المحتلة إلى حظيرة الوطن . هذا إلى ما كان يشاع من تقشع قلوب الموريسكيين للمذهب البروتستانتي . وقد جاء في تقرير للسفير الانجليزى هاريسون : « .. كثير منهم قد اعترفوا إلى بأنهم في داخليتهم مسيحيو القلوب . وهم يتظلمون بمرارة من تلك الطردة القاسية . ويعرضون خدماتهم باسم جميعهم إذا كانت هناك أى حالة حرب ضد اسبانيا . مشتاقين بحرقه إلى أن يصبحوا تحت حكم مسيحي مرة أخرى .. » (30)

وفي منتصف القرن لسابع عشر كانت انجلترا فقدت مكانتها القديمة في المغرب كدولة صديقة بعد أن ظهرت أطماعها الاستعمارية في تصرفاتها للتورية المتناقضة ، وأغضبت كلا من حلفائها التقليديين الملوك السعديين بمراكش ، والدلائيين أصحاب النفوذ في الثغور الواقعة شمال أم الربيع . يتجلى ذلك في حادثة السفينة الانجليزية التي كانت متجهة إلى جزر كاناري وألقت بها العواصف بالقرب من آسفى . فقد اعتقل محمد الشيخ الأصغر السعدى ركاب هذه السفينة الانجليزية . وعددهم 27 رجلاً انتقاماً من حكومتهم

(29) انظر في موضوع العلاقات بين المنصور الذهبي وايليزابيث . عبد العزيز الفشتالى .

مناهل الصفا . مخطوط الخزانة العامة بالرباط من 247 ومة بعدها

(30) من تقرير للسفير هاريسون الانجليزى فى 8 أكتوبر 1630 . المترجم فى تاريخ تطوان القسم الثانى من المجلد الاول . ص 226

التي كانت تسمح لرعاياها التجار ببيع الأسلحة إلى الثوار في مرسى أكادير.
كما اغار القراصنة السلويون خلال هذه الفترة على كثير من السفن الانجليزية
وإغرقوا أحدها عندما كانت راجعة من إسبانيا (ديسمبر 1651) وأسرُوا عددا
وإفرا من البحارة الانجليز بأعوانهم عبيدا في مدينتهم.

وكان من نتائج متابعة حرب القرصنة وعدم وجود معاهدة انجليزية
لامع لمسلمين ولا مع الدلائيين قطع الصلات بين التجار الانجليز والموانئ
المغربية. وأخذت إنجلترا تحاول اقتداء أسراها في المغرب، وتفرض ضرائب
جديدة على الصادرات والواردات لهذا الغرض. وقد كلف مجلس الدولة
البريطاني بأمر مؤرخ في 15 ماي 1653 أحد أعضائه (روبير بلاكبورن)
R. BLACKBORNE « أن يعقد اتفاقا مع التاجر (روبير داون) R. DOWNE »
لشراء الأسرى الانجليز من سلا وقام هذا التاجر بالمهمة التي أنيطت به، وكتب
من مدينة سلا إلى (بلاكبورن) بعد نحو أربعة أشهر يخبره بأنه تمكن من شراء
22 أسيرا انجليزيا، وبقي تسعة آخرون، منهم سبعة في ملك الأمير عبد الله
الدلائي الذي رفض قداهم بأي ثمن. ولما استعادت إنجلترا قوتها الحربية في
البحر، عملت على أن تفرض احترامها على البحارة المسلمين في شمال افريقية،
وقد حطم أمير البحر الانجليزي (بلاك) « L'AMIRAL BLAK » خلال سنة 1655
الأسطول التونسي، وأمضى لصالحه معاهدة مع الجزائر، وكان ينوي أن
يفرض بذلك لقرصنة سلا لولا أنه اضطر إلى العودة إلى إنجلترا حينما أعلنت
الحرب على إسبانيا في شهر فبراير 1656. ثم رجع (بلاك) بعد بضعة أشهر
إلى سلا على رأس أكثر قطع أسطوله، ومعه منساعده (ادوارد مونطاكي)
EDWARD MONTAGU « (31) وطلب (بلاك) بمجرد وصوله إلى المرفأ من
الأمير عبد الله الدلائي أن يعين له مفوضين يتخاطبون معه في تهية اتفاقية
لنرى انتظار حضور هؤلاء المفوضين وصلت سفينتان سلويتان، وقبل دخولهما
إلى المرفأ ارتطمتا بالصخور للنجاة من السفن الانجليزية.

وبالرغم من استعداد المفوضين السلواويين لعقد اتفاقية، فإنهم أبوا
أن يطلقوا سراح الأسرى الانجليز دون مقابل. وقد قبل الأميرال (بلاك) أن
يعرض مالكي العبيد الانجليز بهدايا من البضائع، دون أن يؤدي لهم القداء
الذي يرى فيه اهانة لبلاده، وبعد نصف شهر من الاتصالات قطعت المفاوضات
بسبب رفض الأمير عبد الله الدلائي أن يسلم طفلين انجليزين ولدا في سلا

إلى (ادوارد مونطاكي) (1625 - 1672) عينه (كرومويل) مساعدا لأمير البحر (بلاك) في قيادة
فلم الأسطول الموجه ضد إسبانيا سنة 1656. بالرغم من كونه لم يكن قد عمل قط
في البحرية

ورجع الاسطول الانجليزى من حيث أتى تاركا ثلاث قطع حربية لتابعة حصار العدوئين .

وشهدت السنة التالية 1657 تطورا مرضيا للعلاقات المغربية * الانجليزية بسبب السياسة الجديدة التى أخذ ينفجها (كرومويل) فى البحر الابيض المتوسط ، فسمى (نثانييل لوك) « NATHANIEL LUKE » قنصلا فى الشغور المغربية يقيم فى تطوان . وهو تاجر انجليزى قضى شطرا مهما من حياته فى الاتجار بهذه المدينة . وأطلق السلاويون سراج الاسرى الانجليز ، ثم عقد المورد الحامى (كرومويل) معاهدة سلم وصداقة مع السلطان محمد الحاج فى 19 غشت 1657 ، تتخلص كما يلي :

(1) يلتزم الطرفان المتعاقدان بتناسى المظالم القديمة ، والعيش فى السلم استقبالا . ويمكن لرعاياهما أن يختلفوا الى موانئ القطرين ، دون أن يؤدوا من الاعشار الا ما يلزم للسلعة المبيعة فى تلك الموانئ .

(2) يسمح للرعايا الانجليز بمزاولة طقوسهم الدينية فى البلاد الخاضعة لنفوذ شيخ الدلاء .

(3) يحظر أسر سفن الجانبين .

(4) اذا غرقت سفينة يبقى الناجون ممن كانوا على ظهرها أحرارا ، وتسلم الامتعة التى يمكن انقاذها الى أصحابها .

(5) لا يمكن فى المستقبل أن يكون رعايا الدولتين أسرى عند أحد الجانبين وستعطى الحرية للانجليز المقيمين فى تطوان أو غيرها من البلاد التابعة لشيخ الدلاء ، لينفادروا هذه المنطقة مع ذويهم متى شاؤوا .

(6) يعاقب على كل قذف أو اهانة تلحق رعايا الطرفين .

(7) يمكن للسفن الحربية لكلا الدولتين أن تأخذ المؤنة والزاد من مرافئ البلدين .

(8) لا يمكن لاية حادثة أن تتسبب فى نقض السلم . اللهم الا فى حالة رفض اجراء العدالة . ويمكن للطرفين باتفاق منهما أن يغيرا أو يتما عندة الفصول .

وقد وقع هذه المعاهدة من الجانب المغربى زيادة على السلطان محمد الحاج الدلائى ، الغزوان (كذا) بن بوبكر ، وعبد الكريم التقيسيس حاكم تطوان ، وأحد العدول . (32) وبذلك ساد السلم من جديد وتوطدت عرى الصداقة بين الدلايين والانجليز .

(32) الكونط دو كاسترى . مصادر لم تنشر لتاريخ المغرب . سلسلة الوثائق الانجليزية .

ج) الدلائيون والبلاد الواطئة (هولاندا)

كانت البلاد الواطئة « PAYS-BAS » تشتمل على هولاندا ، وبلجيكا ، والوكسمبورغ الحالية ، مع جزء من شمال فرنسا . وتخلصت البلاد الواطئة من الاستعمار الاسباني والمذهب الكاثوليكي سنة 1559 فكونت حكومة فيديرالية متريكة من سبع دويلات ، تحتفظ كل منها باستقلالها الداخلي ، تحت اسم : جمهورية الاقاليم السبعة المتحدة REPUBLIQUE DES SEPT PROVINCES UNIES وتكون من مملى الاقاليم مجلس يحمل اسم (الولايات العامة) LES ETATS GENERAUX فكان المؤسسة الوحيدة القائمة بالمهام السياسية للحكومة الفيدرالية ولم يمض وقت طويل حتى صار أسطول البلاد الواطئة سيد البحار ، وكانت السفن الهولندية (33) - كسفن سائر الدول المعادية لاسبانيا - لا تستطيع ان تعبر مضيق جبل طارق دون أن تتعرض لخطر مزدوج ، فهي ان اقتربت من الساحل الغربي أسرت ، وان جنحت الى الساحل الآخر حطمتها الاسبان واخذوا بحارتها للتجديف في سفنهم الكبيرة .

وتعتبر جمهورية الاقاليم المتحدة من الدول الاوربية السابقة الى التحالف مع المغرب أيام أحمد المنصور الذهبي . وكانت هناك عوامل متعددة ساعدت على التقارب بين المغرب وهذه الاقاليم ، منها حقدهما المشترك على اسبانيا ، واقامة جالية من اليهود المطرودين من الاندلس في البلاد الواطئة نظرا لما اشتهرت به من التسامح الديني . فكون أفراد هذه الجالية اليهودية الشرية علاقات تجارية مع اخوانهم المقيمين في المغرب والجزائر ، وربطوا معهم صلات متينة فكانت السفن لذلك تتردد بين الموانئ المغربية والهولندية بدون انقطاع . واحتفظت البلاد الواطئة بصداقتها بعد موت المنصور مع ابنه زيدان . لكن لما استبد أبو حسون بسوس والجنوب المغربي ، واستقل العياشي ببلاد الغرب ومدن أبي رقراق ، وجدت البلاد الواطئة نفسها مضطرة للتفاهم مع هذين الحاكمين المحافظة على مصالحهما في هذه الاقاليم . ونظرا لقيام جمهوريات صغيرة في مدن سلا والرباط والقصبة (1040 - 1071/1630 - 1660) تحت نظر العياشي ثم الدلايين ، كانت الولايات العامة ترسل رؤساء هذه المدن وتتفاوض معهم صفتهم المباشرين للسلطة في هذه المغور . وسمت خلال عام 1643/1053 «هندريك دوبر» HENDRICK DOPPER « (34) قنصلا ممتازا للبلاد الواطئة

(34) يعبر حاليا عن الاقاليم السبعة باسم اقليم فيها وهو هولاندا
 (35) هندريك دوبر اورجوازي من سكان امستردام . بقي يشغل منصب قنصل البلاد الواطئة في المغرب الى ان توفي سنة 1051

في المغرب ، فكان يتردد بين مراكش وسلا ، ويتصل بالملك السعدي ورؤساء
العدوتين على السواء .

ولما استحكم أمر الدلايين وقوى نفوذهم في الاقاليم التابعة لهم ، لم يعد
رؤساء مدن سلا يبيعون لانفسهم الاتصال المباشر مع رؤساء الدول الاجنبية .
وقد رد سعيد الجنوي النائب العام عن الدلايين في هذه المدن ردا سلبيا على
رسالة وجهتها الولايات العامة - كالعادة - الى حكام سلا ، في موضوع الصلح
والبادنة ، وأشعر حكومة البلاد الواطنة بضرورة مخاطبة السلطان محمد الحاج
الدلاي الذي يرجع اليه وحده أمر الحرب والسلم . ومما جاء في الرسالة :
.. والصلح نعم السبيل لمن سلكها ، والطريق لمن اقتفى سنتها ، وثبوت
الصلح على هذه المثابة ، من الامور التي فيها الغرابة ، قل أن يتم فيها المرام (35)
أو ينتهي بيننا وبينكم الكلام . كيف وقد تركتم في الخطاب من تولى أمرنا ،
ومن طاعته أوكد الفروض علينا ، مولانا عز الاسلام وجابره ، ومغيثه حيث عز
ناصره ، الامام الذي تضاءلت الاغوار والانجاد لصوته ، واستكانت الآفاق
لهيبته ووظيفته ، واستنار الاسلام بظهوره ، وخمدت نيران الكفر بأضواء
نوره ، المقدام الذي حمل على كاهله راية المسلمين ، وساد الاولياء والعلماء
والجامعين ، صاحب الامر المطاع أبي عبد الله سيدي محمد بن محمد بن أبي
بكر نوره الله ، ورزق كلا من المسلمين رضا ، ولا غرو ان كان الصلح
مطلوبكم فاتوه من أبوابه ، وتوصلوا اليه بأسبابه ، واعرفوا لكل ذي فضل
نضله . وخاطبوا كل رئيس بما يناسب قدره .. (36) وقد أجابت
الولايات العامة عن هذه الرسالة بكتاب تستشير فيه بالاستعدادات
الطبية التي عبر عنها حكام مدن سلا ، وتعتذر عن عدم الكتابة من قبل السي
السلطان محمد الحاج . وأرسلت في نفس الوقت رسالة أخرى الى أمير الدلاء ،
حملها اليه القنصل الهولاندي في المغرب (هندريك دوبر) HENDRICK DOPPER
وفيها تقدم الولايات العامة الى محمد الحاج لأول مرة هذا القنصل الذي تدبته
ليؤكد للامير ما تكنه له من ود وتقدير ، وترجوه أن يطلق سراح الاسرى
الهولانديين في سلا ، ويضمن الحرية والامن لرعاياها من التجار ، وان يتفضل
باستقبال القنصل الهولاندي كلما رغب في المشول بين يديه .
وظلت العلاقات عادية بين الدلايين والهولانديين باستثناء بعض
الاحداث العابرة الناتجة عن أعمال القرصنة البحرية . وكانت المحادثات

(35) وقع تحريف في عبارة «قل ان يتم فيه المرام» في كتاب دو كاستري باستيدال نون داره
راه فصار عند «قل اريتم ..»

(36) انظر صورة هذه الرسالة ، وبطرتها توقيعات رؤساء سلا والرباط والقصة في اللوحة رقم 13

مستمرة بين الفريقين لعقد معاهدة سلم وصداقة . وفي أوائل عام 1051/1061
 بعث الأمير عبد الله الدلائي الى سلا أرسلت الولايات العامة مفوضين
 منها برئاسة الضابط البحري (جيدون دويلدت) « GEDEON DU WILDT »
 الى رأس أسطول ، ونائب حكام مدن سلا من طرفهم الحاج ابراهيم معين
 الحاج محمد فيش ليفاوضا باسمهم وأعطوهم حق التصرف المطلق في
 التفاوض مع ضباط أسطول البلاد الواطئة . وبعد معادثات طويلة وقع الطرفان
 في 9 صفر 1061/9 فبراير 1651 معاهدة تشتمل على تسعة فصول . مجملها :
 يطلق سراح الأسرى الهولانديين مقابل أداء ثمن الشراء للمالكينهم في ظرف
 ثلاثة أشهر ، والا تتسلح أية سفينة سلاوية للقراصنة في البحر ما لم تقدم
 ما يكفل بتعويض الخسائر التي تلحقها برعايا البلاد الواطئة ، وأنه
 سيجل سبيل الهولانديين الذين قد يوجدون على ظهر سفن محايدة ، والا
 يسمح لقراصنة الجزائر وتونس وطرابلس أن يبيعوا في سلا ما يستولون
 عليه من أسرى الهولانديين وبضائعهم ، والا يزداد في واجبات الجمرك الحالية ،
 ولا يخفى السلاويون التجار من رعايا البلاد الواطئة ، والا يسمحوا للاتراك
 بمصر بحمل رسائل امتياز في سلا ، وفي مقابل ذلك لن يعترض الأسطول
 الهولاندي طريق السفن السلاوية كما ان السلاويين لن يأسروا الاجانب
 راكبين على ظهر السفن الهولاندية .

وفي أواخر هذه السنة (1051/1061) عين الأمير عبد الله الدلائي حاكما
 في مدن سلا . ولما اطلع على نص المعاهدة السابقة لم تعجبه في مجملها ،
 وألغى عنها بالخصوص الفصل الرابع الذي يحرم على المغاربة أن يتعاملوا بالبيع
 والشراء مع اخوانهم الجزائريين والتونسيين والطرابلسيين ، ارضاء ومؤازرة
 حلفاء مسيحيين ، ورفض امضاء هذه المعاهدة . وفي ذلك التاريخ أرسلت
 الولايات العامة قنصلا جديدا الى سلا هو (دافيد دوفرييس) DAVID DE VRIES
 الذي استقبل استقبالا حسنا من طرف قائدي سلا والرباط أولا ، ثم
 حضر بمقابلة الأمير عبد الله الدلائي في القصبة . وكتب الأمير سعيد الجنوي
 في اثر ذلك الى الولايات العامة يخبرها بوصول قنصلها الجديد ، ومصادقة
 الأمير عبد الله الدلائي على معاهدة 9 فبراير 1651 باستثناء الفصل الرابع منها
 مخالفته تعاليم الديانة الاسلامية .

وأرسل الأمير عبد الله الدلائي بدوره كتابا الى الولايات العامة ردا على
 الرسالة التي وافته منها جاء فيه : « ... أما بعد حمدا لله الذي لا اله الا هو فانه

سبق لدافيد دوفرييس أن شغل منصب قنصل الولايات العامة في بلاد أخرى قبل أن يعي
 قنصلا في سلا سنة 1651 . وظل يباشر عمله في هذه المدينة ان أن توفي سنة 1662

ورد علينا كتابكم الواسع ، وقفنا على شروط الرسم وفصوله (38) وتأملنا
 سحب مسائله وأصوله . فليكن في علمكم انا قبلنا ما فيه واستحسنناه ،
 سطرنا حقيقة مقتضاه وأثبتناه ، وأعملنا بشرطه وما في قبضه وبسطه ،
 وأبرمنا عقده . وأنجزنا وعده وعهده ، وأعلمنا بذلك لأهل بلدنا ، ولأصحاب
 السفن من قرصاننا . وقبلنا أموره الخاصة والعامة قبولاً تاماً ، لكن عندنا
 ما تذكر في بعض الشروط . وسياتيكم مسطراً مع آخر صحبة هذا المكتوب
 (39) وأما خديكم القنص (كذا) داييد دبريس فانا قد أنزلناه منزلة العز
 والكرامة ، وفرحنا بقدومه ، اذ لنا معرفة سالفة معه وخططة قديمة .» (40)
 وبعث الأمير عبد الله الدلائي صحبة الكتاب المتقدم اقتراحات مضادة
 لتعديل معاهدة 9 فبراير 1051 (41) وتشتمل على أربعة فصول يختص أولهما
 بنقص الشرط الرابع من المعاهدة وإبطاله ، وتتعلق الثلاثة الأخرى بتحفظات
 في بعض الحالات الاستثنائية التي ينتقض فيها العهد وتصبح سفن الهولنديين
 وبحارتهم وبضائعهم غنيمة للمسلمين . ولما لم يتلق الأمير عبد الله جواب
 الولايات العامة عن اقتراحاته بعد نحو ثلاثة أشهر رأى أن يتخذ اجراء يفهم منه
 عدم تقيده بالمعاهدة ما دامت على حالها لم تغير ، فزاد في الضريبة المفروضة
 على الصادرات والواردات . ولم تجد نفعا احتجاجات قناصل الدول المقيمين
 في سلا ، وفي مقدمتهم (دو فرييس) الذ كتب الى الولايات العامة يخبرها
 بالمرائب الجديدة والمحاولات التي قام بها في هذا الصدد ، مقترحاً في الأخير
 على حكومته أن تكتب الى الأمير عبد الله والى أبيه السلطان محمد الحاج «الذي
 لا يرغب في ازعاج التجار ولا في القضاء على التجارة ، وأن يلبث أن يبطل هذه
 المرائب الجديدة» (42) ثم حدث حادث قرصني جديد زاد في توتر العلاقات
 بين سلا والبلاد الواطئة . ذلك ان الاسطول الهولندي بقيادة الضابط
 (كورنيلي طرومب) CONTRE AMIRAL CORNELIS TROMP (43) استولى
 على سفينة تجارية سلوية كانت قادمة من الجزائر بشحنة مهمة في ملك أمير

(38) يشير الى معاهدة 9 فبراير 1051

(39) الإشارة الى الاقتراحات المضادة التي بعث بها الأمير الدلائي الى الهولنديين
 40) De Castries, Les Sources Inédites, Pays-Bas, T.V. P. 296.

(41) انظر صورة هذه الاقتراحات المضادة في اللوحة رقم 14
 42) De Castries, Les Sources Inédites, Pays-Bas, T.V. P. 316.

(43) كانت هناك فرقتان من الاسطول الهولندي تعملان بالقرب من شواطئ المغرب . أولاهما
 بقيادة الضابط (ديرويتس) DE RUYTER تخفر السفن التجارية الهولندية المتجهة نحو
 البحر الأبيض المتوسط والثانية بقيادة الضابط (كورنيلي طرومب) CORNELIS TROMP
 وهي مكلفة بحماية السفن التجارية الهولندية المتجهة نحو موانئ المحيط الاطلسي

بسم الله الرحمن الرحيم سجدته كارتب بحسبه واما فتبوه سواه

ممن في امور يساكن الا علاج بها الانحاء الراساء
الاسفاض الكلبين اكله السلام العظمى السبعة

الاول في سائر النسخ في الصرك اربع في رسم الوصفة السبعة كرت سبب الشرده
من كانه ان سيج في نوسا في الخمسة من سبب بلاد العلم كية ارجا وناها فوارا نوسا والجزاير
وغيرهم من غيركم في سببهم من غيرهم معتم وأرنه بلهم من غيرهم ونسبهم من غيرهم
البلاد في ذلك ولا يعلو اخله كانه في سببهم من غيرهم في بلادنا ففك وان را
اعمر من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم
من غيرهم في بلادنا كانه في سببهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم
من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم

في سببهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم

والثاني ان سبب بلادنا كانه في سببهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم
من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم
من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم

في سببهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم

والثالث ان سبب بلادنا كانه في سببهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم
من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم

والرابع ان سبب بلادنا كانه في سببهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم
من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم من غيرهم

انواعا شادة لعبد الله الدلاشي تتعلق بالمعاهدة العرمية
من البلاد المنخفضة والملوكين . ولا حظ توقيع على الهامش
عن مصادر دو كاستري

لمدينة وحاكمها وغيرهما من الاعيان . وتسمى الوثائق الهولندية هذه السفينة DE HASEWINDT OU WINDTHONDT والاسمان معا يدلان على السدوقسى . وكانت ملاقة الاسطول الهولاندى لهذه السفينة قبيل غروب الشمس ، واعترض طريقها بشكل جعلها لاتجاوز حدود المعمورة . وفى الصباح بدأ (طرومب) يوجه اليها طلقات مدافعه الى أن استولى عليها واقتادها الى ميناء فاس . وقد أحدث خبر هذه القرصنة التى وقعت على بضعة أميال عن سلا انرايسيا فى نفوس سكان المدينة . وفرضت حراسة قوية على منزل القنصل (دوفرييس) حتى لايلتجئ الى المعمورة أو يفر فى البحر . ووقع حجز السفينة الهولندية (ديتيجر) DE TYGER مع بحارتها بأمر من الامير عبد الله الدلائى وكتب القنصل الى حكومته (20 يوليوز 1654) يخبرها بهياج السلاويين وغضبهم لاسر سفينتهم التجارية ، وبالحالة الخطيرة التى أصبح يعيش فيها هو ومواطنوه الهولنديون .

وحضر قائد الاسطول (طرومب) الى مرفأ سلا استجابة لدعوة القنصل وأرسل الى الامير عبد الله خطابا يبرر فيه الاستيلاء على السفينة التجارية السلوية ويدعوه - ان لم يقتنع - أن يوجه احتجاجا الى الولايات العامة فى (الاهاي) فأجاب الامير عبد الله انه اذا كان طرومب لم يستول على السفينة السلوية بأمر من حكومته ، فلا حاجة له فى اذنها ليرد المراكب الى صاحبه . لكن (طرومب) لم ينتظر هذا الجواب ورجع من حيث أتى . فأمر عبد الله الدلائى بأن يسجن الضباط والتجار الهولنديون الموجودون بسلا فى معطورة . وجاءت الاخبار بعد ذلك الى سلا بأن (طرومب) قد باع السفينة السلوية وكل ما كانت تحتوى عليه من البضائع فى ميناء قنادس . فاشتد الحنق على الهولنديين ، وكتب القنصل (دوفرييس) الى القيادة العليا للاسطول فى امستردام L'AMIRANTE D'AMSTERDAM (44) يطلعها على الحالة ، ويرجو فيها اذا كان الاستيلاء على السفينة السلوية بطريقة غير مشروعة ، ان تقدم الولايات العامة تعويضا مناسباً للسلاويين . وفعلوا توصل القنصل من حكومته برسالة وقرار فى الموضوع باسم حاكم سلا . فغير الحاكم العنوان ، وقرأ الرسالة على عبد الله الدلائى كما لو كانت موجهة اليه . فرضى الامير بالوعود التى وردت فيها وأفرج عن الهولنديين المعتقلين .

ولم تكن مسألة السفينة الماسورة بالقرب من المعمورة هى الحادثة القرصنية الوحيدة التى شهدتها سنة 1654 ، بل جرت فيها حوادث أخر مماثلة ،

(44) امستردام AMSTERDAM هى العاصمة الحالية لهولاندا . كانت مقر القيادة العليا لاسطول الاقاليم المتحدة . بينما كانت (الاهاي) مقر الولايات العامة

وقد أسر الضابط الهولاندى (فيليب راس) « PHILIP RAS » مركب ابراهيم الرئيس السللاوى ، وعلى ظهره 44 من المغاربة ، و 3 من أسرى النصبارى ، وأحرق المركب واحتفظ بابراهيم الرئيس ، وعزم على بيع البحارة لولا أن يعرف القنصل الهولاندى فى قانس ضد هذا البيع حتى تثبت شرعية أسر السفينة . واستولى الضابط الهولاندى (طونيس بوسط) « LE CAPITAINE » THENNIS POST على سفينة سلوية كبيرة من نوع (كارافيل) CARAVELLE (45) ذات خمس سوار ، وخمسة مدافع كبيرة . ومدفعين صغيرين . بقيادة الرئيس الحاج فاصل . وكان على ظهرها مائة من المغاربة ، وثمانية من أسرى النصبارى . واقتيدت هذه السفينة الى ميناء قانس ، وبعد التأكد من وجود الحواز القانونى من طرف حاكم سلا وقنصل الولايات العامة بهذه المدينة ، وقع تحرير الأسرى المسيحيين ، وتخلي سبيل السفينة وركابها المسلمين .

هذا النشاط الهولاندى الغير المعتاد فى أعمال القرصنة ضد سفن سلا ، كان يستهدف ولاشك الضغط على الامير عبد الله الدلائى ، واشعاره بضرورة قيادة الولايات العامة والتجانت معها . وقد رأت الولايات العامة أن تجسب ابن الامير عبد الله الدلائى فتركت جانباً قائد الاسطول الهولاندى بالمحيط الاطنطيقى الضابط طرومب الذى خلق لها صعوبات مع السلويين مستعينة عنه بقائد اسطول البحر المتوسط . وفعلاً وحصل (ديرويطر) « DE RUYTER » الى مرفأ سلا (أكتوبر 1054) ووجه رسالة الى الامير عبد الله الدلائى يخبره بأنه جاء عندما علم بالصعوبات التى أحدثها استيلاء الضابط (طرومب) على السفينة التجارية السلوية . ليؤكد للامير أنه اذا كانت هذه السفينة قد أخذت فى الظروف التى يشتمكى عليها ، فإن ذلك يكون على غير رغبة الولايات العامة . وبأسف لكون التعليمات الموجهة اليه تمنعه من مفادرة سفينته ، ولولا ذلك لكانت مقابلة واحدة مع الامير كافية لتطمينه وترضيته ، وإعادة توظيف أواصر الصداقة معه . وجاء رد الامير عبد الله الدلائى على هذه الرسالة بعد يومين ، يعتذر عن تأخر الجواب وعدم خروج المبعوثين اللذين عينهما - مع القنصل - للترحيب بمقدم الضابط (ديويتز) نظراً لرداءة أحوال المرفأ . وبعد أن بين له الاجراءات التى اتخذت منذ الاستيلاء على سفينة السلويين ، ومنها حجز السفينة الهولاندية « TYGER » وإيقاف ضابطها وبحارتها ، أخبره بأن عملية

149 (كارافيل) CARAVELLE نوع من السفن الكبيرة ذات الشهرة العظيمة منذ القرون الخامس عشر - وهذا النوع من السفن خاض البرتغاليون غمار رحلاتهم الاستكشافية . وقسم كريستوف (كولومبوس) سفرته الاولى فى ثلاث سفن من هذا النوع . وكانت (كارافيل) من أسرع السفن وأحسنها قيادة . تسع من 50 الى 60 بحاراً زيادة على المركاب

البحر لم تشمل الا هذه السفينة وحدها وكل السفن الهولندية غيرها حرة
في الدخول الى مرفأ سلا والخروج منه : ولا يشك الامير في حسن استعداد
الولايات العامة لتسوية الخلاف الحائى ، لانه من جنبه يسارع الى ارجاع الحق
الى نصابه كلما اشعره القنصل باخطاء ارتكبتها السلويون ضد رعايا البلاد
الواطنة . وهكذا لاحت في أفق العلاقات الدلائية الهولندية بوادى الانفسراج
واستبشر كلا الفريقين بقرب رجوع المياه الى مجاريها . غير أن حادثا قرصنيا
وقع في الشهر الحوالى رجع القمقرى بالعلاقات بين السلويين والهولنديين
ذلك ان القبطان الهولندى (لين براند) = LE CAPITAINE LYN BRANDT
أسر فى منتصف نوفمبر 1654 ثلاثة من قراصنة سلا . وكان رد فعل السلويين
فى هذه المرة عنيفا ، فألقوا قنصل الولايات العامة ومساعديه فى مطبوعة .
وحجزوا أربع سفن هولندية كانت بالمرفأ وسجنوا ضباطها وبحارتها جميعا
وبعد أربعة أيام أخرج القنصل دوفرييس عن محبسه وقدم للامير عبد الله
الدلائى الذى سمح له بالإقامة المحروسة فى منزله . وأطلق سراح الضباط
والبحارة الهولنديين المعتقلين مقابل ضامين قدمهم تجار البلاد الوطنية وكتب
القنصل دوفرييس الى حكومته يطلبها على الحال المزرية التى يوجد عليها فى
سلا هو ومواطنواه ، بعد حادثة أسر القراصنة السلويين ، ويؤكد ان حياته
وحياة رفاقه أصبحت فى خطر ، وان السلويين استولوا فى عرض البحر على
ثلاث سفن ، من بينها السفينة الهولندية ديدوب « DE DOP » فتقدم بطلب
تسريحها . ورفع هذا الطلب الى الامير الدلائى الذى كان متغيبا فى ذلك
الوقت عن سلا .

وقد اهتمت الولايات العامة جديا بمسألة العلاقات مع سلا ، واتخذت
قرارا سرىا بتاريخ 2 افريل 1655 حددت فيه شروط المعاهدة ، وأعطت الضابط
ديرويتز كامل الصلاحية لىفاوض هو والقنصل دوفرييس الامير عبد الله
الدلائى . سواء على أساس مشروع الولايات العامة ، او على أساس ما قد يتقدم
به هذا الامير من اقتراحات . وقررت الولايات العامة أن ترابط فرقة الاسطول
العامة تحت قيادة ديرويتز أمام سلا لمساندة المفاوضين الهولنديين ، ولضرب
الحصار على هذه المدينة اذا لم يتوصل الفريقان الى اتفاق . وبعثت الولايات
العامة فى نفس التاريخ برسالة الى الامير عبد الله الدلائى تطلب منه أن يقدم
الترخيصات اللازمة الى القنصل دوفرييس ومن معه من رعايا البلاد الوطنية
الذين كانوا ضحية أعمال العنف فى سلا ، وأن يطلق سراح المعتقلين ، على
أن تعمل الولايات العامة من جهتها لتعويض السلويين الذين يمكن أن تكون
قد لحقت بهم أضرار من ناحية البحرية الهولندية ، وتخبره فى النهاية بأنها

قررت ارسال مندوب عنها عيادت اليه بتسوية جميع الخلافات السابقة ، والاتفاق مع الامير على الوسائل الكفيلة بتفادي مثل ذلك في المستقبل . وتأخر وصول أسطول الولايات العامة الى سلا عدة شهور ، وبقيت السفن الهولندية مبحجة في المرفأ ، وضباطها وبحارتها في اقامة محروسة بسلا . وكتب الامير عبد الله الدلاي الى الولايات العامة (15 يونية 1655) يستحثها على ارسال مندوبينها ويستنجزها ما وعدت به من التفاوض لحسم الخلافات وانصاف الرعايا الذين سلبت أموالهم وأمتعتهم (46) وأخيرا تلقى أمير سلا رسالة من قائد الاسطول ديرويتز بعث بها من قادس يعتذر عن تأخر وصوله بسبب تسليح بلاد السويد الذي أرعب الدول المسيحية وبخاصة البلاد الواطنة ، ويقول انه مكلف من قبل الولايات العامة بتسوية الخلافات السابقة وتوطيد عرى الود والتحالف بين الدولتين ، ويرجو أن تاتى المفاوضات المقبلة بنتائج حاسمة ، ويأمل - في انتظار ذلك - أن يمنح الامير عبد الله الدلاي المعتقلين المسيحيين قسما أوفر من الحرية .

ولما وصل أسطول القائد دو رويتر الى مرفأ سلا طلب من الامير الدلاي أن يبعث اليه بالمفاوضين السلواويين ، ومعهم القنصل . فبعث اليه الامير بنسخة مترجمة من مطالب السلويين الذين لحقت بهم أضرار من جراء استيلاء الهولنديين على سفينة أحمد الرايس واعتذر عن عدم السماح للقنصل دوفرييس بالتوجه الى الاسطول ، لامتناع الديوان من الاذن له بذلك ، ووعد بأنه سيعمل للحصول على هذا الاذن فيما بعد . ثم خرجت من مرفأ سلا سفينة صغيرة تحمل أطعمة وأسلحة قدمها الامير الدلاي الى دو رويتر وصحبه غرد هذا الاخير على ذلك بهدية تشتمل على أربعة قناطير من مسحوق البارود . وهكذا ابتدأت المفاوضات في جو تسوده المجاملة والمهاداة ، ووقع الاتفاق على الطريقة التي ستتبع في دراسة الحسابات ومراجعة مطالب المتضررين من الطرفين . وأرسل دو رويتر الى اليابسة المختص بالخرانة ديفيانان DE VYANEN والترجمان بنجامن كوهن BENJAMIN KOHEN ليكونا مع القنصل دوفرييس الوفد المفاوض باسم الولايات العامة . وكان الوفد السلوي يتألف من عبد الله القصري القائم مقام سعيد الجنوي وابراهيم الدك ، وعلى القرطبي من أعيان العدوتين . وقد اعترضت المفاوضات صعوبات منذ البداية . إذ لم يقبل السلويون لوائح تقدير الخسائر المقدمة من طرف أصحاب المراكب الهولندية ، ورأوا فيها مغالاة كثيرة وتشبها برأيهم في عدم مشروعية أسر السفينة

التجارية السلوية في حين رفض الهولنديون بعض الحجج المقدمة من قبل
 الشاكين السلويين وأبوا أن يقبلوا غير العقود العدلية . وعقد وفد الولايات
 العامة جلسات عمل مع الامير عبد الله الدلائي نفسه عدة يومين لتذليل
 الصعوبات . وبعد مفاوضات طويلة وتنازل الهولنديين عن السفينة واثاثها
 WITTE WALCK كتعويض للسلاويين عن سفينتهم الضائعة تم في 22 أكتوبر
 1655 التوقيع على اتفاقية مختصرة تشتمل على سبعة فصول . يتضمن الفصل
 الاول منها أن يطلق الامير عبد الله الدلائي سراح دافيد دورفريس القنصل
 العام للولايات العامة في الثغور المغربية وأن يعيد اليه حريته ، وتشتمل
 الفصول الاخرى على اطلاق سراح أسرى الجانبين ، واسترجاع كل منهما
 السفن التي وقع الاستيلاء عليها وتعويض الخسائر التي لحقت بكلتا الجانبين .
 وقد وقع هذه الاتفاقية مبدئيا ابراهيم الدك وعلي القرطبي ، عن السلويين ،
 و دو فرييس DE VRIES « و دو فيانان » DE VYANEN « عن الهولنديين ،
 ثم صادق عليها الامير عبد الله الدلائي وأشعر الاسطول الهولندي المربط في
 عرض البحر بذلك بخمس طلقات من مدافع القصبه . ووقع دو رويتر من
 جانبه النسخة الاصلية للاتفاقية على ظهر سفينته قبل أن يتجه الى قادس (47) .
 وقد أعد الوفدان المتفاوضان في نفس الوقت مشروع معاهدة سلم
 وصداقة بين السلويين والولايات العامة تشتمل على 27 بنداً قدماء الى الامير
 عبد الله الدلائي وأرسله دو رويتر الى حكومته بقصد الدراسة وإبداء الرأي .
 غير أن الامير الدلائي أمر بقطع المفاوضات على اثر سفر قائد الاسطول دورويتر
 الذي كان له التفويض الرسمي من الولايات العامة . بالرغم مما أبداه هذا
 الاخير من رغبة ملحة في أن تتابع المفاوضات في غيبته بواسطة القنصل
 ومن معه .

وأرسلت الولايات العامة الى قنصلها بسلا في 32 ماي 1656 تعليمات
 تحتوي على عشر نقط . ليتخذها أساسا في مفاوضاته المقبلة من أجل إبرام
 معاهدة سلم مع الامير الدلائي . وتهدف هذه التعليمات الى أن يستأنف
 القنصل دو فرييس المفاوضات من جديد مع السلويين ، مبتدئا من النقطة
 التي توقفت عندها المفاوضات الاخيرة ، ويعمل بمقتضى التفويض الذي خولته
 اياه الولايات العامة في هذا الصدد ، مستوحيا من الاتفاقية المبرمة بين الفريقين
 في 9 فبراير 1651 باستثناء التغييرات المنصوص عليها في هذه التعليمات .
 وخصت النقطة السادسة في التعليمات للكلام عن الفصل الرابع من معاهدة
 لايفراير الذي كان السبب في معارضة الامير عبد الله الدلائي لهذه المعاهدة

47) De Castries, Sources Inédites, Pays-Bas, 6:135

وبقائها معلقة منذ نحو 6 سنوات . وقد أوصت الولايات العامة القنصل بأن يعمل ما في وسعه للاحتفاظ بهذا الفصل على حاله . فإن لم يستطع تنازل درجات معينة . فإن لم يستطع الحصول على شيء شرط فقط الا يرسل أسارى قراصمة الجزائر من رعايا البلاد الواطئة الى مكان آخر غير سلا ليسلموا الى القنصل مقابل فداء معين بحسب رتب الاسرى (48) .

وكان الضابط دو رويتر « DE WILDT » تلقى أمرا من القيادة العليا للاسطول بأبستردام بالتوجه الى سلا على رأس سفن حربية كبرى لمساندة المفاوضات الجارية هناك . لكن قبل أن يصل الاسطول الهولاندى الى سلا توصل القنصل دو فرييس مع المفاوضين السلواويين بعد محادثات طويلة الى الاتفاق على مشروع معاهدة سلم وصداقة يتألف من اثني عشر فصلا . وقعه جميع المتفاوضين من الطرفين في 22 مارس 1657 (49) ووجه القنصل الهولاندى نص المشروع الى حكومته للمصادقة عليه . ولما وصل دو رويتر وجد كل شيء تم بسلام . فكتب الى الامير عبد الله الدلائي يشكره على حسن تصرفه . ويعرض عليه استعداده للخدمة . ورجع بعد أسبوع الى قادس مرتاح البال .

ومكث مشروع المعاهدة في البلاد الواطئة أزيد من سنة . اذ لم تصادق عليه الدول العامة الا في 25 ماي 1658 ولم يتوصل عبد الله الدلائي بالنسخة الاصلية ليوقعها الا في شهر غشت من نفس السنة . ووقعت في هذه الفترة أحداث كثيرة كادت تعصف من جديد بالعلاقات بين سلا ولاهاي . ومن أخطرها اعتداء القبطان الهولاندى براكل BRAKEL التابع لاسطول دورزير يوم فاتح شتنبر 1657 على سفينة سلوية كانت قادمة من الجزائر بحمولة تجارية مهمة بقيادة الرئيس على مرشيك . فهاجمها براكل بالمقرب من مرسى تطوان . واستولى عليها بعد أن فر الرئيس مرشيك ومن معه من التجار . وقد حرر السلويون لائحة بما ضاع لهم في هذه السفينة . وختم الامير الدلائي هذه اللائحة بطابعه قبل أن يوجهها الى الولايات العامة في ربيع الثاني 1068 / يناير 1658 (50) .

ولما طال انتظار عبد الله الدلائي ولم يستلم جواب الولايات العامة على هذه المطالب . ولا المصادقة على المعاهدة . رأى أن يلجأ الى العنف . فأغلق مخرج النهر على المراكب طيلة شهر كامل وأخطر القنصل دو فرييس بأنه سينتصف بنفسه لرعاياه . ويرد عليهم ما ضاع لهم بعد أن يأخذه من

48) De Castries, Sources Inédites, Pays-Bas, 6 : 271.

49)

50)

6 : 323.

6 : 365.

الهولانديين المقيمين في سلا . وكتب القنصل الى حكومته بجلية الامر ، طالبا منها ان تعجل بالمصادقة على المعاهدة ، وبتعويض الخسائر التي لحقت بالسليويين . وبناء على ذلك اتخذت الولايات العامة في 25 ماي 1958 قرارا يقتضي تكليف ضابط بحري بالتوجه على رأس فرقة من الاسطول الى مرفأ سلا لتبادل وثائق المعاهدة المصادق عليها مع الامير عبد الله الدلائي . وللمعمل معه على تسوية المشاكل القائمة ولاسيما ما يتعلق منها بسفينة الرئيس على مرشيك ، واطلاعه على ان الضابط رويتر لم يعثر في السفينة السلوية المأخوذة في خليج تطوان لا على النقود ولا على البضائع المشبهة في اللائحة ، وانه سار في هذه الحادثة على مقتضى المعاهدة ، فجزر أحد سكان سلا الذي عثر عليه في السفينة المأسورة . أما المغربي الاعمى (51) الذي كان كذلك على ظهر السفينة فسيقدم اقتراح بتعويضه ان لم يعثر عليه . ولا تقبل الدول العامة بحال أن يعرض الامير بنفسه رعاياه على حساب أشخاص وأموال رعايا البلاد الواطئة . وكان الضابط الذي كلف بمهمة الاتصال بالامير عبد الله الدلائي هو ديرويتير ، الا انه فضل أن ينسب عنه الضابط ديويلدت « DE WILDT » الذي وصل الى مرفأ سلا في 27 يوليوز 1658 على رأس فرقة من الاسطول الحربى . وكتب ديويلدت بمجرد وصوله الى أمير سلا ينبئه بأنه يحصل مصادقة الولايات العامة على المعاهدة ، ويطلب أن يحضر الى سفينته مفوضون سلويون لتبادل الوثائق . وأسرع الامير عبد الله الدلائي كعادته بتقديم القرى الى ضيفه ، وكان من جملة ما حملته السفينة الصغيرة الى الاسطول الهولاندى المرباط خارج المرفأ أربعون من الغنم . فرد الضابط الهولاندى دو ويلت عن ذلك برسالة شكر وامتنان معتذرا بعدم توفره على أشياء ثمينة يمكن أن يبعث بها الى الامير الكريم . لكنه لما كان يعلم ان الامير جندى كبير مولع بالاسلحة الجيدة قدم اليه هدية متواضعة تشتمل على ستة براميل صغيرة من مسحوق البارود الخاص بالمدافع وبندقية جيدة طويلة . وبعد ذلك خرج القنصل دو فرييس صحبة الترجمان كوهن للسلام على الضابط والترحيب به ، والمخاطبة معه في المسائل المعلقة وبخاصة قضية سفينة الرئيس على مرشيك لمعرفة موقف الولايات العامة منها . وأجاب (دويلدت) بأن حكومته لم تعثر في السفينة المأسورة بالقرب من تطوان على الاموال والسلع التي ورد ذكرها في اللائحة التي بعث بها الامير الدلائي ، وبذلك فانه

(51) لاندري من أين عرف الهولانديون ان هذا المغربي الذي لم يعثر عليه كان اعمى وفي رواية أخرى فهم انه كان أسود . والذي ورد في نص لائحة السليويين الرسمية هو : «مملوك الحاج ابراهيم الخياط خديم المقام العلى بيع بجبل الطير - يعنى جبل طارق - » ولهذا المملوك علاقة بقضية اختلاق تنصر أمير دلائي على ما سياتى في الفصل التالى

لا يمكن إلا أن تكون تلك الأشياء قد اختلست من طرف بحارة لاذوا بالفرار .
ولست المصادقة على المعاهدة من طرف الأمير عبد الله الدلائي بعد لاي . (دي
العدة 1068 / غشت 1058) ولم تنته المفاوضات في شأن السفن والبضائع
الصائغة . وسيكون ذلك إحدى المهمات التي يضطلع بها السفراء السلويون
في (لاهاي) .

د) السفارة المغربية في (لاهاي) (1059/1069)

هناك دواع كثيرة دفعت بالأمير عبد الله الدلائي إلى إيفاد سفراء إلى
البلاد الواطئة ، فبالرغم من امضاء معاهدة السلم والصداقة مع هذه البلاد
بقيت مسائل كثيرة معلقة تنتظر الحل ، كالسفن المأسورة والبضائع الصائغة .
والتي ذلك كان السلطان محمد الحاج قد أصيب في إحدى عينيه بمرض السادة ،
أو ما نسميه (بالجلالة أو العمى الأزرق) CATARACTE ورغب في استجلاب
طبيب للعيون من هولاندا يعالجه (52) .

وتألف وفد هذه السفارة من ثلاث شخصيات بارزة في العدوتين ، هم
إبراهيم معيننو من سلا ، وإبراهيم الدك ومحمد بنيالوز من الرباط والقصبة ،
مع حاشية مؤلفة من رجال ونساء واصطحب الوفد معه هدية إلى الولايات
العامّة احتوت على فرسين عربيين أصيلين وشبل ولبوء ونعام (53) . ووصل
السفراء إلى أمستردام في أوائل شهر شوال 1069 / يوليو 1659 وأدخلوا إلى
لاهاي من طرف الأمين هيسلست « L'INTENDANT HESSELT » الذي خف
لاستقبالهم في المحطة الواقعة خارج المدينة ، وأقاموا في النزل الخاص بالسفراء
فوق العادة ، وعينت لهم الحكومة الهولندية مترجما خاصا يرافقهم ، هو

(52) ذكر أخبار هذه السفارة الكونت دو كاستري في سلسلة وثائق البلاد الواطئة . ج 6 .
من ص 350 إلى آخر الجزء . وبالإضافة إلى الوثائق الرسمية التي تحتوي على معلومات
كثيرة في الموضوع . أورد دو كاستري في نفس الجزء مقتطفات من كتاب صدر في
أمستردام سنة 1668 - أي بعد ثمان سنوات من قدوم السفراء المغاربة إلى البلاد الواطئة -
للطبيب الهولندي أوليفي دابير OLIVIER DOPPER تحدث فيه عما شاهدته وعرفه
عن هذه السفارة . وقد اعتمدت في هذا الفصل على الوثائق والمقتطفات معاً

(53) مات الشبل في البحر . كما ماتت النعام بعد وصولها إلى أمستردام لكثرة ما ازدردت من
كل ما قدم إليها ، خصوصا المسامير التي كان الأطفال الهولنديون يلعبون بها إليها .
طائفتين أن هذا الطائر العجيب يمكنه أن يهضم الحديد كما يهضم الخبز . وقد وجد في
بطنها عندما فتح أكثر من 80 مسماراً

جاكوبيس كوليبس « JACOBUS GOLIJUS » (54) أستاذ اللغة العربية بجامعة ليدن (55). وفي اليوم السابع من شهر يوليو زارهم الوكيل دو هايدي L'AGENT DE HAYDE في المنزل الذي يقيمون فيه ، واصطحبهم في عربتين خرج كلا منهما أربعة خيول إلى مقر مجلس الولايات العامة حيث وقع استقبالهم حسب المراسيم المتبعة في مثل هذه المناسبة .

وبعد أن دخل السفراء إلى القاعة ، وجلسوا على أرائك وثيرة قدموا لأعضاء الولايات العامة تحيات الأمير عبد الله الدلائي ، ثم عرضوا اقتراحاتهم منسوجة بعبارات الود والمجاملة المستعملة في مثل هذا المقام ، وذلك حسب رسالة اعتمادهم المؤرخة في فاتح رمضان 1069/23 مايو 1659 (56) واثار ذلك تكلم رئيس المجلس فرحب بمقدم السفراء المغاربة ، وعيناهم بسلامة الوصول ، ثم رجعوا في نفس الموكب إلى مقر إقامتهم .

وقد طال مقام السفراء المغاربة في البلاد الواطئة أزيد من خمسة أشهر قضوا جلها في المفاوضات مع اللجنة السباعية التي عينتها الولايات العامة ، باعتبار نائب عن كل إقليم من الأقاليم المتحدة . وقدم السفراء المغاربة في 8 غشت 1659 مذكرة مطولة يقترحون فيها تعديل معاهدة السلم والصداقة البرمة بين البلدين سنة 1657 بإضافة خمسة بنود جديدة إليها ، ويقدمون مطالب تتعلق بحوادث القرصنة السابقة ، وحلولا للمشاكل القائمة ، معززين دعائهم بحجج عدلية ووثائق تؤيد مطالبهم . ثم قدم السفراء إلى الولايات العامة مذكرة ثانية في 23 شتنبر 1659 تنازلوا فيها عن الفصلين الأخيرين اللذين رفضهما المفاوضون الهولنديون ، وقبلوا بعض المقترحات المقدمة لتعديل معاهدة 1657 . وأثاروا من جديد نقط الخلاف مبينين وجهة نظرهم في تسويتها . واتخذت الولايات العامة قرارا نظرت فيه بعين الاعتبار إلى كثير من مطالب السفراء ، وسوت بصفة نهائية بعض القضايا المترتبة عن

(54) الأستاذ جاكوبيس كوليبس هو رائد الاستشراق في هولندا . وقد ولد في لاهاي سنة 1596 من أسرة عريقة في الأرستوقراطية ، ودرس في ليدن ، وبرز في اللغات والآداب . وتعلم اللغة العربية على الأستاذ طوماس ارينبيس THOMAS ERPENIUS الذي كان صاحب كرسي اللغة العربية في جامعة ليدن ، ثم جاء كوليبس إلى المغرب مع سفير الولايات العامة البير رويل ALBERT RUYL خلال سنتي 1622 - 1623 رغبة منه في اتقان اللغة العربية . وحصل معه من المغرب كثيرا من الكتب النادرة سواء في التاريخ أو غيره ، وقام بزيارات عديدة لبلاد الشرق العربي ثم أسند إليه كرسي اللغة العربية في جامعة ليدن بعد وفاة أستاذه طوماس ارينبيس سنة 1624 . وكانت الولايات العامة تعتمد على الأستاذ كوليبس في ترجمة الوثائق التي تتوصل بها من المغرب إلى أن توفي في 28 شتنبر 1667

(55) ليدن LEYDEN مدينة جامعية في هولندا ، سكانها 92700 . وفيها مطبعة بريل الشهيرة والمكتبة الغنية بالمطبوعات والمخطوطات العربية النادرة

(56) انظر صورة هذه الرسالة في الدوحة رقم 16



السفارة المغربية في لاهاي عام 1069 هـ (1659 م)

وتتركب من ابراهيم الدك و ابراهيم معين و محمد بن يالوز

المبعوثين من طرف عبد الله الدلائي

عن مصادر دو كاستري

حوادث القرصنة وكتبت الى الامير عبد الله الدلائى تعرب له عن اغتباطها
بزيارة سفرائه ، وتشنى على حكمتهم ولباقتهم .

وقد تم فى 22 أكتوبر 1659 تحضير مشروع تعديل المعاهدة ويتلخص فى
سب نقط :

(1) تثبيت معاهدة 22 مارس 1657 .

(2) حماية رعايا البلاد الواطئة من أى عمل عدائى قد ينالهم من القراصنة
السللاويين .

(3) اتخاذ الجانبين موقفا وديا عند اللقاء .

(4) تحديد الاجراءات التى يجب على ضباط البحرية الهولاندية اتخاذها
عند زيارة السفن السللاوية فى عرض البحر .

(5) الزام قناصل البلاد الواطئة المقيمين فى الموانئ الاسبانية بحجز كل
سفينة سللاوية يقتادها الضباط الهولانديون ، وردها الى اصحابها .

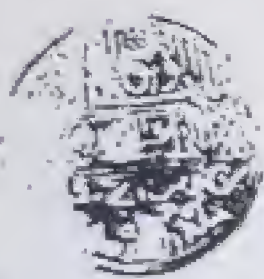
(6) تبادل المصادقة على هذه الوثيقة فى غضون ستة أشهر .

وقد وقع السفراء الثلاثة هذه الوثيقة ، كما وقعوا المذكرتين السابقتين
وكل الوثائق والرسائل المقدمة الى الولايات العامة . وكان الناطق باسمهم
طيلة المدة التى قضوها فى لاهاي هو ابراهيم الدك الذى «سجل مذكرات على
الورق ، ولم يكن يمل من الحديث عن العجائب التى شاهدها فى هذه البلاد .
وقد أجريت على السفراء نفقات باهظة على حساب الدولة ، ومع ذلك فانهم
كانوا يعملون دائما على اختصار الوقت ليتمكنهم الرجوع فى اقرب وقت ممكن
الى بلادهم ...» (57)

والى جانب هذه المفاوضات السياسية اشتغل السفراء بمسألة الطبيب،
« L'OCULISTE ISHAAC SASBOUT » وأعضوا عقدة مع طبيب العيون اسحاق ساسبوط
SASBOUT ليتوجه الى الدلاء من أجل معالجة السلطان محمد الحاج . ولكن
هذا الطبيب تراجع فى التزامه ، وأبدى كثيرا من التعنت والتذلل والاعتذار
بمرض زوجته ، فاستبدله السفراء بطبيب آخر أكثر منه كفاءة وخبرة ، يسمى
جوهن دونكارت « JOHAN DONKART » وهو جراح ماهر أجرى عليه اختبار
عمل حول العلاج الذى يطلب منه القيام به ، وذلك أمام أكبر جراح فى البلد ،
وبحضور أمير طبيب للعيون . وقد باشر جوهن بمهارة فائقة عملية استئصال
السادة لشيخ هولاندى مريض قبل أن يتوجه الى المغرب .

(57) الطبيب الهولاندى أوليفيى دابير ، الكونط دو كاسترى ، مصادر لم نشر لتاريخ المغرب ،
سلسلة البلاد الواطئة 6:604

قَسَمُ اللَّهِ بِالْحَمْدِ الْحَمْدُ
 وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا

[illegible]

وأخيرا خصصت الولايات العامة مقابلة لوداع السفراء المغاربة، وقررت أن تقدم لهم هدايا فتعطى كل سفير سلسلة ذهبية، وميدالية، وكتابا في وصف من البلاد الواطنة المتحدة، وتحملهم هدية للامير عبد الله الدلائي، هي عبارة عن كتاب مماثل بغلاف أكثر زخرفة وتنسيقا. ورجت الولايات العامة أن يعترف هؤلاء السفراء بحسن الاستقبال الذي حظوا به في البلاد الواطنة، ويعملوا في بلادهم على تسهيل قضايا الرعايا الهولانديين. ولما علمت الولايات العامة في 23 أكتوبر نبأ خروج السفراء من لاهاي، المقرر يوم 27 من نفس الشهر، أمرت أوكيل ديهايد بتشجيعهم عند مغادرتهم العاصمة، وكلفت الامين هيسلت مرافقتهم الى لندن. ثم أرسلت مبعوثا عنها في 31 أكتوبر الى امستردام يقدم الهدايا المذكورة الى السفراء المغاربة الذين كانوا يتأهبون لمغادرة البلاد الواطنة. ولكن سفرهم تأخر الى ما بعد 2 دجنبر 1659. ولما وصل السفراء الى شواطئ المغرب وجدوا الثورة قائمة ضد الدلايين في العدوتين وبلاد المغرب. واضطروا الى النزول في تطوان «المدينة الوحيدة التي ظلت وقيسة للدلايين» (58).

هـ) قضية تنصر أمير دلائي

شغلت قصة تنصر أمير دلائي بال الاوربيين مدة طويلة، وتبدلت في ثانيا عشرات الرسائل بين الشخصيات والهيئات الكاثوليكية في ايطاليا واسبانيا وفرنسا. وظهر أثر ذلك في الادب الاوربي فألفت مسرحيات في هذا الموضوع مثلت في مدارس اليسوعيين بألمانيا وبولونيا وغيرهما. وهذه القصة ان دلت على شيء فانما تدل على مدى بعد صيت الدلايين وانتشار سمعتهم في الاوساط الاوربية. ويبدو أثر الاختلاق والتلفيق واضحا في أخبار هذا الامير الدلائي المزعوم. وسأذكر باختصار هذه القصة كما أوردها الكونت دو كاستري (59) ما دامت المصادر العربية لم تعرفها ولم تتحدث عنها بشيء: في سنة 1651 أعلن في جزيرة مالطة (60) عن ركوب حجاج مغاربة في سفن انجليزية، وخروجهم من ميناء تونس قاصدين مكة المكرمة. وفي الحين

(58) من رسالة وجهها السفراء المغاربة الى الولايات العامة في 20 يوليوز 1660. دو كاستري، سلسلة وثائق البلاد الواطنة. 620:6

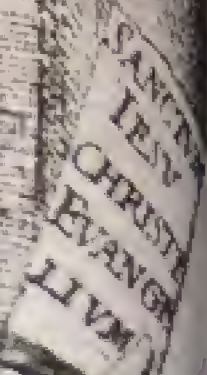
(59) دو كاستري، وثائق فرنسا، السلسلة الاولى. 203:1 وما بعدها

(60) مالطة إحدى جزر البحر المتوسط تقع غربي تونس، وقد سلمها ملك اسبانيا شارل كان CHARLES QUINT (1500 - 1558) الى فرسان جزيرة رودس سنة 1530 لمقاومة الاتراك في البحر ثم صارت مالطة مستعمرة انجليزية منذ مطلع القرن التاسع عشر وأحرزت على الاستقلال سنة 1962 ضمن دول الكومنويلث

أبحرت من الجزيرة سفن شراعية كبيرة للتجديف GALERES بقيادة الضابط البحري بلطزار ديماندولس BALTHAZAR DE-MENDOLS وهو راهب كاثوليكي شتغل بالقرصنة في البحر الأبيض المتوسط ضد المسلمين . واعترض بلطزار طريق السفينة الانجليزية وأسر كل من كان على ظهرها من الحجاج ، واقتادهم إلى مالطة حيث أودعهم سجن الميناء BAGNE الذي يدخل إليه المحكوم عليه بالانفعال الشاقة (61) وكان من بين هؤلاء الأسرى شخص ممتاز يعمل على حفظ حقيقته ، حتى لا يقع التخلي في ثمن فدائه . وقد استطاع هذا الأسير أن يحصل من باي تونس على أربعين ألفاً من نقود ايكوس ECUS (62) المحددة لتحريره هو وزملائه . وعندما أخذ هذا الشخص الممتاز يتأهب للسفر إلى تونس يوم 11 يونيو 1656 حدثت صعاب غريبة منعتهم من ركوب البحر ، واضطر للمبيت عند الرئيس ديماندولس « DEMENDOLS » الذي كان يوليه كثيراً من العطف . وفي الليل حدثت المعجزة ! ورأى في منامه حلماً عجيباً دعاه إلى الزدة ، وأعلن في صباح الغد رغبته في التنصر . ولما مثل بين يدي الرئيس الأكبر بول ديلاسكارى LE GRAND MAITRE PAUL DE LASCARIS CASTELLAR عرف بنفسه ، وقال انه أمير مغربي اسمه محمد من أبناء سلطان الدلاء . فعلم الديانة المسيحية في بيت اليسوعيين بواسطة ترجمان يسمى جان باري « JEAN-PARIS » وعمد في مهرجان كبير يوم 31 يوليو 1656 وأخذ اسم الضابط الذي أسره وصار يسمى « بالطاراز لوانولا مانديز » « R.P. BALTHAZAR LOYOLA MENDEZ » وتطور أمر هذا المتنصر ورسخت قدمه في الكاثوليكية حتى أصبح راهباً كبيراً وداعية للديانة المسيحية ، وانتدبته هيئة المبشرين لتشر الدعوة النصرانية في بلاد الهند . وتقرر أن يبحر من لشبونة في بلاد البرتغال ويعرج في طريقه على مدينة الجديدة لتشر الدعاية المسيحية في أوساط المغاربة قبل التحاقه بالهند . وهنا تتكرر معجزة تعذر ركوب البحر

(61) كانت مثل هذه السجون معروفة في المراكز القرصنية ، وتسمى في المغرب بالمطامير أو الإهراء وقد ذكر المؤرخ محمد بن علي الدكن في كتابه عن الراباطات انه وقف في الدار البيضاء على هري عظيم مشرف على المرسى قرب ضريح سيدي بليوط . وقد نقشت بحيطانه وأقواسه الحجرية ورؤوس أسطر بالخط البرتغالي تتضمن أسماء سجن من الأسرى اختطفهم قرصان سلوى لأسباب مجهولة من ميناء لشبونة بالبرتغال في دولة السلطان محمد بن عبد الله العلوي . وأودعهم هذا السجن المؤبد . وزاد المؤرخ الدكالي أن الفرنسيين نقلوا أنقاض هذا الهري إلى الثكنة العسكرية خارج الدار البيضاء ، وأعادوا بناء الهري على الصورة التي كان عليها من قبل .

(62) ايكو ECUS عملة فضية قديمة . أول من ضربها الملك الفرنسي سان لوي (1215-1297) وهو يساوي ثلاث ليرات « LIVRES » في أقل حالات صرفها . وهناك أيضاً نوع « آخر منها يساوي ست ليرات



SCHEIN KAM
DAT TAZITH
NAHMOLE
HAMED KED
F. 10. 11. 12. 13.
mit Mahomed
Sigen. 14. 15. 16.
17. 18. 19. 20.
21. 22. 23. 24.
25. 26. 27. 28.
29. 30. 31. 32.
33. 34. 35. 36.
37. 38. 39. 40.
41. 42. 43. 44.
45. 46. 47. 48.
49. 50. 51. 52.
53. 54. 55. 56.
57. 58. 59. 60.
61. 62. 63. 64.
65. 66. 67. 68.
69. 70. 71. 72.
73. 74. 75. 76.
77. 78. 79. 80.
81. 82. 83. 84.
85. 86. 87. 88.
89. 90. 91. 92.
93. 94. 95. 96.
97. 98. 99. 100.

على الراحب بلطازار لوابولا !! ويرجع من لشبونة ليسلك في سفره طريق البحر ، ولكنه لم يكد يصل الى مدريد حتى توفي بالطاعون في 15 شتنبر 1667. ذلك هو مجمل الحياة المسيحية المعروفة للراحب بلطازار لوابولا ، أما أصله وحياته السابقة في الاسلام فليست الا مجرد رواية وتخمين - باعترااف المصادر الاوربية نفسها - ولم تسفر الابحاث التي أجريت في مالطة وروما وفلورنسا ومدريد وغيرها من المدن التي دخلها هذا الراحب عن أي برهان يثبت صحة نسبه الدلائي ، أو حقيقة حاله فيما قبل الاسر . وقد عاد الاوربيون الى افتراض انه حفيد للسلطان محمد الحاج بعد أن كانوا يقولون انه ابنه مباشرة . وزعموا أن هذا المتنصر كان ابنا لمحمد بن محمد الحاج الذي خلف اخاه أحمد في اماره فاس من عام 1664 الى 1654/1670 - 1660 . وادعوا ان المتنصر تولى اماره فاس مدة بعد وفاة والده في انتظار أن يصير سلطان المغرب في يوم من الايام .. وكل هذه الافتراضات باطلة اذ كان الامير محمد بن محمد الحاج ما يزال حيا في سنة 1651 التي أخذ فيها هذا الاسير المتنصر ، بل ان محمد بن محمد الحاج لم يتول اماره فاس الا بعد ثلاث سنوات من تاريخ الاسر ، وامتدت حياته الى سنة 1660 . هذا بالاضافة الى أن أسيرة الدلائين في ذلك العصر كانت من الشهرة والنباهة بحيث لا يخفى فرد منها على المؤرخين والنسابة المغاربة . وقد عاصر الدلائين خصوم ومنافسون كثيرون من السعديين والعلويين وشيعتهم ، ما كانوا ليسكتوا عن التشهير بهم لو كان أمر المتنصر حقيقة واقعة . ونحن نعلم أن خصوم الدلائين عيروهم بأصلهم البربري ، وفجحوا عليهم اطعامهم الضيوف ، وتصدرهم المجالس وارتقاءهم المناظر بعد الضعة والخمول ، فكيف كانوا يغمضون الطرف عن سمية التمسح والمروق من الدين لو كانت !

ويرى المؤرخ السلوي محمد بن علي الدكالي (63) أن هذا المتنصر ليس الا علجا من ممالك الدلائين ، ادعى عندما أسر انه أمير دلائي لتحصل له العظوة عند النصاري ، أو لينجو من العقاب الصارم الذي كان يتعرض له كل مسيحي ثبت عليه انه اعتنق الاسلام . ويعتقد المؤرخ السلوي ان هذا المتنصر هو مملوك الحاج ابراهيم الخياط خديم الامير عبد الله الدلائي الذي أسره البولنديون في سفينة الرئيس علي مرشيك وباعوه في جبل طارق . وهذا لا يصح لما عرفنا من أن أخذ سفينة الرئيس مرشيك كان يوم فاتح شتنبر 1957 ، في حين كان أسر المتنصر قبل ذلك بست سنوات ، أي خلال سنة 1651 . على أن حوادث الاسر كانت متعددة ، والاسرى من الممالك وغيرها كثيرون ، ولا

بعد أن يكون على أي حال هذا المختصر من قدماء العلوج المسيحيين الذين سبق أن ملكهم بعض المسلمين من الدلائيين أو غيرهم ، كما يظهر ذلك من ملامح الراعب بلطازار لوايولا مانديز (64) .

3 - الدلائيون في فاس

لما استولى محمد الحاج على مدينة فاس (عام 1051 - 1047) عقب مقتل المجاهد العياشي ، ولي عليها القائد أبا بكر التاملي ، واسند القضاء الشرعي إلى أحمد الأزموري (65) والفتيا إلى محمد بن سودة (66) . وكانت فاس إذ ذاك تشمل على ثلاث مدن متميزة : المدينة الجديدة البيضاء أو فاس الجديد ، وعدوة الاندلس وعدوة القرويين أو فاس القديم . وكان يتولى أمر كل من العدوتين رئيس من أعيانها . وقد توارث آل الليريني الأندلسيون رئاسة عدوة الاندلس بفاس ، وأول من ولاء الدلائيون أو أقرؤ في هذا المنصب من أفراد هذه الأسرة هو عبد الكريم الليريني . ولم تنزع أسرة معينة - على ما يظهر - عدوة القرويين ، والحاكم الذي تولى أمرها على عبد الدلائيين هو ابن الصغير . وكانت مقاليد المدن الثلاث بيد المتولي على فاس الجديد دار الإمارة ومعقد الديوان ، ويعتبر قائدا العدوتين مساعدين له يزوران في قصره كل صباح ، ويتشاوران معه في مهمات الأمور قبل الرجوع إلى مقر عملهما لمباشرة الأعمال العادية وتنفيذ الخطة المتفق عليها .

وهكذا كان أبو بكر التاملي القائد المسؤول عن مدن فاس في السنوات العشر الأولى من إمارة الدلائيين (1051 - 1060/1041 - 1050) وهو وإن استقر في فاس الجديد ، فإنه لم يسكن قصر الإمارة الذي تركه الدلائيون لأبناء الشرفاء السعديين احتراماً منهم لآل البيت النبوي الكريم . ولم يغادر السعديون هذا القصر إلا على يد السلطان الرشيد بن الشريف (67) وعرفت

(64) أنظر صورة الراعب بلطازار في المروحة رقم 15

(65) القاضي أحمد بن محمد بن علي الأزموري ، الشيخ ، المحقق الفقيه كان أعجوبة الدنيا في الحفظ والفهم كثير الاستشهاد في التدريس . توفي في جمادى الثانية 1057/ يوليو 1047

الحفظ والفهم كثير الاستشهاد في التدريس . توفي في جمادى الثانية 1057/ يوليو 1047

أنظر ترجمته في : محمد الكتاني ، سلوة الانفاس ، ج 2 ، ص 70

(66) الفقيه محمد بن محمد بن أبي القاسم ابن سودة . استاذ الزاوية الدلائية . تقدمت ترجمته في الباب الثالث . وقد ولاء الدلائيون بعد ذلك القضاء في فاس عام 1057/1047

(67) أبو القاسم الزياني . رسالة البلدين ، ص 479 . وورد في منشأة البجلي وزير السلطان اسماعيل (ج 2 ، ورقة 176/ب) أن بنات الشرفاء السعديين خرجن من قصر الإمارة بفاس الجديد عام 1066 . وهكذا تنفق الروايتان على بقاء السعديين في قصر الإمارة في معظم السنوات التي كانت فاس فيها تابعة للدلائيين . وإن كان البجلي قد حدد لخروج الشريقات تاريخاً متقدماً قليلاً عما ذكره الزياني

فاس في هذه الفترة عهدا سعيدا امتاز بالطمأنينة والاستقرار ، لكن هذا الصفاء لم يلبث أن تكدر بسبب الخلاف الذي نشب بين القائد التاملي ورئيسي المدونين وتطور الخلاف الى نزاع مسلح ، فقامت الحرب على قدم وساق بين الدبنتين الفاسيتين الجديدة والقديمة ، وقطع القائد التاملي النهر عن المدينة القديمة وحرم خصومه من الماء وضيق عليهم الخناق ، فاستنجد أهل فاس القديم بمحمد بن الشريف صاحب سجلماسة الذي لبي دعوتهم مسرعا ، وقبض على القائد التاملي وزج به في السجن . غير أن محمد الحاج الدلائي ما كاد يتم بحلية الامر حتى زحف الى فاس في جيش قوى من البربر ، والتقى بمحمد الشريف في المكان الذي يسمى (ظفر الرمكة) بضاحية فاس ، ولم يثبت ابن الشريف في المعركة الا يوما أو بعض يوم ثم رجع الى سجلماسة ؛ فتحصن الفاسيون الذين كانوا معه في مدينتهم القديمة ، وضرب عليهم القائد أبو بكر التاملي الحصار مدة طويلة ، هلك أثناءها عميد الكريم الليريني رئيس عدوة الأندلس وغيره من أعيان البلد ، وأخيرا استسلمت المدينة ورجعت الى طاعة الدلائيين .

(أ) أحمد بن محمد الحاج الدلائي أمير فاس

رأى السلطان محمد الحاج - بعد القضاء على الفتنة التي قامت في فاس - أن يولى على هذه المدينة ابنه الثاني أحمد . فأقامه نائبا عنه في مدن فاس الثلاث وما يليها من البلاد . واستقر الأمير أحمد الدلائي في المدينة البيضاء (فاس الجديد) ، واشتغل في أول عهده بتصفية الجو وتبعية رؤوس الفتنة الذين كانوا قد لجؤوا الى ضريح المولى إدريس ، واحتتموا ببعض الشرفاء الجوطيين . وكان ضريح الشيخ محمد بن عباد (68) داخل باب الفتوح قد تهدم ولم يبق منه الا الجدار الشرقي ، فجدد الأمير أحمد الدلائي بناءه ، وجعل على القبر سقيفا . وأعطى كاتبه محمد (المدعو حم) الطاهري حق التصرف فيما يحمل لهذا الضريح من الهدايا والصدقات ، وكتب له بذلك ظهيرا بقي بيده وبيد عقبه . ولم يكن الأمير أحمد الدلائي رجل حرب وكفاح ، ولم تتوفر له صفات البطولة التي كان يتحلى بها أبوه وأخوه عبد الله . فكثر بسبب ذلك عيث القبائل المجاورة لفاس وفسادهم ، ولا سيما قبيلة الحياينة التي طغت ورجعت الى سالف عهدها في السلب والنهب . ولما لم يجد أهل فاس غناء في أميرهم

(68) الشيخ محمد بن عباد النفزي الرندي تلميذ الشيخ أحمد بن عاتق السلاوي ، هو امام الفرويين وخطيبها ، ومؤلف الشرح المشهور لحكم ابن عطاء الله ، وغيره من الكتب في مختلف الفنون . كانت وفاته عام 1390/792 . انظر ترجمته مسهبة ، واخبار تجديد ضريحه في : محمد بن جعفر الكتاني ، سلوة الأنفاس . ج 2 ص 142/133

أحمد ، توجيت جماعة منهم الى والده في الدلاء تحمل اليه الفتاوى القاضية
شروعية قتال الاعراب المحاربين ، وترجو منه أن يحمي فاسا من المعتدين
عليها . فكان ذلك سببا في الحملة التأديبية الكبرى التي قادها محمد الحاج
نفسه ضد قبيلة الحياينة كما سبق . ولم يطل مقام الامير أحمد لدلائى فاس
فاس الا ثلاث سنين وبضعة أشهر ، اذ توفى في ربيع الاول 1064/1051 .

(ب) محمد الدلائى يخلف أخاه في اماره فاس

يمتاز الامير محمد بن محمد الحاج الدلائى بالعلم والادب وحسن الخلق ،
وقد خلف أخاه أحمد في اماره فاس وما والاها من أعمال المغرب . وسار مع
الناس بسيرة حميدة ، وأمور سديدة (69) ولم تجد علينا المصادر بأكثر من
ذلك فيما يخص الأعمال التي قام بها هذا الامير في مدينة فاس ، اللهم الا ما
كان من تجديده ضريح ابن عباد الذي بناه أخوه أحمد ، وذلك «بعد أن احترق
تسعة ، ومات كثير من الناس ممن كانوا يطفئون النار» (70) وهذه النهاية
في اثر الوحيد الذي بقى حتى اليوم مما شيده الدلائيون في فاس . ونحن
لاستطيع بهذه المعلومات الضحلة أن نأخذ فكرة واضحة عن الامير محمد
الدلائى ، لكن يمكن أن نعتقد بأن حظه من الفروسية والنجدة والحنكة السياسية
لم يكن بأوفر من حظ أخيه أحمد . اذ لم يستطع خلال السنوات الست التي
نضاعا في عمالة فاس أن يفرض احترام السلطة الدلائية في المدينة ولا في
خارجها ، وقام ثوار في الاقاليم الشمالية التي كانت تابعة له دون أن يحرك
ساكنا أو يحاول معارضتهم والضرب على أيديهم .

وكان للدلائيين علاقة مصاهرة بأسرة الشرفاء القارديين (71) فأعطوهم
حق التصرف في فتوحات (72) ضريح أبي الحسن بن حزم (73) الامر الذي

(69) سليمان الحوات . البدور الزاوية . ورقة 240/ب

(70) ابو عبد الله الضعيف . تاريخ الضعيف . ورقة 12/ب . وقد ذكر خبر احتراق ضريح
ابن عباد وتجديده أيضا محمد بن الطيب القادري في نشر المثاني الكبير . ورقة 112/ب

(71) عرفنا في الباب الثالث أن أحمد بن عبد القادر القادري تلمذ الزاوية الدلائية فزوج بنت
الشاذلي أخ السلطان محمد الحاج . وتزوج بعد ذلك أخوه غلال بن عبد القادر القادري
- جد محمد بن الطيب القادري صاحب كتاب نشر المثاني - بنت أحمد بن صالح الميريني
الذي تولى قيادة فاس من قبل الدلائيين

(72) المراد بالفتوحات الهدايا التي تقدم لضريح الولي من مال وشمع وزيت وماشية الخ
أبو الحسن بن حزم (بكر الحاء وسكون الراء ، بعدها زاي مكسورة) حرف اسمه الى
(عرازم) . عالم كبير ، وصوفي شهير ، ولد ونشأ في فاس ، وتلمذ على القاضي أبي
بكر بن العربي ، والشيخ أبي يعزى . توفى في شعبان 559/يوليوز 1164 . وابنه محمد
هو المعروف اليوم بسيدى حرازم . في الحمة ذات المياه المعدنية الشهيرة بضاحية فاس

أثار حتى بعض الاسر الفاسية فأخذت تكيد للدلائيين وتعمل على التخلص منهم . ولم يكن هؤلاء وحدهم خصوما للنظام القائم ، وإنما كان يشاطرهم هذا الرأي كل الذين أصيبوا بسوء في حوادث قمع الثورة الأخيرة ، وهم كثيرون . وداخل هؤلاء الخصوم رئيس احدى الفرق العسكرية الدلائية المربطة في فاس ، وهو القائد أبو عبد الله الدريدي ، وربط معه رئيس عدوة الاندلس أحمد بن صالح الليريني علاقات المصاهرة ، وتم التماس على اغتيال الامير محمد الدلائي بالسسم (ربيع الثاني 1070/1659) . وقد حمل عثمان الامير محمد الى الدلاء ودفن في الزاوية القديمة . واستخلف السلطان محمد الحاج علي فاس حفيده أحمد بن عبد الله (74) وكان ما يزال حدثا صغيرا ، فرجع بعد قليل الى الدلاء ، ومعه كل ما كان في قصر عمه بفاس الجديد عن العيال والحشم والعبيد . واستقدم السلطان محمد الحاج الى الدلاء جماعة من أعيان فاس تزيد على مائة رجل فويخهم على غدرهم بولده محمد ، وزج بهم في السجن أياما ، ثم بعثهم لفاس الجديد مكبلين فذبحوا جميعا (75) ومهدت هذه المذبحة السبيل أمام القائد الدريدي الذي أعلن نفسه حاكما على فاس الجديد ، وآزره في ذلك صهره لليريني في عدوة الاندلس ، وابن الصغير رئيس عدوة القرويين ، وقطعت فاس بذلك صلتها بالدلائيين . وسمرى في الباب التالي التطورات التي طرأت على العلاقات بين الدلاء وفاس ، ونهاية هؤلاء الرؤساء الثلاثة .

4 - آثار الدلائيين

أ) المباني في الدلاء وفاس

شيد الدلائيون كثيرا من المباني سواء في العهد الاول الذي انحصر اعتمادهم فيه بالناحيتين الصوفية والعلمية ، أو في عهدهم السياسي الاخير . وكان من أبرز مآثرهم العمرانية الاولى الزاوية الدلائية القديمة التي أسس مسجدها الشيخ أبو بكر الدلائي حول عام 974/1566 ثم بنى فيها المدرس والدور والاسواق حتى صارت قرية آهلة بالسكان ومركزا علميا ممتازا . وبنى الشيخ أبو بكر أيضا بالقرب من الزاوية الدلائية جسرين على نهر أم الربيع يسمى أحدهما قنطرة (أمسدل) - بتشديد الدال المفتوحة - والآخر قنطرة (معرض القان) أي مطحنة الخنازير . ولما أفضى الامر الى محمد الحاج الدلائي

(74) أحمد الدلائي هذا هو الذي سيتزعم ثورة البربر أيام السلطان اسماعيل
(75) أبو عبد الله الضعيف ، تاريخ الضعيف ، ورقة 1/8 ، انظر تفاصيل محنة أعيان فاس في سليمان العوات ، الدور الضاوية ، ورقة 205

ليس في سفح الاطلس المتوسط عام 1638/1648 مدينته العظيمة التي جعلها على مثال مدينة فاس بأسوارها الفخمة المسننة ، ومبانيها المنفذة في جميع الشلال بواسطة أنابيب تحت الأرض ؛ وشيد في وسطها القصر والديوان . وكانت عاصمة الإمارة الدلائية زهاء ثلث قرن . ثم بنى محمد الحاج بالقرب من مدينته ثلاثة جسور على روافد نهر أم الربيع يظن أنها هي قنطرة (أسيف - باب زمور) وقنطرة (خلطة) - بتشديد اللام - وقنطرة تاحيزونست أي لمرجاء . وكلها «في غير الطريق الرئيسية بين مراكش وفاس بل هي في طريق ثانوية تخرج بالمنتجعين من الأراضي الجبلية للازاهرة فلذلك لا تعرف إلا عند الأهالي ...» (76) وسنرى في الباب التالي السلطان الرشيد بن الشريف بسط معاول الهدم على الزاويتين الدلائيتين ليتركهما قاعا صفصفا إلا آثارا يسيرة استطاعت أن تنال نواثب الدهر . وكان لمحمد الحاج الدلائلي كثير من الآثار العمرانية في مدينة فاس أخى الزمن كذلك على أكثرها حتى لم يعد الآن معروفا منها - فيما أعلم - إلا ضريح ابن عباد داخل باب الفتوح ، وهو اليوم غير مسقوف لم يبق منه إلا لباب والصور الخارجي (77) ، «وبنى (محمد الحاج) السقاية التي بفاس الجديد قرب باب السبع ، وبنى المقبرة التي بها مولاي عبد الله مدفون ، وبنى المدرسة التي هنالك ، والقبعة التي على سيدي عبد الرحمن الشريف بباب عجيسة . ودار الضيوف التي على نهر وادي الجواهر ...» (78)

ب) النقود الاشقوبية

إذا كنا لا نعرف أصلا لكلمة (أشقوب) التي تسبب ليها النقود الاشقوبية ولا ندري ان كانت محرفة عن الشقوب التي هي - لغة - كل مهواة بين جبلين أو صعد في كهوف الجبال ، فإنا لانستطيع كذلك أن نجزم بأن الدلائيين هم الذين ضربوا هذه السكة لعدم العثور على نص صريح في الموضوع . على أن الترائن التاريخية تؤيد أن هذه النقود دلائية ، فقد ظهرت الاشقوبية عام 1658 - 57/1668 ووقع التعامل بها في المغرب ولا سيما في فاس التي كانت تحت نفوذ الدلائيين ، وظلت منذ هذا التاريخ السكة الرسمية في البلاد الى أن حلت محلها النقود التي ضربها السلطان الرشيد بن الشريف عام 1680/1670 - 69 .

أحمد بن قاسم المنصوري ، تاريخ زيان ، فصل القناطير والأناصير على نهر أم الربيع مخطوط المؤلف غير مرقم

أنظر المرحلة رقم

عبد الودود التازي . نزعة الاخيار المرضيين . ورقة 1/4 . وفيما يخص (دار الضيوف) التي على نهر وادي الجواهر ارجع الى ص 29 من هذا الكتاب



ضريح ابن عباد داخل باب الفتوح بفاس
من بناء الأمير محمد الدلائي

تصوير المؤلف

وكانت النقود الاشقوبية هذه مربعة الشكل . مصنوعة من فضة مخلوطة
نحاس . ووزن الدرهم الاشقوبي عشرون حبة وأربعة أسباع الحبة من حبوب
التمر المعمول بها في الوزن (79) أى أقل من نصف الدرهم الشرعى السنى
ون خمسين وخمسي حبة . والاوقية الاشقوبية ثمانون فلسا من النحاس .
والدرهم ثلاث موزونات وثلاث ، في كل موزونة أربعة وعشرون فلسا . ثم
صارن الموزونة تعدل ضعف ذلك أى ثمانية وأربعين فلسا اشقوبيا ، الى ان
عبرت الرشيدية سنة ثمانين فطرحت السكك كلها ولم يبق معاملة الا
بالرشيدية ، وصارت (الاشقوبية) تجوز في أربعة وعشرين فلسا عند ضرب
النفس المستديرة في جمادى الثانية سنة احدى وثمانين وألف ... (80)

الباب السادس

نهاية الزاوية الدلائية

١ - بدء انتفاض الاطراف على الدلائيين

(أ) ثورة الخضر غيلان في الشمال

(ب) زوال نفوذ الدلائيين من فاس

(ج) قضية البلديين في فاس

٢ - الثورة ضد الدلائيين في سلا والرباط

(أ) عوامل الثورة

(ب) حصار عبد الله الدلائي في القصبة

(ج) هل حاول الدلائيون تسليم القصبة الى دولة أوربية ؟

٣ - القضاء على الزاوية الدلائية - تخريبها

(أ) ظهور السلطان الرشيد بن الشريف العلوي

(ب) استيلاء الرشيد على فاس

(ج) معركة (بطن الرمان) - تخريب الزاوية الدلائية

١ - بدء انتفاض الاطراف على الدلائيين

(١) ثورة الخضر غيلان في الشمال

الخضر غيلان مغربي من بني جرفط القبيلة العربية التي تسكن بين العرائش وتطوان ، وليس هو من الموريسكيين المهاجرين من الاندلس كما يدعيه بعض الاوربيين . كان غيلان من أكبر مساعدي المجاهد العياشي والمقدم على الغزاة في بلاد الهبط ، ثم اعتصم بجبال الريف بعد موت رئيسه العياشي ، وظل يراقب الدلائيين ويترصد بهم الدوائر ، الى أن وافته الفرصة خلال عام 1652/1653 - 1653 فانقض على مدينة القصر الكبير واستولى عليها ، وقتل فيها علي بن أحمد الذي اغتال المجاهد العياشي . وأخذ الخضر غيلان يوسع دائرة نفوذه شيئاً فشيئاً ، ويغير على المدن والقبائل الخاضعة للدلائيين ، وصول ويجول في المنطقة الواقعة بين القصر الكبير وفاس . ولما رقت قبيلة شراكة في وجهه ، وكانت من أقوى القبائل في شمال فاس واشدّها شوكة ، حاربها الى أن قل حداثها ، وأوقع بها هزيمة منكرة ، وانتهب حطبها وخيامها ، «فدخلوا فاسا مسلوبين منتصف جمادى الاولى عام 1070» (١) وقد انتشر نفوذ غيلان في مناطق الشمال ، خصوصاً عند قبائل الهبط التي كان يرأسها في حركات الجهاد أيام الرئيس محمد العياشي وانضم اليه جماعة من الفاسيين الناقمين على الوضع القائم في مدينتهم ، واجتمع عليه أعراب الغلط وغماره وسائر القبائل التي كانت ترغب في التخلص من سيطرة الدلائيين ، أو تسعى في الانتقام منهم على ما ألحقوا من أذى بمجاهدي الغرب ورئيسهم العياشي .

أعلنت أخبار الثورة في الشمال بالسلطان محمد الحاج الدلائي ، فأخذ يجهز لملاقاة خصمه غيلان في معركة حاسمة . ولم يكد ينتهي شهر الصيام من عام 1070/يونيه 1660 حتى خرج محمد الحاج من مدينة الدلاء على رأس جيش حرار من البربر ، قوامه 80.000 رجل ، وتقدم يغزو السير الى أن وصل الى مولاي بوسلهام في بلاد الغرب . وهناك على ضفة وادي بوحريرة أحد روافد المرجة الزرقاء ، وجد الخضر غيلان ينتظره ، وقد اعصوبت عليه قبائل الغرب من أنصار المجاهد العياشي القدماء ، ودارت بين الفريقين معركة رهيبة ، لم تكن فيها وفرة جموع الدلائيين عنهم شيئاً ، فولوا الادبار ، ولاذوا بالفرار . وقد مزلت فلولهم المهزومة ببلاد الغرب وتأسست تحمل الى الناس البرهان واضع على الانتكاسة الخطيرة التي أصابت امارة الدلاء ، والضعف الفاضح

الذي نزل بها . فازدرت بها العيون ، وزالت هيبتها من القلوب . وكانت افادة الخضر غيلان من هذه المعركة الفاصلة مزدوجة ، فبالاضافة الى الاسلاب التي امتلأت بها أيدي أتباعه وأنصاره ، تالق نجمه من جديد ، وانتشر ذكره في أوساط القبائل . واستطاع أن يستبد بشمال المغرب كله في ظرف وجيز ، ولم تمنع عليه الا مدينة تطوان ، فقاومه حاكمها المقدم عبد الكريم النقسييس الذي ظل وفيًا للدلائيين الى آخر حياته . ولم يستطع غيلان أن ييسط نفوذه على تطوان الا بعد أن أيس حاكمها الجديد أحمد بن عيسى النقسييس الحفيد (2) من وصول نجدات الدلائيين اليه . وانبرم الصلح بين الطرفين عام 1672/1662 على أن يظل أحمد النقسييس حاكما لتطوان ويقدم لغيلان عددا معينا من الجنود يساعده في حركاته الجهادية .

ورأى الخضر غيلان أن يعزز موقفه ، ويضمن المكاسب التي حصل في الشمال ، بالتحالف مع المسيحيين الذين كانوا يحتلون الشواور المغربية المحيطة به ، فاتفق مع الحاكم الاسباني لمدينة سبتة (المركيز ديلوص اركوس) MARQUISE DE LOS ARCOS . وعقد معه في أوائل سنة 1661 اتفاقية يقدم غيلان بمقتضاها الى حاكم سبتة 10.000 من الجنود المشاة ، و 2000 من الفرسان على أن يدافع عنه المركيز ضد جميع خصومه (3) . وظل غيلان في نفس الوقت يحافظ على علاقاته الطيبة مع انجلترا ، وأبى أن يعارض في نزول الانجليز بطنجة عندما قدمت الاميرة البرتغالية (كاترين) هذه المدينة مهرا لزوجها شارل الثاني ملك انجلترا ، ولم يتدخل غيلان في ذلك بالرغم من الحاج الاسبانيين - مراعاة لمصلحتهم الخاصة طبعاً - وحشهم اياه على أن يحول دول تنفيذ هذا المشروع بصفة مباشرة (4) .

وقد توطدت أواصر الصداقة بعد ذلك بين غيلان والانجليز ، فساعده في حربه ضد الدلائيين ، في نفس الوقت الذي كان الاسطول الانجليزي يتصل بالامير الدلائى المحاصر في القصبه ، ويقدم له المؤنة والذخيرة أملا في أن يسلم اليه هذا الحصن . ولم تكن أطماع الانجليز في الاستيلاء على قصبه سلا وليدة

(2) هناك مقدمان من حكام تطوان يسمى كل منهما أحمد بن عيسى النقسييس . أولهما أحمد الجد الذي كان يحارب النصارى في سبتة أيام السلطان أحمد النصور الذهبي . وكانت وفاته عام 1622/1631 . والثاني هو أحمد بن عيسى النقسييس حفيد أحمد الاول . وقد تولى حكم تطوان عام 1660/1671 - 1661 . وظل بها الى أن قبض عليه السلطان الرشيد ابن الشريف العلوي عام 1667/1678 . انظر تفاصيل اخبار هذين المقدمين عند محمد داود ، تاريخ تطوان . القسم الثاني من المجلد الاول . ص 236 وما بعدها .

(3) الكونت دو كاستري . مصادر لم تنشر لتاريخ المغرب . سلسلة فرنسا الثانية . 24:1

(4) نفس المصدر . ص 23

هذا التاريخ فحسب ، وإنما حاولوا أن يستولوا عليها لأول مرة من يد
الموريسكيين المحاصرين من طرف المجاهد العياشي . وكاد الاميرال (بلاك)
L'AMIRAL BLAKE « قائد الاسطول الانجليزى أن يستلم القسبة من
أيديهم لولا أن تأخر ورود التعليمات اللازمة من حكومته ، بسبب الاضطرابات
الداخلية القائمة اذذاك فى انجلترا . وبعد أن تمكن الانجليز من مدينة طنجة
أبرموا مع غيلان سنة 1664 معاهدة ود وتحالف سعيها وراء تحقيق مطامعهم فى
الاستحواذ على قسبة سلا التى كانت قد دخلت تحت نفوذه ، ثم بعد سنتين
عززوا هذه المعاهدة بأخرى توطد أواصر الصداقة والتعاون بين الطرفين .
وعكذا أصبح المجاهد الثائر الخضر غيلان شخصا وديعا مسالما لخصومه
السابقين ، بل حليفا للجانب الذين يحتلون بلاده ، يوقع معهم معاهدات الود
والتعاون ، رغبة منه فى تثبيت نفوذه ، ومساندته للتغلب على منافسيه من
بنى قومه . وكانت نهاية غيلان - عفا الله عنه - القتل على يد السلطان
اسماعيل العلوى عام 1673/1084 .

(ب) زوال نفوذ الدلائيين من فاس

ظلت فاس خاضعة للدلائيين نحو عشرين سنة (1051-1070 1641-1660) تحت
امرة القائد أبى بكر التاملى ، ثم الاميرين الدلائيين أحمد ومحمد كما
سبق . وبعد ذلك خالفت فاس الدلائيين ؛ واجتازت الثورة الفاسية خلال
السنوات الست التالية ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى (من عام 1070 الى عام 1073 / 1600 - 1663) وفيها انفصلت
فاس عن الدلائيين ، تحت تأثير ثورة الخضر غيلان بالشمال . وقد التحقت
طائفة من الفرسان الفاسيين بمدينة القصر الكبير لمساندة ثورة غيلان بينما
أخذت طائفة أخرى تعمل للقيام بانقلاب داخلى فى فاس . وجاءت المذبحة
الرعبية عقب وفاة الامير محمد الدلائى ، فأحدثت ألما كبيرا واستياء عميقا فى
نفوس الاسر المنكوبة فى رجالها وأبنائها واقاربها ، وفى نفوس السكان عموما ،
حتى أن الامير الصغير أحمد بن عبد الله الدلائى الذى عينه جده السلطان
محمد الحاج نائبا عنه فى فاس ، رأى أن الظروف لم تعد مواتية لاقامته فى
هذه المدينة التى أصبحت تتأجج حقدا على أسرته ، فكر راجعا الى الدلاء .
وعكذا انفسح المجال أمام القائد أبى عبد الله الدريسي (5) ليتزعم أمر
فاس الجديد ، ويعمل باتفاق مع رئيسى العدوتين فى المدينة القديمة على

(5) أبو عبد الله الدريدى كان رئيس جماعة من اخوانه دريد من العرب الهلالية فى ديسوان
السعديين الى أن دخلت فاس فى طاعة الدلائيين ، فانهط الدريدى وقومه فى جندهم
وظلوا يرايون فى هذه المدينة مع حاميتها الى أن نادوا على الدلائيين عام 1070/1660

الاستقلال بالامر في هذه المنطقة ، وقطع كل علاقة لهم بالدلائيين . ولم تمض سنتان على هذا الانفصال حتى قام الدلائيون بمحاولة استرجاع العاصمة الادريسية ، وقاد الامير عبد الله الدلائى جيشا قويا زحف به الى فاس (رمضان 1072 / ماي 1662) وحاصرها عشرة ايام دون أن تفتح له أبوابها ، أو يجرو قوادعا على مبارزته وقتاله . ولم يجد عبد الله بدا من الرجوع على عقبه بعد أن أهلك حرث الفاسيين ، وأفسد زرعهم خارج المدينة .

المرحلة الثانية (1073 - 1074 / 1663 - 1664)

عادت فاس في هذه الفترة تلقائيا الى طاعة الدلائيين . إذ لم يكن للدريدي ومن معه من الرؤساء المستبدين من الكفاءة السياسية والحربية ما يؤهلهم للذود عن المدينة وأهلها ، ولرد عادية المغيرين عليها . خصوصا في تلك الفترة التي كانت الفوضى ضاربة أطنابها في المغرب بصفة عامة ، ولاسيما في المناطق التي أخذ ظل الدلائيين يتقلص منها . وكثر عيث قبيلة الحياينة وفسادها ، وضاق الفاسيون ذرعا ببغيها ، فخرجت جماعة منهم الى الدلاء ، فقتلوا للسلطان محمد الحاج عما بدر منهم من عناد وعصيان ، وترجوه أن يعيد الأمن والطمأنينة الى مدينتهم التي أصبحت تعيش في جو من الخوف والاضطراب . فعلا خرج السلطان محمد الحاج الى قرية آزرو (صفر 1074 / شتنبر 1663) وغرب خيامه فيها حيث مكث نحو شهر ينظر في شؤون الرعية ، ويتخذ الاجراءات الكفيلة بتأمين السبل وحفظ النظام في الاقاليم التابعة له . وجاءته وفود القبائل ، «وخرج شرفاء فاس وعلمائها ، وخطيبها وأعيانها ، بقصد التهنئة له والتسليم عليه . والاستغفاء من اذية جنوده . فأكرمهم وجزى وفادتهم ، ورجعوا الى فاس مكرومين (كذا) مسرورين . وأقام هناك في اصلاح احوال الرعية وتمهيد البلاد الى الشتاء ، ورجع الى الدلاء . وكان رجوعه اول زرع الاول ، فانحط القمح والاسعار بسبب اقامته هناك ، وأمنت الناس والطرق من القطع والنهب والقتل ..» (6)

وقد رأى السلطان محمد الحاج على عدوة فاس الاندلس أحمد بن صالح المبريني ، وابن الصغير على عدوة فاس القرويين . وأسند القضاء الى الفقيه ابي عبد الله المرى التلمساني .

ج) قضية البلديين في فاس (7)

البلديون أو المهاجرون (كذا) هم اليهود الذين أسلموا في فاس بعد الفتنة الكبرى التي استباحت فيها دعاؤهم وأموالهم بهذه المدينة عام 1275/674 - 1276. وقد كف السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني (657 - 1259/685 - 1286) أيدي الناس عن البلديين وأسكنهم المدينة البيضاء (فاس الجديد) التي كان أسسها في تلك السنة واتخذها دار ملكه. واندمج البلديون في حياة المسلمين واشتغلوا بحرفهم، وعمروا أسواق المدينة. لكن ظهر منهم الغش والخيانة في البيع والشراء فمنعوا من تعمير الأسواق في فاس وظلوا منبوذين هكذا طيلة أيام السعديين.

وقد شغلت مسألة البلديين الفاسيين علماء المغرب دهورا طويلا، وبلغ عدد الفتاوى التي أقرت منعهم من مزاولة التجارة في أسواق المسلمين اثنين وخمسين، بينما أفتى علماء آخرون بعدم مشروعية حرمان هذه الطائفة من المسلمين من الكسب والاتجار - مهما كان أصلها - لأن الإسلام يجب ما قبله. وألف الشيخ محمد بن أحمد ميارة (8) كتابا سماه: نصيحة المفترين، وكفاية المضطرين، بالترقية بين المسلمين بما لم ينزله رب العالمين، ولا خبر به الصادق الأمين، ولا ثبت عن الخلفاء المهتدين. «جمع فيه فتاوى من قال بالإباحة، وأسقط فتاوى من قال بالمنع، وهو الأكثر عددا وعدالة وعدة، ثم اتبع تلك الإجابة بما ظهر له بحسب رأيه من الأخذ والقياس. وذلك الأخذ أكثره خطأ، والقياس غير محكم» (9).

وفي هذه الفترة التي تؤرخها (1073 - 1074) قام البلديون بمحاولة الرجوع إلى الاتجار في أسواق فاس، وشكوا أمرهم إلى القاضي أبي عبد الله المري وقدموا له فتاوى الفقهاء الذين يبيعون مشاركتهم سائر المسلمين بالبيع والشراء، وأعطوه هدية له وأخرى للسلطان محمد الحاج الدلائي، وطلبوا من القاضي أن يستأذن لهم السلطان على أن يجعلوا لهما خراجا سنويا مقابل

(7) ألف أبو القاسم الزياتي كتابا سماه قصة المهاجرين المعروفين اليوم بالبلديين بفاس. ذكر فيه تاريخ اليهود في فاس منذ أسسها المولى إدريس الثاني. وسيرة من أسلم منهم إلى عصره. ويحيط باسم مؤلف هذه القصة غموض. إذ نجد بعض النسخ غفلا عن اسم المؤلف، بينما ينسبها البعض لأحد الفاسيين. ويرى الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني أن مما يشكك في نسبتها للزياتي كونه مربريا يشكو ما يراه العرب لأنفسهم من فضل على غيرهم، وتقريبه لكتاب في الانتصار للبلديين إذ لو كانت فكرته ضدهم ما قرظه

(8) الشيخ محمد ميارة أستاذ الزاوية الدلائية وصاحب التصريح المشهور على المرشد النعماني تقدمت ترجمته في الباب الثالث. وقد تحامل عليه الزياتي في قصة المهاجرين وقال عنه أن أصله يهودي

(9) أبو القاسم الزياتي. قصة المهاجرين. ص 481

ذلك . فبعث بالهدية والموافقة الى الدلاء غير أن محمد الحاج كان يعلم تاريخ الفتاوى فى القضية خصوصا من والده الذى كان مقيما مدة بفاس يقرأ على القصار . لانه ثبت عليهم الغش مرارا . فكتب محمد الحاج الى المرى يخبره بالنع ، وكتب لقائده أحمد بن صالح بتفصيل القضية ، وأمره الا يترك المرى يفعل ما أراد هو والمهاجريون . فجمع القائد أحمد بن صالح أعيان فاس وقرأ عليهم كتاب الأمير فساروا الى المرى ووبخوه ومنعوه من القضاء أياما ، ولولا خوفهم من محمد الحاج لقتلوه ونهبوا داره ، لاجل ما كان بين الفريقين من البغضاء القديمة» (10) .

المرحلة الثانية (1074 - 1076/1664 - 1666)

لم تكد ترجع وفود الفاسيين من أزرو ويرد خبر ارتحال السلطان محمد الحاج الى مدينة الدلاء ، حتى ظهرت نغرة الانفصال من جديد عند القائد الدريدى والى فاس الجديد . غير أن سكان المدينة الادريسية لم يوافقوه على ذلك ، وظلوا على وفائهم للدلائيين سواء أهل عدوة فاس الاندلس أو عدوة فاس القرويين . وكان الذى يتولى أمر معارضة الدريدى والوقوف فى وجهه هو صهره رئيس الاندلسيين أحمد بن صالح الليرينى . وقد كون القائد الدريدى عصابة من المقاتلة للقيام بأعمال اللصوصية والنهب فأخذ يغير على قبائل بسيط سايس وقراها ومداشرها ، ويصل الى زرهون ومكناسة الزيتون ويأتى بأمتعتهم وأموالهم ومواشيهم الى فاس الجديد ويبيعها . وكثر القطع والنهب والقتل بسبب ذلك ، وانقطع السفر فى الطرق . ويخرج أهل فاس العليا (11) الى لقائه بالطبول والغواط (12) وكثر النكير عليه بفاس الادريسية من الاسراف والفقهاء وأعيان الناس» (13) .

انقطعت الصلات بين مدينتى فاس القديمة والجديدة ، وتطور الخلاف بينهما الى القتال ، وجرت خطوب هلك فيها عدد كبير من الناس . ورأى السلطان محمد الحاج الدلائى أن يردع الدريدى الشاثر ، فجهز كتيبة قوية من فرسان قبيلة مجاط أرسلها الى بلاد سايس ، فترصدت للدريدى وعصابته حتى اذا خرجوا من فاس وابتعدوا عنها هجم عليهم المجاطيون وحكموا السيوف فى رقابهم ولاذ أفراد العصابة بالفرار وتبعهم فرسان مجاط يطاردونهم الى أبواب فاس ، وبقوا يحاصرونهم فى المدينة الجديدة أياما . وشكر القائد

(10) أبو القاسم الزياني ، قصة المهاجرين ، ص 480

(11) المراد بفاس العليا (فاس الجديد)

(12) (الغواط) فى اللغة الدارجة المغربية هى نوع من الزاوير الخشبية والمقود (غيطة)

(13) محمد القادري . نشر الثاني الكبير . ورقة 119/ب

المجاطى أهل فاس الادريسية على وفائهم وعدم انسياقهم مع العصاة ، وظل على اتصال بهم طيلة مدة الحصار الى أن رجع الى الدلاء . وبقي أهل فاس القديمة على ولائهم للدلائيين الى قيام الدولة العلوية كما سنرى فى فصل آت .

2 - الثورة ضد الدلائيين في سلا والرباط

(ا) عوامل الثورة

لم تكن هناك خلافات - على ما يظهر - بين الامير عبد الله الدلائى وبين رئيسى العدوتين وسكانهما ، بل بالعكس كانت الثقة متبادلة بين الامير ومساعديه ، فهو ينسبهم عنه فى المفاوضات مع الاجانب ويدافع عن مصالحهم لدى الدول الاوربية ، ولم يكن عبد الله الدلائى يرهق كاهل المواطنين بالأتاوات والمغارم لاستغناؤه بالضرائب المفروضة على الصادرات والواردات فى الميناء ، ولا يؤديها فى الغالب الا التجار والبحارة الاجانب . هذا بالإضافة الى العمل التجارى الضخم مع أقطار شمال افريقية الذى يشترك فيه كل من الامير الدلائى وأعيان العدوتين ورؤساء السفن . فما هى ياترى الاسباب التى دعت الى الانقلاب فى سلا والرباط ؟ وكيف تم تنظيم الثورة والامير الدلائى حاضر يراقب الامور عن كثب ؟ للإجابة عن هاذين السؤالين ينبغى أن نرجع الى الوراء قليلا لنتذكر الحالة التى أدت الى تدخل الدلائيين فى شئون العدوتين خلال عامى 50 - 1051 / 40 - 1641 . فعندما كان المجاهد العياشى يحاصر المورسكيين فى القصبة جمع محمد الحاج الدلائى من حوله رؤساء قبائل الغرب الذين كانوا ينافسون العياشى ، ووقع اغراء الاعراب للتقاعس عن نصره المجاهد واغتياله . وتم للدلائيين ما أرادوا من السيطرة على بلاد الغرب كلها ، ولكن هذا الانتصار لم يكن فى الحقيقة الا عابرا ، كما لم يكن خضوع القبائل الا ظاهرا اذ كان حب العياشى وتقديره متمكنا من نفوس مساعديه وأنصاره ، فلم يستسلم قط عبد الله العياشى ولا الخضر غيلان ، وظلا يناصبان الدلائيين العداء جهارا ، ويناوشانهم فى كل مناسبة . هذا الى ما كان من وحشة المورسكيين ونفرتهم من الامير عبد الله الدلائى بعد أن حاصروهم فى القصبة وطردوهم منها وانتزع من أيديهم السلط الحقيقية غير تارك لديوانهم الا مسائل ثانوية تافهة . فقد كان هناك اذن خصوم للدلائيين من الاعراب والمورسكيين اغراهم انتصار الخضر غيلان فى الشمال فجمعوا شتاتهم ونظموا الانقلاب فى جو من التكتّم التام . ولم تتحدث المصادر العربية عن هذه الثورة التى قامت فى العدوتين الا عرضا وباشارات خاطفة ، ولم نتعرف على بعض التفاصيل الا بواسطة المراسلات التى وجهها قناصل الدول الاجنبية المقيمون فى سلا آنذاك

الى حكوماتهم ، ولاسيما القنصل الهولاندى دافيد دوفرييس الذى عاش تلك الأحداث ، وعبر نهر أبى رقرق تحت وابل الطلقات النارية للشوار (14) .

(ب) حصار عبد الله الدلائى فى القصبة

فى يوم هادىء من أيام شهر جمادى الاولى عام 1070 / فبراير 1660 بينما كانت الحالة تسير سيرها العادى فى العدوتين ، والبحارة يستغلون فى المرفأ ليخرجوا الى عرض البحر سفينة محملة بالسلع فى ملك أمير سلا وأعيان التجار لتتجه الى الجزائر ، وفى نفس الوقت الذى كان الأمير الدلائى يستقبل القناصل فى قصره المطل على نهر أبى رقرق ، اذا بالمدافع تقصف قصفا مزعجا متواليا . والبنادق العديدة تطلق نيرانها دفعة واحدة ايدانا بنشوب الثورة . وكانت القبائل العربية المجاورة لسلا والرباط على موعد مع هذه الإشارة ، فأعلنت العصيان على الفور ، وحملت السلاح ضد الدلائيين . وقام الرباطيون بمحاصرة الأمير عبد الله فى القصبة بينما أخرج السلاويون مدافع العياشى الضخمة ونصبوها على ضفة النهر وبدؤوا يطلقون النار على القصبة ، ولم تتمكن مدافع الرباطيين من اصابة حامية الحصن لانخفاض أرضهم فكروا التراب الى أن جعلوه عاليا كالابراج ، وبدؤوا يصلون القصبة بنيران مدافعهم . وكان مع الأمير عبد الله الدلائى داخل الحصن ألفان من جنود البربر ، ردوا بالمثل على هذا الهجوم المفاجىء ، وصوبوا مدافعهم شمال النهر وجنوبه وقاوموا فى نفس الوقت السلاويين والرباطيين . ولم تتضرر مدينة سلا لبعدها عن مرمى مدافع القصبة ، بينما هلك كثير من الرباطيين بالقنابر التى كانت تقذف بها مدافع الدلائيين وسط الشوارع والساحات . وبلغت أخبار الانقلاب الى السلطان محمد الحاج الدلائى فجيش الجيوش وقصد سلا لكنه وجد الخضر غيلان قد سبقه الى الميدان ، ومن حوله أعراب الغرب ، وكانت الدائرة على محمد الحاج ، وبقي ابنه عبد الله محاصرا فى القصبة ثمانية عشر شهرا أظهر خلالها بطولة نادرة وجلدا كبيرا .

(ج) هل حاول الدلائيون تسليم القصبة الى دولة أوربية ؟

تقول بعض الروايات الاوربية ، ان عبد الله الدلائى لما طال عليه الحصار فى القصبة ، وأيقن أن أباه لن ينجده ، لجأ الى الاوربيين ليمدوه بالميرة والذخيرة ويساعدوه على فك الحصار . وتتضارب هذه الروايات ، فيزعم بعضها أن عبد الله الدلائى طلب المعونة من حاكم سبتة الاسباني المريكز ديلوص اركوص

(14) انظر نص الرسائل التى بعث بها دوفرييس الى الولايات العامة حول ثورة العدوتين فى : دو كامبرى ، مصادر لم تشر ، سلسلة البلاد الواطئة ، 613:6 - 616

واقترح عليه أن يسلم قسبة سلا الى ملك اسبانيا فليب الرابع ، مقابل أن يحمل فقط الى الجهة التي يريد النزول فيها من شواطئ المغرب لكن اسبانيا التي كانت مرتبطة بحلف صداقة مع الخضر غيلان . أخبرته بهذا الاقتراح ، فأشار عليها برفضه لما كان يعلم من حرج موقف خصمه (15) وتقول رواية أخرى أن عبد الله الدلائي أرسل الى حاكم طنجة الانجليزي الكونت ديطيفيو Le Conte de TEVIOT, Gouverneur à Tanger ، يطلب منه الزاد والمعونة وكان هذا الحاكم يخشى غيلان ويعرف رغبته في الاستيلاء على مدينة طنجة ؛ لذلك رحب بمبعوثي الامير عبد الله الدلائي ، وبعث اليه بسفينة محملة بالطعام والذخيرة الحربية . فمكنت هذه الاغاثة القسبة من أن تتحمل الحصار مدة طويلة . ثم جاء أسطول انجليزي بمدد آخر الى القسبة ، فاقترح الامير عبد الله الدلائي على قائد هذا الاسطول أن يسلم اليه قسبة سلا مقابل ألف قنطار من مسحوق البارود ، وألف بندقية (16) . على أن التعليمات السرية التي وردت على حاكم طنجة الكونت ديطيفيو من حكومته في 21 دجنبر 1663 (جمادى الاولى 1074) لم تشر الى هذا العرض المزعوم . وانما طلبت منه أن يمتلك قسبة سلا حالة ما اذا طلب منه الدلائي ذلك مقابل شروط معقولة ، وان يبالغ المجهود حتى لا يقع هذا الحصن في يد الخضر غيلان (17) ؛ ويبدو أن كلتا الروايتين لا أساس لهما من الصحة ، أما الاولى التي تقول بمدد الامير عبد الله الدلائي يده الى الاسبانيين فان ذلك مناف للمعاداة الصريحة القائمة بين الطرفين باستمرار . وما زلنا نذكر جهاد هذا الامير ضد الاسبانيين في العمورة ، ومحالفته للدول الاوردية المعادية لاسبانيا . كبرلندا ، وانجلترا ، وفرنسا ، ولم يثبت أنه هادن الاسبانيين أو عاملهم بالتجارة أو غيرها فكيف يتصور أن يلجأ الامير الدلائي الى عدوه اللدود في أخرج الظروف يرجو منه العون والنصرة ؟! وفيما يتعلق بالمساعدة الانجليزية ، يبدو من المعقول جدا أن يتوجه الامير الدلائي الى هذه الدولة التي تربطه بها معاهدة 19 غشت 1657 ولا سيما وقد كانت طنجة أقرب المراكز التي يمكن أن يستجد بها . لكن مسألة تسليم القسبة الى الانجليز مقابل كمية من الذخيرة الحربية تنقصها الحجة والبرهان . ولا يمكن الاعتماد على ما جاء في التعليمات السابقة التي وردت على الكونت ديطيفيو ، لانها انما تتحدث عن احتمال تقدم الدلائي باقتراح تسليم القسبة الى انجلترا لا عن وقوع ذلك بالفعل . هذا بالاضافة

15) « De Castries, Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, Pays Bas, T.V.P. XXVII. »
16) « Mission Scientifique du Maroc, Villes et tribus, (Rabat et sa Région) T.I. P. 84 »
17) « Archives Marocaines, T. XVIII, P. 29. »

الى أن الأمير عبد الله الدلائي كان قد خرج من القصبه قبل ورود هذه التعليمات
يلغو عامين ونصف اذ استطاع أن يفلت من الحصار المضروب عليه في شهر
شوال 1071 / يونيه 1661 ويغادر الحصن خلسة الى تامسنا على ظهر سفينة
انجليزية (18) بعد أن أسند القيادة الى أحمد الجنوي الذي تابع مقاومة الحصار
الى فصل الربيع من عام 1074 / 1664 . وكان الرئيس غيلان قد مل هذا الحصار
الطويل ، فأرسل أخاه الطاهر في ثلاثمائة فارس ليوقع اتفاقا مع رؤساء مدن
أبي رقراق الثلاث كي يقتسموا بالسوية جميع المداخل «وفي 3 ماي 1664
قطعت القصبه كل علاقة مع الزاوية الدلائية ودخلت في حماية غيلان وقد أقر
أحمد الجنوي في منصبه ثم سميوه فمات» (19) .

وهكذا ترك الدلائيون مكرهين مدن أبي رقراق بعد أن ظلوا فيها نحو
ربع قرن ، كانوا فيه أصحاب الحكم المطلق والسلطان الذي لا يحد ، ونعموا
بكثير من الثراء والجاه ، ورهبتهم الدول الأجنبية وخطبت ودعهم عن طريق
العائدات ، ولقوا نفس المصير المحزن الذي لقيه العياشي على يديهم ، فذاقوا
آلم الحصار أعواما ، وتركوا في الميدان ألوف القتلى واكتفوا من الغنية بالإياب.

3 - القضاء على الزاوية الدلائية - تخريبها

(1) ظهور السلطان الرشيد بن الشريف العلوي
كان للشريف بن علي جد الملوك العلويين الحاليين منزلة رفيعة ، وحظوة
كبيرة عند السجلماسيين ، وكان له أولاد عديدون ، أكبرهم المولى محمد الذي
نزع بلاد تافيلالت ودرعة منذ منتصف القرن الحادي عشر للهجرة (السابع
عشر للميلاد) بعد أن طرد منها أبا حسون السملالي ، وجرت بينه وبين الدلائين
من أجل تحديد مناطق النفوذ وقائع حربية عديدة سبقت الإشارة إليها . ولما
توفي الشريف بن علي (رمضان 1069 / يونيه 1659) خرج ابنه الرشيد من
تافيلالت فارا من أخيه السلطان محمد بن الشريف ، لمنافسة كانت بينهما .
وظل الرشيد يتنقل في جبال الأطلس الكبير والمتوسط الى أن وصل الى الزاوية
الدلائية ، وأقام بها أياما . وتقول بعض الاساطير أن أحمد الدلائين أخبر
الرشيد بأنهم عرفوا من بعض الاخباريين (20) أن اخلاء زاويتهم سيكون على
يد سلطان يسمى الرشيد ، وطلب منه أن يغادر الدلاء عاجلا مخافة أن يصيبه

(18) دوكتري ، مصادر لم تنشر ، سلسلة البلاد الواطنة ، ج 5 ص 27

(19) نفس المصدر والجزء ، ص 28 . وأحمد الجنوي هذا لعنه من أبناء الامين سعيد الجنوي
الحاكم السابق لمن سلا وخليفة الامير عبد الله الدلائي

(20) براد بالاخباريين الكهان الذين يطلعون على أحداث المستقبل وينبئون بالغيب



أقرب مثال لصورة السلطان الرشيد بن الشريف العلوي

الى من رؤسائهم بسبب ذلك . ولم تكن هذه هي المرة الاولى التي حل فيها الرشيد بن الشريف بالزاوية الدلائية ، فقد سبق له أن أقام بها عدة يدرس علم أيام الطلب (21) وزارها مرة أخرى مع اخوته عندما سجن أبو حسون سلطان أباهم الشريف بن علي في سوس ، وكانوا يرغبون في وساطة الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي لاطلاق سراح والدهم الاسير .

خرج الرشيد بن الشريف من الزاوية الدلائية ، وسار الى فاس وتازا ، والتقى به المطاف الى حصن اليهودي الثرى ابن مشعل في أرض بني يزناسن شمال غراي وجدة ، «فقتله وأخذ أهواله وذخائره وفرقها فيمن تبعه وانضاف اليه . فتقوى بذلك عضده وتوافر جمعه وتناقل الركبان حديثه» (22) وسارخ السلطان محمد بن الشريف الى ملاقات أخيه الرشيد حين بلغه اجتماع قبائل المغرب الشرقي عليه ، وكان اللقاء بين لآخوين في بسيط انجاد (23) غربي وحدة . ولم تكد تنشب المعركة حتى خر السلطان محمد بن الشريف صريعا محرم 1073 / غشت 1664) وانضم جنده الى أخيه الرشيد ، فتقوى أمره وتقدم الى تازا فملكها بعد حروب عصبية ، وصفا له المغرب الشرقي كله ، وبأيعه أهله على السمع والطاعة . ثم قصد سجلماسة ، وكان قد تزعم أمرها ابن أخيه محمد الصغير ، فحاصرها سبعة أشهر الى أن فتحها وانيسط نفوذه على شرق المغرب وجنوبه .

(ب) استيلاء الرشيد على فاس

لما علم الفاسيون نبأ ظهور الرشيد بن الشريف وانتشار نفوذه، عقدوا حلفا مع جيرانهم الحياينة والبهاليل وغيرهم من القبائل العربية ، ليوقفوا في وجهه ويمنعوا عليه . «وأمر رؤساء فاس عامتها بشراء الخيل والعدة والاكثار منها ، ووظفوا على كل دار مكحلة (بتدقية) ومن لم توجد عنده مكحلة منهم بعاقب . فاشتمروا من ذلك فوق الكفاية ..» (24) وحاول الفاسيون أن يغزوا السلطان الرشيد في تازا ويبادروه بالحرب قبل أن يتوجه اليهم ، لكنهم

(21) عبد الرود التازي . نزهة الاخير الرضيين . ورقة 7/ب

(22) محمد الصغير الافرائي . نزهة العادي . ج 1 . 301 - 302

(23) ذكر محمد الحجوي في رحلته الخطية . ص 78 بسط انجاد فقال وهو سهل مشح بـ الجبل الشمالي اعنى جبل بني يزناسن . والجبل الجنوبي وهو من جبل دون اعنى جبل بني بوزكوا والزكارة وبني يعلى وابنداقه غربا من قصبة عيون سيدي ملوك الى وحشة شرقا . وسكان هذا السهل عرب الشجع والمهايا وأهل انجاد اولاد أحمد بن ابراهيم والكل عرب رحالة أصحاب الخيام

(24) أحمد التامري . الاستقصا . ج 7 ص 33

ما كانوا يقابلون محاربه حتى انهزموا من غير قتال وطاردتهم جند السلطان الى
منطقة نهر سبو خارج مدينة فاس . وقد قضى الرشيد عام 1070/1065 -
1070 م كله في حصار فاس وقتالها دون جدوى ولم يستطع الدخول اليها الا بعد
ان عقد اتفاقا سريا مع بعض اعيانها الذين مهدوا له السبيل ، وضللوا خصومه
واعادوهم عن المدينة ، في اخبار طويلة (25) هذا مجملها :

كان للرشيد وزيران يعتمد عليهما ، هما اخوة الحران ، وابن اخيه احمد
ابن محرز ، وقد نصحا به بأن يتخذ واسطة يكون بينه وبين اهل فاس ، ودلاء
على احمد بن الشيخ عبد الرحمان الفاسي صاحب الزاوية التي يحى القلقيين
لما كان له من الوجاهة عند قومه . فارسل اليه الرشيد بعض خاصته سرا
روعه وعناه . فقبل احمد الفاسي أن يقوم بالدعوة للعلويين ، واتفق مع طائفة
من اعيان المدينة الادريسية على التخلص من احمد بن صالح الليريني حاكم
المدينة من قبل الدلائيين . وبذلك اتجه السلطان الرشيد لحصار فاس الجديد
واستطاع بمساعدة بعض السكان أن يصعد على السور من جهة الملاح ويدخل
الى المدينة ويقبض على رئيسها أبي عبد الله الدريدي . واتفق ابن صالح مع
اهل فاس القديم على أن يسير هو الى السلطان محمد الحاج الدلائي لياتسى
بجيش من البربر يساعدهم على مدافعة خصمهم ، وخرج الحاكم الليريني ليلا
في عشرة من الفرسان من باب الفتوح واتجه نحو خولان (26) في طريق صفرو
ليلتحق منها بمدينة الدلاء . غير أن الرشيد الذي أشعر بذلك اعترض طريقه
في ألفى فارس وقبض عليه في منتصف الليل ، ثم أصبح على أبواب المدينة
القديمة يعلن للفاسيين أسره للحاكم ويطلب منهم أن يبايعوه على أن يحسن
معاملتهم ، ويصفح عن اساءتهم . فلم يجند الفاسيون بدا من الاستسلام
والخروج الى السلطان الرشيد ، فبايعوه وقدموا له مراسم الولاء والطاعة .
وبعد ذلك قتل ابن صالح شر قتلة في جماعة من أتباعه وأصحابه ، وانتهت
أموالهم وأمتعتهم ، وبيعت عقاراتهم وضمت الى بيت المال ، بعد أن شهد نحو
20 من العلماء باستغراق ذممهم . وكافأ السلطان الرشيد داعيته احمد الفاسي
بأن صرف اليه فتوحات أبي الحسن بن حرزهم بعد أن انزعجا من يد القادريين
وكان للدلائيين بالقرب من فاس مركزان هامين ، أحدهما مدينة صفرو التي
يجاورها برابرة آيت يوسى ، والثاني مدينة مكناس التي يرابض على أبوابها
برابرة آيت ولال . وقد هجم السلطان الرشيد أكثر من مرة على صفرو دون
جدوى ، وأمكنه أخيرا أن يستولى على مكناسة الزيتون وينتصر على الولائيين .

(25) ذكر هذه الاخبار مفصلة عبد السلام بن الخطاط القادي في التحفة القادرية . 150:2 وما بعدها
(26) بلاد خولان هي التي فيها حمة سيدي حرازم بضاحية فاس

(د) معركة (بطن الرمان) - تخريب الزاوية الدلائية

في الوقت الذي توالى فيه انتصارات السلطان الرشيد بن الشريف العلوي كان أمر محمد الحاج الدلائي في ادبار ، فقد بلغ من الكبر عتيا وأصاب مرض السادة احدى عينيه وفقد أبنائه ما عدا عبد الله ، ولم يكن اخوته وبنوه معه أبطال حرب وكفاح ، وانما كانوا رجال علم ودين ، فضعفت القيادة الحربية الدلائيين وان بقيت قبائل الاطلس الباسلة وفيه لهم . وماذا يا ترى يستطيع رجل بلغ الثمانين من عمره أو قاربها أن يعمل في الميدان ؟ وماذا يمكنه أن يصنع في ترتيب الجيوش وتجهيزها وقيادتها ؟ الحقيقة ان كل شيء كان خلال عام 1078/1668 ينذر بقرب حلول الكارثة بالزاوية الدلائية . فبعد أن انتزع الخضر غيلان المناطق الشمالية وبلاد الغرب من يد الدلائيين ، جاء السلطان الرشيد واستولى على المغرب الشرقي ومدينتي فاس ومكناس . وعبثا حاول محمد الحاج أن يقاوم هذا التيار الجارف ، فخرج على رأس جنده من البربر وقصد خصمه الرشيد في سهول سايس ، والتقى الجمعان على ضفة نهر يومزورة أحد روافد وادي فاس «فتقاتلا قتالا خفيفا نحو ثلاثة أيام ثم رجع محمد الحاج الى الدلاء» (27) .

تجلى للسلطان الرشيد في هذه المناوشات ضعف الدلائيين وعجزهم ، لتوجه اليهم في جموع كبيرة ، ولم يعترض طريقه أحد حتى أشرف على الزاوية الدلائية ولم بعد يفصل بينه وبينها الا نحو 25 كلم . فوجد الدلائيين مجتمعين على حربه في سهل (بطن الرمان) (28) بقيادة أحد أبناء محمد الحاج (29) . دارت المعركة الفاصلة بين الدلائيين والعلويين في الايام الاولى من عام

(27) محمد القادري ، نشر المثاني الكبير . ورقة 124/ب
(28) يكشف الزاوية الدلائية موضعان يحمل كل منهما اسم الرمان . ففي شمال الزاوية الدلائية طريق خيفرة يقع السهل الذي تسميه قبائل زيان (بورمان) وهو الذي نرجح أن المعركة دارت فيه ، لوقوعه على الطريق الطبيعية التي يمكن أن يسلكها الرشيد من فاس الى الزاوية الدلائية . ويوجد بجنوب مدينة الدلاء في طريق قصبة تادلة مكان يسمى (بطن الرمان) تقوم فيه اليوم قرية زاوية الشيخ . ويبعد أن يكون جيش العلويين قد سلك طريق الغرب التي تبلغ مسافتها ضعف مسافة الطريق الاولى . لاسيما وان بلاد القرب وتامسنا وتادلا لم تكن قد دخلت بعد في طاعة السلطان الرشيد ولا يمكن أن تقتصر اختلاط الاسمين على بعض المؤرخين لان الامام اليوسى وهو البربري الذي لا تخفى عليه مواقع بينته ولا تلتبس عليه أسماؤها قد عبر في المحاضرات عن ميدان المعركة ببطن الرمان ، وعنه نقل ذلك سائر المؤرخين . فلم يبق الا أن نقترح أن (بورمان) كان يسمى «اندك بطن الرمان» أو ان اليوسى تصرف قليلا وأدخل كلمة (بورمان) في قالب عربي لم يبق حيا من أبناء محمد الحاج في هذا التاريخ الا عبيد الله . بينما تعبر جل المصادر عن قائد معركة بطن الرمان بأنه أحد أبناء محمد الحاج . الا أيا القاسم الزياتي فإنه قال في الترجمان ، (ص 373) «فلقى محلة أهل الدلاء مع ولد محمد الحاج» وهو عبيد الله

1079/1668 ولم يصمد البربر الا قليلا ثم تراجعوا مهزومين ، فتبعهم الرشيد الى أن نزل على أبواب مدينة الدلاء . ويصف لنا أبو علي اليوسى عن مشاهدة هذه الفترة العصبية من حياة الزاوية الدلائية المحتضرة ويذكر حال السلطان محمد الحاج بقوله : «... فدخلنا عليه وكان لم يحضر المعركة لعجزه من كبر سنه ، فاذا بالفل يدخلون ، فدخل عليه أولاده (30) وأخوته ، وأظهروا جزعا شديدا وضيقا عظيما ، فلما رأى منهم ذلك قال لهم : ما هذا ؟ ان قال لكم حسبكم فحسبكم ، يعنى الله تعالى . وهذا كلام عجيب ، واليه يساق الحديث . والمعنى ان قال الله تعالى لكم حسبكم من الدنيا فكفوا راضين مسلمين » (31)

ثم خرج محمد الحاج لملاقاة السلطان الرشيد وسأله عما يريد فأجابته الرشيد بأنه يريد الملك . فقال محمد الحاج : (هو الان فى محله) وبأيعه ودفع له بعض المال . وقد مكث الرشيد فى الدلاء شهرا ونصف شهر (8 محرم - 22 صفر 1079/17 يونيو - 30 يوليو 1668) واستولى على ما كان فى عاصمة الدلائين من مال وذخيرة وخيل وسلاح ، وأخذ ما فى الخزائن من الكتب والوثائق ، وما فى الحظائر من الماشية والدواب ، ولم يترك للدلائين الا ما لا غنى لهم عنه وأمرهم بالرحيل الى فاس ثم أعمل المعاول والفؤوس فى مباني المدينة ، وهدم ما استطاع أن يهدمه منها وتركها خرابا موحشة . ثم صعد الى الزاوية الدلائية القديمة وفعل بها ما فعل بالزاوية الحديثة وكانت مبانيها أقل مثانة وصلابة فهدمها كلها وطمس معالمها ، وتركها قاعا صقفا كان لم تغل بالأمس ، ولم يترك منها الا القبتين المشيدتين على ضريح الشيخ أبى بكر الدلائى وابنه محمد فى جوف المسجد .

130 لم يبق لمحمد الحاج من الاولاد فى هذا التأريخ الا عبد الله . ولعل اليوسى يقصد بالاولاد
ما يشمل الاحفاد ايضا
131 الحسن اليوسى . المحاضرات . ص 86 - 87

الباب السابع

أثر الدلائيين في خارج زاويتهم

١ - خروج الدلائيين الى فاس

- (أ) تغريب الدلائيين الى تلمسان
- (ب) ثورة أحمد الدلائي على السلطان اسماعيل

٢ - العلماء الدلائيون في فاس ومكناس

- (أ) محمد المستاوي الدلائي شيخ الجماعة بفاس
- (ب) تلاميذ الدلائيين في فاس

٣ - الكتب التي ألفها الدلائيون

- (أ) جدول مؤلفات الدلائيين
- (ب) جدول الكتب التي ألقت في الدلائيين

٤ - بقايا البيت الدلائي

- (أ) مساكن قبيلة مجاط اليوم
- (ب) أحفاد الدلائيين في فاس والدار البيضاء والرباط

234

١ - خروج الدلائيين الى فاس *

لما استولى السلطان الرشيد على الزاوية الدلائية ، أخرج منها جميع من كان فيها من السكان وأجلاهم عنها ، فرجع العلماء والطلبة والتجار الى مساقط رؤوسهم ، وتفرقوا في جبال الاطلس وعلى ضفاف علوية ، أو في بلاد تادلا وضواحي مراکش . وتوجه الدلائيون ، ومعهم الامام اليوسى ، بأمر من السلطان الرشيد الى فاس . ولم يحدد لهم مكانا معيناً يقيمون فيه بهذه المدينة ، فسكنوا حيث أمكنهم السكن ، واختلطوا بعامة الناس ، وكان لهم كثير من الاصدقاء والاصهار من بين البيوتات الكبيرة في فاس . مثل القادريين والطاهريين وغيرهم . وقد أقرهم السلطان الرشيد في منازلهم التي اختاروها بعد رجوعه عن مراکش . ثم بدا له في شهر رمضان من نفس السنة (1079) أن يخرج طائفة من الدلائيين الى ضريح أبى الحسن بن حرزهم (حرازم) بظاهر فاس ، حيث بقوا هنالك الى آخر السنة ، فعفا عنهم وسمح لهم بالدخول الى المدينة (1) ماعدا محمد الحاج وبنيه فإنه أمرهم بمغادرة المغرب والالتحاق ببلاد الجزائر .

١) تغريب الدلائيين الى تلمسان

خرج محمد الحاج وعشيرته الاقربون الى تلمسان في مستهل عام 1080/1089 ونزلوا بحرم العباد الذي فيه ضريح الشيخ أبى مدين الغوث . وهناك أسطورة تقول أن محمد الحاج اغتم كثيرا عندما وجد نفسه حاملا مهملا لم يعبا به أحد من التلمسانيين ، كأنه لم يكن الى زمن قريب سلطانا نافذ الامر عزيز الجانب ، فقال لبعض ذويه : « كنت وجدت في بعض كتب الحدائق أنى أدخل تلمسان ، فظننت أنى أدخلها دخول الملوك ، فدخلتها كما ترون » (2) وكانت مدينة تلمسان خاضعة اذذاك للاتراك العثمانيين الذين تربطهم بالدلائيين أواصر الود والصداقة . وقد رأينا في الباب السادس بعض جوانب

* يشتمل هذا الباب على استطرادات موجزة خارجة عن نطاق عصر الزاوية الدلائية . لكنها ضرورية للالام بالظهورات الطارئة على أبناء هذه الزاوية حتى عصرنا الحاضر

1) ذكر أحمد الناصري في الاستقصا . 30:7 أن السلطان الرشيد بعد اخراج الدلائيين الى ضريح الشيخ ابن حرزهم دفعها عن الجحش وردهم الى بلادهم الا ... وهذا سبق قلم لانه لم يسمح لأحد من الدلائيين بالرجوع الى بلادهم خصوصا أيام الرشيد . وربما وقع اللبس بقضية آل زاوية آيت عياش . فهم الذين غرّبهم الرشيد الى فاس . ثم أذن لهم المولى اسماعيل بالرجوع الى ديارهم على اثر توليه الملك . على أن محمد القادري نص نسي نشر الثاني الكبير . ورقة 127/ب على أن الرشيد سمح الدلائيين في « نشر العام » وردهم الى فاس جميعا

التقارب الدلائى التركى ، ولاسيما فى ميدان التبادل التجارى ، والتعاون فى
الجهاد البحرى ضد المسيحيين . فكان ميناء سلا مفتوحا باستمرار فى وجه
قراصنة الجزائر العاملين فى المحيط الاطلسى ، يأخذون منه المونة والذخيرة ،
ويحملون اليه غنائمهم للبيع ، أو يلجؤون اليه من عواصف المحيط الهوى
أو من غارات الاعداء ومطاردتهم . كما كانت موانئ الجزائر كثيرا ما تستقبل
السفن التجارية للاعير عبد الله الدلائى ، ومراكب المجاهدين السلويين
والتطوانيين . وزاد فى التقارب بين الدلائيين وأتراك الجزائر ، اتفاقهم فى
خصومة العلويين ومناصبتهم العدا . فمنذ طلوع محمد بن الشريف من
تافيلالت الى المغرب الشرقى فى أواسط القرن الحادى عشر الهجرى ، ووجهه
على تلمسان وتوغله فى بلاد الجزائر ، والعثمانيون يعانون ضرور المحن
وصنوف المتاعب من جراء تمرد الجزائريين عليهم ، بما اذكاه فيهم السلطان
العلوى من روح الثورة والمقاومة . فكان الاتراك يتميزون غيظا على محمد بن
الشريف ولا يستطيعون محاربته لا بغاله فى الصحراء ، ثم جاء الرشيد بن
الشريف فركز نفوذه أولا فى بنى يزناسن وبسيط أنكاد ووجدة ، وتضايق
العثمانيون من اجتماع قبائل الحدود عذيه والتغابيا حوله ، وسيمتد الخلاف
بين العثمانيين والعلويين الى أيام السلطان اسماعيل ليتطور الى معارك
طاحنة .

هكذا يبدو أن الظروف كانت مواتية بعض الشيء للدلائيين فى منقاهم
بتلمسان ولو أنهم فارقوا الاهل والوطن ، وتركوا النفوذ والصولة ، وتجردوا
من الثروة والجاه فانهم وجدوا فى ولاية الامر بالجزائر أصدقاء يواسونهم
ويعترفون بمجدهم القليل . لكن سوء الطائع وعثر الجدل لاحقا الدلائيين حتى
فى بلاد الغربية ، فعاملهم التلمسانيون بما يعاملون به حكامهم الاتراك من
النفرة والجفاء ، وعدوهم خصوصا عملا بقاعدة (صديق العدو عدو) . وطالما
تعرض الدلائيون فى السنوات الخمس التى قضاها بتلمسان الى تهجمات
السكان وايناثهم ، فبالاضافة الى أنواع المضايقات والاهانات ، لم يتورع
التلمسانيون عن سلب كل ما وصلت اليه أيديهم من مال الدلائيين ومنازلهم ،
بل وقتل من تمكنوا من سفك دمه منهم . وقد توفى محمد الحاج الدلائى بعد
سنتين من مجيئه الى تلمسان (4 محرم 1082/14 ماي 1671) فدفنه ولده عبد
الله فى العباد بالقرب من ضريح الامام السنوسى . ثم توجه الى الحجاز لاداء
فريضة الحج ، وبقي فى بلاد الشرق العربى نحو عامين ولعله كان يبحث
خلالها عن مكان ملائم يمكن أن ينتقل اليه بأهله ، فى مصر أو غيرها من
الاقطار الاسلامية . ولا عبرة بما يدعيه بعض المؤرخين الاوربيين من خروج

عبد الله الدلائلي بأهله وذخائره أسرته إلى مصر عند استيلاء السلطان الرشيد على الزاوية الدلائلية واقامته هناك إلى أن أدركته الوفاة ، فإن ذلك محض افتراض تنقصه الحجة والبرهان . ويجافي الرأي والمنطق ، بل تناقضه الوثائق الصحيحة . واجماع المؤرخين المغاربة . فقد عرفنا في الباب السابق أن السلطان الرشيد العلوي حينما نصدي لحرب الدلائيين لم يمهلهم ولو فترة قصيرة ، فبعد أن تغلب عليهم في بطن الرومان طاردهم إلى مدينة الدلاء ، وأخرجهم منها على التو إلى فاس بعد أن استولى على جميع ذخائرهم ، من مال وسلاح ومأشوية وغير ذلك . فكيف ياترى يمكن لعبد الله الدلائلي أن يخرق الحصار . بعد الانهزام والانكسار . أو يفلت بالذخائر من أيدي جنود الرشيد الذين كانوا يتطلعون إلى الاستحواذ على ما للدلائيين من سلاح وكراع ! اللهم إلا أن نفترض وقوع ذلك قبل مجيء الرشيد ؛ وهذا يعني أن الدلائيين كانوا قد بلغوا درجة الانهيار واليأس . الأمر الذي يتنافى وخروجهم في تجمع عظيم لملاقاة خصمهم على مسافة 25 كلم من الزاوية . وما كان أحراهم - لو صح هذا الافتراض - أن يخرجوا جميعا وفي مقدمتهم الشيخ الهرم محمد الحاج ، إذ لا عقل أن يفر بطل الاسرة الشاب عبد الله تاركا وراءه أباه العاجز وحريمه عرضة لهجوم الخصوم .

على أن جميع المؤرخين المغاربة الذين تعرضوا لذكر أخبار الدلائيين لم يسيروا إلى هذا الفرار المزعوم . بل على العكس من ذلك نرى من اهتم منهم بتفاصيل هذا الحادث التاريخي ينص على أن عبد الله الدلائلي كان لا يزال في الزاوية الدلائلية عند استيلاء الرشيد عليها «وخرج فيمن خرج من الزاوية مع والده عند تخريبها وسار معه إلى تلمسان» (3) .

وهناك وثيقة تاريخية هامة تؤيد وجود عيال عبد الله الدلائلي في تلمسان خلال عام 1085/1074 . وتخص على أنه رجع في هذه السنة من المشرق إلى عاصمة الجزائر حيث بقي ينتظر اتحاد الثورة القائمة في تلمسان ليلتحق بأهله في هذه المدينة . ورد ذلك في الرسالة التي بعث بها أحمد بن عبد الله الدلائلي إلى السلطان اسماعيل بن الشريف معتذرا عن تخلفه بتلمسان . بعد أن رجع أهله إلى فاس : «...الاعلام لسيدنا بعذري عن التخلف . فليعلم مولانا السلطان نصره الله أن موجبه مامعي من عيال أبي فكرهت أن افتات عليه وهو غائب . فلم أزل أستدنيه حتى بلغ الجزائر . ولما خرج برسم الوصول إلى

العباد حرم القطب الغوث أبي مدين نفع الله به ، وجد هذه الفتنة بين يديه وتأخر حتى يسكن هرجيا ، ويحمد وصحبا ... (4) وكانت الفتنة التي تحدث عنها أحمد الدلائي عظيمة في تلمسان ، كما كان اعتمادها والقضاء عليها من طرف الأتراك أعظم وأشد . وقد سلم الدلائيون منها إذ عاد أكثرهم إلى فاس قبيل نشوب الثورة باذن من السلطان اسماعيل (جمادى الاولى 1085 / شتنبر 1674) وأوصى عبد الله الدلائي فسي الجزائر قائد الحملة التأديبية التركية التي توجهت إلى تلمسان ، وطلب منه أن يجنب جنوده مساكن أهلها في حرم العباد . وجاء عبد الله الدلائي فعلا إلى تلمسان بعد سكون البيعة ، ومكث فيها إلى أن توفي أواخر عام 1086 / 1676 ودفن بجوار والده محمد الحاج بالعباد ، ورثاه ابنه أحمد بقصيدة بديعة مؤثرة تشمل على 52 بيتا ، جاء في مطلعها :

الأهل فتى مثلي كئيب أراسله وأشكرو له قلبا دعت له بلائله
بطارحنى أحزانه وهمومه يسائلنى عن محنتى وأسائله (5)

(ب) ثورة أحمد الدلائي على السلطان اسماعيل

أحمد بن عبد الله بن محمد الحاج الدلائي شخصية فذة تمثل آخر أبطال الدلاء وفرسانها الشجعان . بدت كفءات الحربية في وقت مبكر من عمره ، وولاه جده محمد الحاج أمر فاس ، وهو ما يزال حدثا في مستقبل العمر كما سبق ، وزعم بعض الرواة أنه هو الذى قاد الدلائيين في معركة بطن الرمان ، وسبق أهله إلى تلمسان فمهد لهم السبيل وحيا المقام . وليست الغرابة في شخصية أحمد الدلائي آتية من بطولته المبكرة ، وتفوقه في التدبير والحرب ، أو من غلته الجم وأدبه الرفيع ، فقد سبقه إلى هذه الميادين أبوه وجده وكثير من بنى عمه . وإنما الغرابة في أن أحمد الدلائي كان في نفس الوقت بطلا مغوارا وعالما كبيرا وأديبا ممتازا ، لا أغالى إذا قلت أنه أشجع الدلائيين وأشعرهم على الإطلاق . والمرء قد يمتاز في إحدى الناحيتين الأدبية أو العسكرية ، وقد يشارك فيهما معا ويكون عاديا في الأمرين ، أو يتغلب عليه أحد الاتجاهين على حساب الآخر . أما أن يبرز تبرزنا تاما في الميدانين ، ويجمع عن جدارة بين العسنيين ، فذلك ما لايجود به الدهر إلا نادرا ولا نجده إلا عند أبي فراس الحمداني وأحمد الدلائي . وأديبنا البطل المغربى جدير بأن تتناول آثاره

4. انظر نص الرسالة في ملحق رقم 10
5. انظر نص القصيدة عند سليمان الحوات . البذور الضاوية . ورقة 206/ب - 1/207

بالدرس والتحليل أقلام الباحثين ، وسيجدون في (تلمسانياته) ما يضاهي (الروميات) .

وقد تخلف أحمد الدلائي في تلمسان ، ولم يعد مع الدلائيين الذين دخلوا إلى فاس متعللا بالقيام على شؤون عيال أبيه عبد الله المتغيب في الشرق . ولما كثرت الاقاويل في شأنه وبدأت الشائعات تتحدث عن الثورة ، خاف أحمد على أهله المقيمين في فاس أن يلحقهم أذى بسبب ذلك ، فكتب إلى السلطان اسماعيل يطريه ويطمئنه ، ويبين له الاعذار التي عاقته عن الالتحاق بالمغرب . وقد أكدت الأحداث أن أحمد الدلائي لم يكن صادقا في اعتذاره ولم يقصد من الرسالة التي وجهها إلى السلطان سوى كسب الوقت اللازم لتدبير شؤون الثورة وتنظيمها بمساعدة أتراك الجزائر . واتخذ أحمد الدلائي من خروج السلطان اسماعيل من العاصمة واشتغاله بحرب ابن أخيه أحمد بن محرز (6) في مراكش فرصة لإشعال نار الثورة ، فدخل إلى المغرب في أوائل عام 1677/1688 وقصد الدلاء ؛ وهناك التف حولة برابرة الاطلس المتوسط وملكوا بلاد تادلا بعد أن هزموا المخازنية ومن معهم من الاعراب المناصرين للعلويين . ولما علم السلطان اسماعيل بخبر الثورة بعث بجيش يتألف من ثلاثة آلاف فارس تحت إمرة القائد يخلف . لكن أحمد الدلائي سرعان ما قضى على هذا القائد وكثير من جنده ونهب محلاته وخيله . ثم بعث السلطان بفرقة أخرى من الجند لقيت نفس المصير . «وشن البربر الغارات بعد ذلك على من جاورهم من القبائل إلى سايس ، ووقعت معركة رابعة بحوز مكناسة بين جيش فاس والبربر ، مات فيها من كبراء الجيش عدد كثير ، ولجؤوا إلى مدينة مكناس ، وحدثت الخوف بأحوازها» (7) وقد اختفى الدلائيون وأنصارهم في فاس محتمين بحرم المولى ادريس وسيدى أحمد الشاوي ، وبعث الامام اليوسي السني أحمد الدلائي يلومه ويستعطفه ، بقطعة شعرية جاء فيها :

أبا العباس كنت المرتجى في تلاف في تجاف وارتجاف
وكنت أخال أن الود كأس شربناه على الانصاف صاف ..
ورأى السلطان اسماعيل أن الأمر جد لا تنفع معه الكتاب والسرايا ، فأخذ يستعد لمنازلة خصمه العنيد بنفسه ، وأرسل إلى جميع الاقاليم يطلب

(6) أحمد بن محرز بن الشريف كان وزيرا لعمه السلطان الرشيد ، وبايعه المراكشيون والسوسيون بعد وفاة الرشيد ، ثم دخلت فاس وكثير من قبائل المغرب في طاعته . وجرت بينه وبين عمه السلطان اسماعيل معارك كثيرة ، وأخيرا حاصره السلطان في مراكش نحو سنتين ونصف إلى أن قتل غدرا في منتصف عام 1677/1688 . وحمله عبيد وأنصاره إلى تارودانت حيث دفن . انظر تفاسيل أخبار ابن محرز في : عبد السلام القادري ، التحفة القادرية ، ص 332 وما بعدها . سليمان الحوات ، البدور الضاوية ، ورقة 215 ب

المساعدة بالجند والسلاح وخرج الرماة من فاس وغيرها بعد أن استعدوا استعدادا كبيرا ، والتحقوا بالسلطان في مراكش . ودام تجهيز هذه الحملة الزاوية نحو ستة أشهر ، ثم زحف السلطان اسماعيل الى البربر في 5 صفر 1090/30 مارس 1678 . ولم يكد يقطع وادي العبيد حتى وجد جيش أحمد الدلائي في انتظاره « فكانت الحرب بينهما سجالا ، وأظهر كل فريق قوته وما هو له مريد ووقعت حروب بين الفريقين لم يسمع بمثليها في المغرب ، ولا خير بها من ورخ (كذا) من أمره كل أمر عجيب ... » (8) وانتصر أخيرا السلطان اسماعيل بعد أن سقط في ميدان القتال عدد كثير من الجانبين ، ومات من رماة فاس أربعمائة ، وبلغ مجموع القتلى من البربر ثلاثة آلاف . أمر السلطان اسماعيل أن تقطع رؤوس سبعمائة منهم ، وبعث بها الى فاس مع قائد هذه المدينة عبد الله بن حمدون الروسي . وكان يوما مشهودا في العاصمة الادريسية كومت فيه رؤوس الشوار ، وأطلقت المدافع ، وزينت الاسواق ، وفرح الناس بانتهاء الفتنة . أما أحمد الدلائي فإنه التجأ الى جبال آيت يسرى الوعرة في الاطلس المتوسط ، « وبقي بين ظيرائهم ، وكلمتهم بيده ، وأمره نافذ فيهم نحو من عام وخمسة أشهر وأيام » (9) الى أن توفي يوم الخميس 21 محرم 1091/23 فبراير 1680 . وتتضارب الروايات في سبب موته ، فيزعم البعض أنه أصيب بالوباء الذي كان منتشرًا في تلك الايام بينما يقول آخرون انه اغتيل بأمر من السلطان اسماعيل ، دس له السم ابن بركة كبير آيت بوز وابن راحة كبير آيت مقداد في جبال هسكورة .

2 - العلماء الدلائيون في فاس ومكناس

ما كاد العلماء الدلائيون يستقر بهم المقام في فاس ، بعد اخلاء زاويتهم ، حتى حنوا الى المناجر من جديد وأخذوا يشتغلون بالتدريس كما كانوا يفعلون في الدلاء ، وانتشروا في مساجد المدينة الادريسية ومدارسها يعقدون المجالس العلمية ، ويفيدون الطلبة الذين أقبلوا عليهم اقبالا عظيما ، وكان عدد العلماء الدلائيين الذين تصدروا للتدريس في بادئ الامر يربو على عشرة ، بينهم المحدثون والفقهاء واللغويون والنحاة والادباء ، وفيهم المشاركون في كثير من هذه الفنون كمحمد الم رابط الدلائي ، ومحمد الشاذلي الدلائي ، والحسن

(8) أحمد بن الحاج ، الدرر المتخبط المستحسن ، ج 6 . ورقة 1/43

(9) سليمان الحوات ، البدور الضاوية ، ورقة 1/216

الرئيس (10) . واشتغل بالتدريس الأدب وفروع اللغة في فاس من العلماء الدلائيين أحمد بن المسمناوي ، ومحمد بن أبي عمر ، وأحمد بن الشاذلي ومحمد بن عبد الله بن محمد الحاج وكلهم من أئمة الشيوخ محمد بن أبي بكر الدلائي . كما توجهت طائفة أخرى من أعلام الدلائيين إلى مكناسة الزيتون واستوطنوها طيلة حياتهم . منهم الشيخ عبد السلام بن الشاذلي الذي تولى الإمامة والخطابة بجامعها الأعظم وانتصب للتدريس والافتاء فيها ، وتخرج على يده جماعة من علماء العاصمة الاسماعيلية ثم انفصل المؤرخون عن أسمائهم . أن أن توفي بالطاعون عام 1090/1079 فخلفه في الإمامة والخطابة بجامع مكناس الأعظم أخوه الطيب بن الشاذلي . وكان مثله عالما كبيرا وزاهدا عابدا . اشتغل كذلك بالتدريس والافتاء في النوازل الفقهية . وكان المعتمد في هذا الميدان إلى أن أذركته الوفاة عام 1107/1095 .

وقد عانى العلماء الدلائيون في فاس ألم الغربة أولا . ووقع التضييق عليهم في الحرم التي لجؤوا إليها طيلة عهد ثورة أحمد الدلائي . لكن ذلك كان آخر معاناة أصابهم في فاس ذاقوا بعدها حلاوة العيشة الحرة التي لا قيود فيها ولا حصار وانسجموا مع الفاسيين . وهذا لا يعني أن العلماء الدلائيين قد انحطت قيمتهم العلمية أو عيض جناحهم . بل كان لهم مزيد من الخطوة والشفوف منذ الأيام الأولى التي وطئت أقدامهم أرض فاس حتى أن السلطان الرشيد كان يوليهم كثيرا من الاجلال والتقدير ويحضر بنفسه المجالس العلمية التي كان يعقدها الحسن اليوسفي في القرويين . ويجالس في قصره اليوسفي ومحمد الم رابط الدلائي ويتحدث اليهما في غير كلفة ولا احتراس . وما زلنا نذكر دخول اليوسفي يوما وهو مريض على السلطان الرشيد الذي ضحك من تناول اليوسفي شراب الريحان . ونصحه بأخذ سويق الشعير الذي هو دواء أبناء البادية . وأنشد السلطان الرشيد يوما معرضا بمحمد الم رابط الدلائي الحاضر في المجلس هذا البيت :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدوا له عا من صداقته سد
فقال الم رابط : « يا أمير المؤمنين إن من حسن حظ المرء أن يكون خصمه عاقلا »
فاستحسن الرشيد والحاضرون بدهته وحسن اجابته .

(10) عثت الإمام اليوسفي في جملة الدلائيين - وإن لم يكن منهم - لا رابط مقبره بصيرهم وطول مقامه في الزاوية الدلائية تدعى وأستاذنا . وتزوجته وابجابه الاولاد فيها . والمقاربة البربرية الصنهاجية التي تربط بين اليوسفي والمعاطيين . حتى أن السلطان الرشيد عامله - من بين سائر العلماء الغرباء في الدلا - بما عامل به الدلائيين أنفسهم ورحله معهم إلى فاس

وقد سلك السلطان اسماعيل مع العلماء الدلائيين نفس الخطة التي سلكها معهم أخوه الرشيد من قبل ، فأحاطهم بمظاهر الاجلال والاحترام ، وولى منهم الشيخ محمد الرابط الخطابة بالمدرسة المتوكلية (11) وهي أهم المدارس بفاس . ثم أسند هذا المنصب الديني الهام بعد وفاة الرابط الى أخيه محمد الشاذلي الذي بقى يخطب ويدرس في المدرسة العنانية أعواما عديدة ، وخلفه فيها بعد موته محمد بن عبد الرحمن الدلائي الذي عده المؤرخون آخر خطباء المغرب ، لانه بالاضافة الى غزارة علمه وجمال خلقته وأناقته برته ، كان «صيتا فصيحاً جهورى الصوت حلوه . وله تأليف فى الخطب لم يؤلف مثله ، وجميع الخطباء عيال عليه» (12) . ثم نقل السلطان اسماعيل محمد بن عبد الرحمن الدلائي للخطابة فى مسجد الشرفاء الذى هو ضريح المولى ادريس الثانى ، فكان الناس يقصدون هذا المسجد من كل أنحاء المدينة ويزدحمون للانصات الى هذا الخطيب المقوم . وتأثر المؤرخ محمد بن الطيب القادري فى صفوه باحدى هذه الخطب ، وقال فى ترجمة ابن عبد الرحمن الدلائي : «... ولم أدرك القراءة عليه ، لكن رأيت مرة واحدة فى صغرى يخطب على منبر جامع الشرفاء ، وصوته يسمع فى تواحي المسجد ، اذ كان صيتا جدا» (13) .

وقد تطور مركز الدلائيين فى فاس بسرعة ، ولم يعد أعلامهم يضاهون العلماء الفاسيين فحسب ، بل بذوهم وغبروا فى وجوههم ، «واحتلوا الصدارة من الارستوقراطية الدينية والفكرية فى فاس» (14) اذ تكونت طبقة جديدة من العلماء الدلائيين ولدوا فى فاس ونشئوا بها ، فكانت صلتهم بالمدينة أقوى وأمتن من صلة آبائهم ، وسلمت عقولهم من التفكير فى الغربية ، وأفتدتهم من الحنين الى الزاوية المتهدمة ، الا ذكريات عابرة غير ذات أثر . وتم بذلك انحصار الدلائيين وامتزاجهم التام بالفاسيين . ومن أشهر هذه الطبقة من الدلائيين محمد بن أحمد بن الشاذلي الذى كان اماما فى اللغة والادب ، مبرزا فى العروض والقوافى منفردا بهذا الفن فى فاس ، وعنه أخذ كل من تعاطى الاوزان الشعرية فى العاصمة العلمية فى عصره . وقد بدأ شرح رائية الامام اليوسى فى رثاء الزاوية الدلائية لكنه توفى قبل اتمامه ، عام 1137/1724 - 1725 . فأكماله ابن عمه القاضى محمد المبكرى الدلائي الذى كان اماما خطيبا فى ضريح المولى ادريس ، مدرسا بجامع القرويين ، متوليا القضاء والفتيا فى

(11) المدرسة المتوكلية من المدرسة العنانية المشهورة بحى الطالعة بفاس

(12) سليمان الحوات ، الدور الضاوية ، ورقة 248/ب

(13) محمد بن الطيب القادري ، نشر الثانى ، 217:2
(14) LEVI PROVENÇAL, LES HISTORIENS DES CHORFAS, p. 300.

فاس ، وألف في النوازل الفقهية وفي الأدب ، وكانت وفاته عام 1174/1761 .
ثم تولى قضاء فاس من بعده ابنه أحمد البكري ، وكان مثله فقيها أديبا « يعنى
بأيام العرب وأشعارها وحكمها وأمثالها ، ويحفظ من ذلك قدرا كثيرا ، مع
معرفة بالتاريخ والحساب .. » (15) واستدعاء السلطان محمد بن عبد الله
ليعلم ابنه عبد السلام في تارودانت ، وسماه قاضيا في هذه المدينة ، فاشتغل
بالتدريس والخطابة في مسجدتها الأعظم ، واستفاد منه كثير من طلبة الاصقاع
الموسمية الى أن توفي هناك عام 1198/1784 .

واتصلت حلقات العلماء الدلائين في فاس الى النصف الاخير من القرن
الماضي . ونجد الشيخ محمد المكي الدلائي الذي عاش الى عام 1241/1825 -
1826 يعتبر امام المعقول والمنقول في فاس . صاحب الشيخ أحمد التجاني وأخذ
عنه الطريقة ولازمه طيلة حياته الى أن بلغ على يده درجة عالية من الصفاء
الروحي . وقد كتب السلطان سليمان بن محمد بن عبد الله (1206 - 1238/
1792 - 1822) تظهيراً بتوقيع هذا العالم الدلائي ، بعث به الى كاتبه في فاس
أحمد الرفاعي ، والى القاضي العباس بن سودة يقول لهما : « .. فنامر كما أن
تقر (كذا) الفقيه العلامة سيدي المكي الدلائي في مسجده الكائن بحومة زقاق
الرواح على حاله من الإمامة والتدريس لحفضه (كذا) لكتاب الله العزيز
واعتنائه (كذا) بمجالس الدرس وعلى ما يجده من ظواهر أسلافنا الكرام وغيرهم
المتضمنة لتوقيعهم واحترامهم فعلينا الاقتداء بمن مضى والاخذ بما أخذهم كما
تلقوا ذلك بالقبول والرضى وعلى هذا يكون عملكما والله يعينكما والسلام .
وفي ثالث صفر الخير عام احدى (كذا) وعشرين ومائتين وألف » (16) وقد
ألف في ترجمة الشيخ محمد المكي الدلائي ابنه محمد كتابا سماه : **بغية الراي**
بالتعريف بالشيخ أبي عبد الله سيدي المكي الدلائي . ويستحدث بشيء من
التفصيل عن أهم شخصية دلائية برزت في فاس ، وهي شخصية الامام محمد
المسناوي الذي انتهت اليه رئاسة العلماء في فاس دون منازع ، وأصبحت له
السيادة المطلقة في التدريس والافتاء والتأليف .

محمد المسناوي الدلائي شيخ الجماعة بفاس

أبو عبد الله محمد المسناوي بن أحمد بن محمد المسناوي بن الشيخ
محمد بن أبي بكر الدلائي . ولد في الدلاء عام 1072/61 - 1062 وجاء به والده
الى فاس بعد تخريب الزاوية الدلائية وهو ابن سبع سنين فدرس على علماء

(15) سليمان الخوات . الدور الضاوية . ورقة 246/1

(16) محمد بن المكي الدلائي . بغية الراي . ورقة 4/ب

أسرته وغيرهم من القادريين والفاسيين . كما أخذ عن الإمامين الحسن اليوسر وعبد الملك التجموعتي ، وبقي ينهل من معين العلم ويعمل إلى أن تخرج عالما كبيرا . . . وقد أعطى ملكة التدريس والفتيا ، وسلم له أعيان عصره ورئسها العليا ، وانفرد برئاسة العلم في وقته وعصره . كان المرجع في معضلات المشاكل سواء من طرف السلطان المولى اسماعيل أو من طرف علماء الوقت (17) .

وامتاز محمد المسناوي زيادة على علمه الواسع بجمال الخلقة وحسن السميت وكثرة الوقار . فكان لباسه بالغ الحد في النظافة والانتافة ، وكلامه غاية في اللطف والنبيل ، ومجلسه محاطا بالهيبة والسكون ، لا يجرؤ أحد أن يعبت أو يلهو في حضرته ، ويحضر دروسه العالية علماء المدينة وطلبتها على السواء . . . وإذا أخذ في تقرير مسألة يأتي على وجوه احتمالاتها ، ولا يدع شيئا مما يقع في نفوس الحاضرين من مؤولاتها ، مما يقتضيه بحث المعقول والمنقول ، مع وجود التحرير التام . . . » (18) واشتغل محمد المسناوي بتدريس جميع العلوم المعروفة في عصره واهتم في مقتبل عمره بالفقه ، والبلاغة ، والمنطق ، والأدب ، والتاريخ ، وكان يواظب على اقراء تلخيص المفتاح للخطيب القزويني بالشرح الصغير لسعد الدين التفتازاني ، و مختصر الشيخ السنوسي في المنطق . ثم انقطع آخر حياته لتفسير القرآن الكريم ، وقراءة صحيح الإمام البخاري . وتكاثر عدد تلاميذ الإمام المسناوي في فاس ، وغصت رحاب القرويين بالآخذين عنه وتعلمذ له كل من كان يتعاطى العلم بالطلب أو التدريس وأصبح شيخ الجماعة باتفاق . وقد قال عنه بروفسال بحق : « إن أكثر كتاب التراجع في القرن الثامن عشر يعدون من تلاميذه » (19) . ولم يقتصر نشاط الإمام المسناوي على التدريس فحسب ، وإنما اشتغل في نفس الوقت بالتأليف ، وتمتاز كتابة هذا الإمام بالدقة في التعبير مع السلاسة والوضوح . وقد خلف تراثا فكريا هاما يدل على عقل جبار ، وذكاء وقاد ، وتحرر في التفكير غريب في ذلك العصر . وما بالك ببقية مالكي يعتبر شيخ الجماعة بفاس والاستاذ الأول في القرويين ، يجرؤ على نقد المذهب ومخالفة ما تواضع عليه فقهاء المالكية من سدل اليدين في الصلاة ، ويؤلف كتاب نصره القبض والرد على من انكر مشروعيته في صلاتي النفل والفرض . على أن قوة ادراك الإمام المسناوي وسعة أفقه العلمي إنما تظهران بجلاء في كتابين صغيرين من مؤلفاته تعرض

(17) محمد بن الخطيب القادري ، نشر الثاني ، 204:2

(18) نفس المصدر ونفس الصفحة

(19) E. LEVI-PROVENÇAL, LES HISTORIENS DES CHORFAS, P. 301.

فيهما لمبحثين فقهيين عامين ، هما الذمة ، والتوكيل . وقد سمي الاول عنهما
مرف الهمه الى تحقيق معنى الذمة ، وركبه على سابقة ، ومقتصدتين ، ولاحقة .
 تكلم في السابقة عن معنى الذمة لغة وشرعا ، وفي المقصد الاول عن تعريف
 ابن عبد السلام وابن عرفة للذمة ، ولخص في المقصد الثاني ما للمصنف
 القرافي ، وابن الشاط في الموضوع وبحث معهما في بعض الامور ، وذكر أربع
 مسائل : (1) تعريف الذمة اعتمادا على ما للقرافي وابن الشاط . (2) شروط
 الذمة . (3) الفرق بين الذمة وأهلية المعاملة والتصرف . (4) البحث في أن الذمة
 وأهلية المعاملة هل هما من خطاب الوضع أو من خطاب التكليف ، وجعل الملاحقة
 في مسابقة السؤال المرفوع اليه في الموضوع . أما الكتاب الثاني فهو
تقييد كاشف عن أحكام الاستنابة في الوظائف . جعله في ثلاثة مباحث .
 المبحث الاول في التوطئة للمقصود بالذات ببيان ما تصح فيه النيابة ويجوز
 التوكيل وما لا يصح فيه ذلك ولا يجوز . ويشتمل على سابقة في معنى النيابة
 والاستنابة والوكالة ، وعطّل في حكم ذلك وعمله ، وما يتعلق به ويساويه
 من أجله ، ولاحقة فيما يلتحق بما سبق وينبغي عليه ، من بيان ما يصح نقل
 نوابه الى الغير وما لا يصح نقله اليه . المبحث الثاني في المقصود بالذات من
 حكم الاستنابة في الوظائف التي عليها مرتب معلوم . وينقسم - كالأول -
 الى طائفة : في الارزاق والاجارات والاقواف ، وما بينها من ائتلاف واختلاف .
 ومقصد في حكم الانابة في الوظائف التي يؤدي عنها أجر ، ولما يكون أجزاها
 حينئذ هل للمستنيب أو للنائب . وتابعة : في الكلام على ما تبع ذلك من
 النواب الآجل ، وحكم فائدة أيام العطلة المعجل . وذكر في المبحث
 الثالث أو الخاتمة كلام فقهاء المذاهب الأخرى غير المالكية في موضوع الاستنابة
 ليتسع مجال نظر القارئ . ويطلع على الخلاف العالي وأسواره .

وقد كاد الامام المسناوي يتعرض لمحنة شديدة على يد السلطان اسماعيل ،
 لولا أن تدخل بعض رجال البلاط لصالحه وأثبتوا براءته . ذلك أن الامير محمد
 العالم ابن السلطان اسماعيل كان من أخص تلاميذ الامام المسناوي وأقربهم
 اليه . ولما ثار محمد العالم في مراكش بقي يرأسل أستاذ المسناوي واغتنم
 بعض منافسي الشيخ هذه الفرصة فأوغروا صدر السلطان عليه ، واتهموه
 بإطلاعه على خطة الامير الثورية وممالأته اياه على ذلك . غير أن أنصار الامام
 المسناوي أكدوا للسلطان أنه كان ينهى تلميذه محمد العالم عن الثورة ،
 واشدوا له قوله :

مبلا فان لكل شيء غاية
والدهر ليس يلوح ساطع نوره
والشمس ظاهرة السنا في الحال
يبدو تبدو تعزز وجمال (20)

فاستحسن السملطان ذلك وتحقق من براءة الشيخ. وعاش الامام المسناوي
خمس وعشرين سنة مقبلا على العلم ، وعلى العلم وحده . كان ينتقل من
تدريس بالقرويين او المدرسة العنانية الى البحث في المشاكل الفقهية
وتدريسها في الكتب ، او الى ارشاد الناس الذين يستفتونه في الاحكام
والعاملات . وقد جمعت فتاوى المسناوي في مجلد ضخيم ظل المرجع الهام لرجال
الفناء والفتيا حتى اليوم . ولم تنحصر شهرة هذا الامام داخل أسوار فاس ،
بل انتشرت في المغرب كله ، وقصده العلماء من سائر النواحي يأخذون عنه
ويستجيزونه ، فأجاز عددا كبيرا منهم (21) ولما أحس المسناوي بدنو أجله
نظم قصيدة يضرع فيها الى الباري عز وجل وأوصى أن يشيع بها الى قبره ،
ومنها :

يا رب عطفنا على مسمى
فجاء فردا بغير زاد
أتى به القوم للمقابر
وخلف الاهل والعشائر

وقد جرى عمل الناس في فاس بعد ذلك بقراءة هذه القصيدة عند تشييع
المتوفى . وتوفي الشيخ المسناوي يوم 16 شوال 1136/1724 فكان موته مآتما
للمدينة كلها ، وشييعه جميع السكان في محفل رهيب الى مدفنه في قبة سيدي
العايدي خارج باب الفتوح ، وكسروا النعش الذي حمل عليه ، وأخذ كل واحد
قطعة صغيرة من الخشب تبركا بالامام المسناوي الصالح . ورثاه ابن عمه
محمد اليكزي بقصيدة مطلعها :

أنى القلب أن يسلمو ودعوى تحسدا
فكنكفنته أبغى بذلك تستورا (22)

(20) محمد اكسوس ، الجيش العرموم ، ورقة 66/1 . وهذه الابيات من قصيدة تكون من 53 بيتا .
مطلعها :
أهدى السلام معتب الاذيان
كان الامام المسناوي نعمت بها الى تلميذه الامير محمد العالم بسوس في مجلة المراسلات
الادبية بينهما

(21) أنظر بعض اجازات المسناوي لعلماء عصره في : سليمان الحوات . البدور الفاوية .
ورقة 186/ب وما بعدها

(22) أراجع في ترجمة محمد المسناوي الى : محمد القادري ، نشر الثاني ، 204:2 - 208 . ومحمد
الكثامي ، سلوة الاتقاس ، 44:3 وما بعدها . وسليمان الحوات ، البدور الفاوية .
ورقة 182 وما بعدها . والى البازلي ، حقائق الاذهار . الابيات 30 - 148 . والى
المضلي . الدرر البهية ، 342:2 . والى :
LEVI PROVENÇAL, LES HISTORIENS DES CHORFAS, pp. 301-302.

ب) تلاميذ الدلائيين في فاس

يصعب على المرء أن يحدد عدد التلاميذ الذين تخرجوا على يد الدلائيين في فاس ، لاسيما وقد تعاقب عدد وافر من علماء هذه الاسرة على التدريس في العاصمة العلمية زهاء قرنين ، وكاد يكون جميع العلماء الذين عاصروا الامام المسناوي الدلائى من تلاميذه . غير أنه ينبغي أن أشير إشارة خاطفة الى طائفة قليلة من الاعلام الذين كان للدلائيين فضل تكوينهم وتثقيفهم . وساقصر على ذكر بعض تلاميذ ثلاثة من العلماء الدلائيين الاولين : محمد الشاذلي ، ومحمد المرباط ، ومحمد المسناوي .

أما محمد الشاذلي فمن أشهر الآخذين عنهم في فاس المؤرخان الكبيران الاخوان القادريان عبد السلام والعربي . ويعتبر عبد السلام القادري (1110/1698) (23) من أشهر المؤلفين في تراجم العلماء والشرفاء والصالحين ، وعن تأليفه العديدة كتاب ترجم فيه لوالد شيخه الشاذلي الدلائى وجده سباه . **نزعة الفكر في مناقب الشيخين سيدي محمد ووالده سيدي أبي بكر** . وكان العربي بن الطيب القادري (1106/1695) نسابة ثقة كأخيه مشاركا في كثير من العلوم الدينية كالحديث والفقه ، ومن تأليفه كتاب **في وفيات أولاد الشيخ عبد القادر الجيلاني** . كما أخذ عن الشاذلي الدلائى أيضا أبو العلاء ادريس النجرة - الكبير - (1137/24 - 1725) امام القراء في فاس وشيخ الجماعة بالمغرب صاحب الفهرست المسماة **عذب الموارد في رفع الاسانيد** ، التي ترجم فيها لشيخه في المغرب والمشرق .

ومن تلمذ لمحمد المرباط الدلائى في فاس محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر القاسمي (1134/21 - 1722) مؤلف **المنح البادية في الاسانيد العالية** ، وفيه يقول عن المرباط : «شيخنا الامام النحوي الخطيب أبو الرضى محمد بن الفقيه الصالح أبي الاحسان محمد بن الولي الشهير أبي بكر .. المرباط ، سمعت منه أوائل الكتب الستة ، وسيرة ابن سيد الناس ، وأجازني فيما له وكتب لي ذلك بخطه ..» (24)

وأبو العباس أحمد بن علي الوجاري (1141/28 - 1729) الامام اللغوي الكبير الذي كادت تكون كل دراساته على الشيخ المرباط ، ثم انتصب للتدريس في فاس مدة طويلة وتخرج على يده أكثر علماء البلد . ولم يؤلف الوجاري كتابا في حياته ، وإنما ترك تقايد كثيرة جمع ما يتعلق منها بالنحو في مجلد ضخم .

في الارغام المكتوبة بين قوسين في هذا الفصل ترمز الى سني الوفاة
محمد بن عبد الرحمن القاسمي . المنح البادية . ص 5

وأخذ عن الاعام محمد المسناوي الدلائى فى فاس خلق كثير ، فى مقدمتهم
 المزيخ المشير محمد الصغير الافرانى المراكشى (1140/27 - 1728) صاحب
 الأيادى البيضاء على التاريخ المغربى ، ومؤلف أشهر الكتب وأوثقها فى تاريخ
 الدولتين السعدية والعلوية ، مثل **نزهة الجادى فى أخبار ملوك القرن الحادى** ،
 و **صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادى عشر** ، وفيهما يذكر شيخه المسناوى
 وينقل عنه . وأبو عبد الله محمد العلمى الحوات (1100/1747) قاضى شفشاون
 ومؤلف كتاب **تحفة المعاصر فى بعض صالحى تلامذة أبى عبد الله محمد بن**
ناصر ، وهو والد أبى الربيع سليمان الحوات صاحب **البدور الصاوية فى**
أخبار السادات أهل الزاوية الدلائية ، ويروى سليمان الحوات فى هذا الكتاب
 كثيرا عن أخبار الدلائيين عن والده رواية شافهة مستمدة من الدلائيين أنفسهم
 أو يقبض من كتاب **تحفة المعاصر** . كما تتلمذ للمسناوى أحمد بن عبد الوهاب
 الوزير الغسانى (1146/33 - 1734) الأديب المنشئ المترسل البارغ صاحب
 التأليف الكثيرة ، ومنها **رسالة فى التعريف بالشيخ المسناوى** . ومحمد بن
 الطيب العلمى (1134/21 - 1722) الأديب الكبير الذى فتن أهل فاس بشعره
 وألف كتاب **الانيس المطرب فيمن لقيهم مؤلفه من أدباء المغرب** ، وفيه
 يذكر شيخه المسناوى الذى كان ينافح عنه فى مساجلات أدبية ، ويرد على
 انتقادات بعض الأدباء لقصائد العلمى (25) . وأبو عبد الله محمد بن الحسن
 الكندوز (1148/35 - 1736) إمام اللغة والنحو فى عصره ، وأستاذ محمد بن
 الطيب القادري صاحب كتاب **نشر المثانى** . ويعتبر أبو عبد الله محمد بن
 الطيب الشرقى (1170/36 - 1757) من ألمع تلاميذ المسناوى ، تربطه بالشيخ
 زيادة على العلم رابطة الدم . وقد برز الشرقى فى علوم اللغة تبريرا تاما
 وأخذها عنه علماء المغرب والشرق ، وألف فى اللغة كتبا عظيمة ، مثل **المسفر**
عن خبايا المزهى الذى شرح فيه كتاب السيوطى فى علوم اللغة ، و **الحاشية**
الكبرى على قاموس الفيروزبادى فى أربعة مجلدات ضخمة ، ومنها **استمد**
تلميذه الشيخ مرتضى فى كتابه تاج العروس بشرح القاموس .
 ومن أشهر محدثين والفقهاء الذين تلمذوا للإمام المسناوى محمد بن عبد
 الرحمن ابن زكوى (1144/31 - 1732) العالم الثرى صاحب **شرح البغارى**
 و **القصيدة الهمزية التى عارض بها حمزية الإمام البوصيرى الشهيرة** ،
 و **شرحها فى مجلدين** . ومحمد بن عبد السلام بنانى (1163/49 - 1750) العالم
 التصوف الرحالة صاحب **شرح الاكتفا للكلاعى فى ستة مجلدات** ، و **شرح**
الزرقانية فى الأحكام الفقهية و شرح الحزب الكبير للشاذلى . ومحمد بن قاسم

جسوس (1182/68 - 1769) المحدث الكبير الذي طال عمره وكثر تلاميذه حتى
عد شيخ الجماعة في فاس ، ومن تأليفه شرح مختصر خليل في تسعة مجلدات .
ومحمد بن حمدون بنائي (1140/27 - 1728) فقيه فاس وعالمها الكبير الذي
كان إليه المرجع في الفتيا وتحقيق الوثائق ، وأبو العباس أحمد بن مبارك
السجلماسي (1156/43 - 1744) الحافظ الكبير والفقيه الذي كاد يبلغ درجة
الاجتهاد ، وهو مؤلف كتاب الذهب الابريز في مناقب سيدي عبد العزيز
- الدباج - . وكذلك كان الامير محمد العالم بن السلطان اسماعيل
من اخص تلاميذ الامام المسناوي وأقرب الناس اليه ، لازم
دروسه بمدة طويلة الى أن تخرج على يده عالما مشاركاً في اللغة وقواعدها ،
والفقه والاصول ، وأديبا ماهرا يجيد الشعر والترسل . وظل الامير محمد
العالم على اتصال دائم بأستاذه المسناوي حتى بعد تزوجه الى تارودانت (26).
وقد مدح هذا الامير أستاذه المسناوي بقصيدة بعث بها اليه من مراكش أيام
قيامه بالثورة في هذه المدينة ، فأجابه المسناوي عنها بقصيدة أخرى مظهرها .
أنسيم الرياض بالاسحار عاجك اليوم أم شجبي الاوتار

3 - الكتب التي ألفها الدلائيون

اهتم الدلائيون بالتأليف منذ بروزهم في الميدان العلمي . وأول من دون
منهم كتابا هو الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي الذي جمع أربعين حديثا
نبويا على نحو ما فعل الامام النووي وغيره من المحدثين ، وأضاف الى كل
حديث قصة تناسب موضوعه من قصص الوعاظ والزهاد . ثم ألف أبناء
الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي وأحفاده كتبا كثيرة في الحديث والسير
النبوية ، والفقه ، والاصول ، واللغة ، والنحو ، والصرف ، والادب ، والانساب
وغير ذلك من المواضيع المختلفة . وقد وصلت الينا - لحسن الحظ - جل
مؤلفات الدلائين ، ولم يعد الدهر الا على أقلها . غير أن بعضها ما يزال مبعثرا
كالدواوين الشعرية التي توجد منها نتف هنا وهناك ، والتي لو جمعت
ودرس على الوجه اللائق لكونت مادة أدبية طريفة ومشرفة للمغرب في نفس
الوقت . وقد كانت كتب الدلائين تحدث دويا عظيما في الاوساط العلمية ،
يردد صدها المغرب كله ، وحتى المشرق أحيانا ، كما حدث عندما ألف محمد

(26) كانت نهاية الامير محمد العالم محزنة . إذ تار على والده السلطان اسماعيل واستولى على
مراكش عندما كان نائبا عنه في إقليم سوس . ثم تغلب عليه أخوه زيدان وحطه مقيدا
الى والده بمكناس . وقيل أن يصل الى العاصمة بعث السلطان اسماعيل من قطع يد محمد
ورجله من خلاف في وادي بهت - بين الخميسات ومكناس - وحمل محمد العالم في حالة
مزربة الى مكناس فلم يدخلها حتى مات عام 1116/4 - 1705

المربط الدلائى كتاب نتائج التحصيل فى شرح التسهيل ، فى أربعة مجلدات .
فقد سارت بذكره الركبان ، وطلبه علماء المشرق ، وبيعت بعض نسخه فى
مصر بأثمان باهظة ، وقرظه من علماء الازهر الامامان أحمد شهاب وعبد القادر
ابن الجلال المحلى .

وقد أثبت هنا - فى جدول - ما وقفت عليه من أسماء مؤلفات الدلائيين ،
وبينت المكتبات العامة أو الخاصة التى توجد فيها ، الا كتب قليلة لم أعرف
سببها عن المكان الذى توجد فيه وضعت أمامها علامة استفهام (؟) على أمل
العثور عليها فى الخزانة الملكية أو فى غيرها من مكتبات الخاصة ، وأردفت
ذلك بجدول آخر ذكرت فيه الكتب التى ألفت فى الدلائيين ، دون أن أثبت فيه
ما ألقه الدلائيون أنفسهم فى ذويمهم ، مكتفيا بإيراد ذلك فى الجدول الاول .

(أ) جدول مؤلفات الدلائيين

اسم الكتاب	المؤلف	مكان الكتاب
------------	--------	-------------

الحديث والسيرة

1	أربعون حديثاً	محمد بن أبي بكر الدلائلي	مخطوطة خ. ع. 1295 ج
2	الزهر الندي في الخلق المحمدي	محمد بن عبد الرحمن الدلائلي	مخطوطة خ. ع. 1357 د
3	زهر الحقائق وخلاصة الحقائق من سيرة سيد الخلائق وما يستتبع ذلك من النكت والدقائق	" "	مخطوطة خ. ع. 300 ك
4	نجر الثرى بسيد الورى	" "	؟
5	شرح الشفا للمقاضي عياض	الشرقي بن أبي بكر الدلائلي	؟
6	شرح ثان للشفا	أبو عمر بن محمد الدلائلي	؟
7	شرح ثالث للشفا	محمد بن عبد الرحمن الدلائلي	؟

الفقه والاصول

8	تأليف في النوازل الفقهية	محمد البكري الدلائلي	؟
9	تقييد كاشف عن احكام الاستنابة في الوظائف	محمد المسناوي الدلائلي	مخطوطة خ. ع. 579 ج و 1995 د
10	المعارج المرتقاة الى معاني الورقات	محمد المرباط الدلائلي	مخطوطة خ. ع. 270 ك طبع في تطوان
11	نصرة القبض ، والرد على من أنكر مشروعيته في صلاتي النفل والفرض	محمد المسناوي الدلائلي	؟
12	نوازل المسناوي	" "	طبع على الحجر بقاس عام 1345 هـ في 298 صفحة
13	تأليف في الاصول	الشرقي بن أبي بكر الدلائلي	مخطوطة خ. ع. 579 ج
14	صرف الهممة الى تحقيق معنى الذمة	محمد المسناوي الدلائلي	؟
15	شرح مختصر ابن الحاجب	أحمد الحارثي الدلائلي	؟

اللغة وقواعدها

16	حاشية على المطول للتفتازاني في البلاغة	الشرقي بن أبي بكر الدلائلي	في خ. ع. وفي مكتبة خاصة بسوس
17	نتائج التحصيل في التسهيل 4 مجلدات	محمد المرباط الدلائلي	؟

ع. ع. ترمز الى الخزائنة العامة بالرباط - قسم الوثائق
ذكر المؤرخ بوجندار في مقدمة الفتح (ص 150) أن شرح التسهيل هذا موجود في مكتبة الجامع الاعظم بالرباط - وهي تابعة للخزائنة العامة - كما أخبرني الاستاذ الحسن اليونساني أنه وقف على هذا الترحح بخط الامام أبي العباس الصوايني في ريشات ماسة بسوس

اسم الكتاب	المؤلف	مكان الكتاب
فتح اللطيف على البسط والتعريف	محمد المراتب الدلاني	طبع على الحجر بفس
في علم التصريف	محمد والبكري الدلانيان	عام 1310
شرح رالية اليوسى فى رثاء الزاوية الدلالية	محمد المراتب الدلاني	مخطوطة ج. ع. 245 ك
شرح الفية ابن مالك فى مجلدين	محمد المراتب الدلاني	؟

الادب

البركة البكرية فى الخطب الوعظية	محمد المراتب الدلاني	توجد اولها فى مكتبة ابن غازى بمكناس
تأليف فى الادب	محمد البكري الدلاني	؟
تأليف فى الخطب	محمد بن عبد الرحمن الدلاني	؟
تحريرك الساكن وتهيج الشوق الكامن الى زيارة طيبة ومن بها ساكن رحلة حجازية نظمية	" " "	؟
الدرة الدرية فى محاسن الشعر وغرائب العربية	محمد المراتب الدلاني	مكتبة خاصة بطنجة
ديوان شعر	" " "	" "
ديوان شعر	محمد بن محمد المراتب	مخطوطة ج. ع. 3179 ك
زهرة الوسائل فى المدح والرسائل	" " "	مخطوطة ج. ع. 3312 ك
كراسة من ديوان	أحمد الجارنى الدلاني	مخطوطة ج. ع. 2678 ك
فتح الانوار فى بيان ما يهين على مدح النبي المختار وهو كتاب فى الموسيقى والامداد النبوية	محمد بن العربي الدلاني	و 74 ك

الانساب

بغية الرائي فى التعريف بالشيخ أبي عبد الله محمد المكي الدلاني	محمد بن محمد المكي الدلاني	مخطوطة ج. ع. 2696 ك
نقطة القاصد النواوى فى التعريف بالشيخ عبد السلام المستاوى	بعض أقارب المستاوى الدلاني	مكتبة ابن غازى بمكناس
ترجمة الشيخ محمد العراقى	محمد بن العربي الدلاني	مخطوطة ج. ع. 960 د
التعريف بالاشراف الادارسة الجوطيين	محمد المستاوى الدلاني	مخطوطة ج. ع. 537 د
التعريف بالشيخ أبي العباس اليمنى	" " "	و 1632 د
تقييد مشتمل على فروع بنى عمران	" " "	مخطوطة ج. ع. 471 د
تقييد فى الاشراف الذين لهم شهرة بفاس	" " "	و 1614 د
جهد المقل القاصر فى نصرة الشيخ عبد القادر	" " "	مخطوطة ج. ع. 1632 ك
	" " "	مخطوطة ج. ع. 487 د
	" " "	مخطوطة ج. ع. 579 ج

اسم الكتاب	المؤلف	مكان الكتاب
39 جواهر السماط في مناقب عبيد الله الخياط	محمد المساوي الدلائي	الخزانة الاحمدية بفاس
40 درة التيجان ولقطة المؤلوس والمرجان	محمد بن عبد الرحمن الدلائي	مخطوطات مخ. ع. 408 و 522 و 1160 و 1234 في طبع على الحجر بفاس
41 نتيجة التحقيق في بعض اهل الشرف الوثيق	محمد المساوي الدلائي	

مواضيع مختلفة

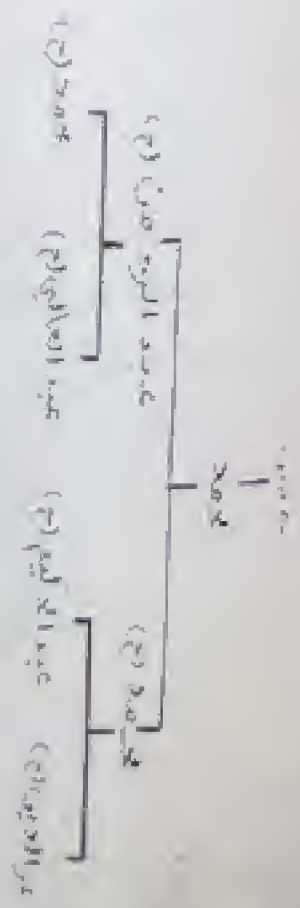
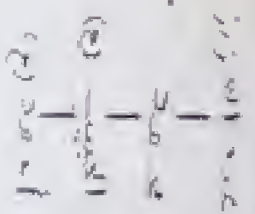
42 تقايد جيدة في فنون مختلفة	محمد المساوي الدلائي	كانت عند مؤلف السلوة مخطوطة مخ. ع. 1081 د
43 جواب على ما يقع في زمان المسغبة من كثرة السؤال	محمد البكري الدلائي	؟
44 انتهى سرولي واشراق في مسامرة الشريف العراقي	محمد بن أبي بكر الدلائي	يوجد طوف منها بمكتبة الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني
45 الفهرست	محمد المساوي الدلائي	مخطوطة مخ. ع. 984 د ؟
46 فوائد في التصوف	محمد المساوي الدلائي	
47 شرح نظم الراصد ، لابي حامد العربي الفاسي	محمد المساوي الدلائي	
48 كناسة علمية	" " "	الخزانة الفاسية

درة التيجان . رجل في نحو 500 بيت ذكر فيه محمد بن عبد الرحمن الدلائي شرفا . المغرب وقد شرحه محمد بن أحمد الفاسي شرحا مفيدا في مجلده وسط . ورد تقييد الشرفاء الادارسة الجوطيين عبد الرحمن بن عبد القادر الجوطي على ابن عبد الرحمن الدلائي وشيخه عبد السلام القادري صاحب كتاب الدر السني . لانهما رفعا نسب الاسرة الغالبية الى جوطية . وذلك في أرجوزة من 105 بيت مطلعها :
سلام داخل حمى النسي
عملك يا محمد البكري
وانتصر للدلائي مؤرخان كبيران هما محمد بن الطبيب القادري الذي نظم أرجوزة تستمل على 603 بيتا سماها الصوارم الفتكية . ونظم أبو القاسم الزياتي أرجوزة أخرى من 99 بيتا مطلعها :
حمدا لمن أنزل في الذكر الحكيم
أكرمكم اتفاقا لله العظيم

(ب) جدول الكتب التي ألفت في الدلائيين

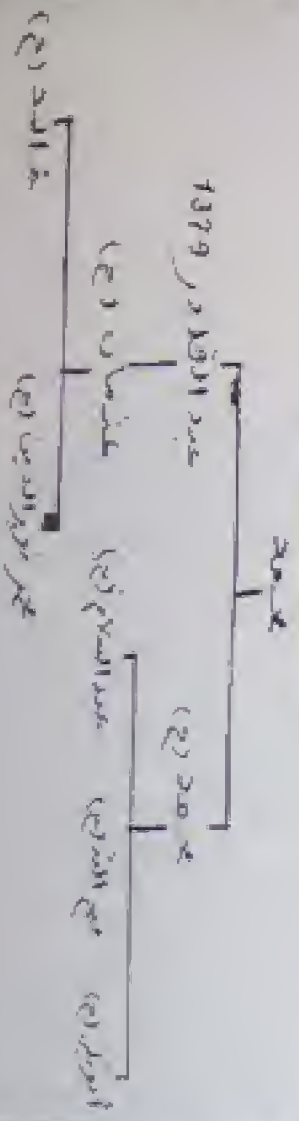
اسم الكتاب	المؤلف	مكان الكتاب
1 البذور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية	سليمان الخوات	مخطوطات خ. ع. 261 د و 1454 د و 2943 ك
2 اختصار البذور الضاوية	أحمد البوعزاوي	؟
3 اختصار ثان للبذور الضاوية	محمد إبراهيم الكتاني	خزانة المؤلف
4 اختصار ثالث للبذور الضاوية	العابد القاسي	الخزانة القاسية
5 تأليف في أسانيد الشيخ محمد ابن أبي بكر الدلائي	الحافظ أحمد القاسي	؟
6 تأليف في ترجمة محمد السنائي	محمد حمزة العياشي	في سجل الخزانة الحمزاوية
7 تأليف آخر في ترجمة محمد السنائي الدلائي	أحمد بن عبد الوهاب الوزير القسائي	نقله برمته سليمان الخوات في البذور الضاوية 263 د ورقة 184/ب وما بعدها
8 حقائق الإزهار الندية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية البكرية	محمد بن أبي بكر البازغي	مخطوط خ. ع. 261 د
9 ديوان يشتمل على قصائد في مدح الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي	مجهول	مخطوط خ. ع. 3312 ك
10 نزهة الأخيار المرضيين في مناقب العلماء الدلائيين البكرين	عبد الودود بن عمر التازي	مخطوط خ. ع. 1264 ك
11 نزهة الفكر في مناقب الشيخين سيدي محمد ووالده سيدي أبي بكر	عبد السلام بن الطيب القادري	الخزانة القاسية
12 القصيدة الرائية في رثاء الزاوية الدلائية	الحسن اليرسي	مخطوط خ. ع. 163 د
13 شرح درة التيجان	محمد بن أحمد القاسي	مخطوط خ. ع. 1432 ك
14 شرح رائية اليوسى في رثاء الزاوية الدلائية - في ستة أسفار ضخام	محمد بن المهدي ابن سودة	خزانة أبناء المؤلف في قاس

شجرة النشوء والتطور

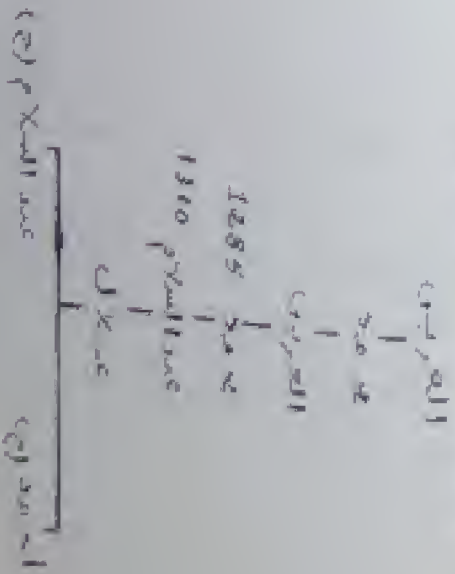


256

شجرة النشوء والتطور



شجرة النشوء والتطور



مقالة بيولوجية عن شجرة النشوء والتطور، والتي تشرح العلاقات التطورية بين الكائنات الحية. هذه المقالة هي جزء من سلسلة مقالات علم الأحياء التطوري، والتي تهدف إلى توفير نظرة شاملة على هذا المجال. المقالة تغطي مواضيع مثل: شجرة النشوء والتطور، العلاقات التطورية، والبيولوجيا الجزيئية.

4 - بقايا البيت الدلائي

(أ) مساكن قبيلة مجاط اليوم

عرفنا في الباب الاول أن أصل الدلايين من مجاط ، وهي قبيلة بربرية من صنهاجة (27) التي كانت تسكن في القديم أقاصي الصحراء الغربية حيث لا يزال بعضهم هنالك حتى اليوم يكتبون بالحروف البربرية القديمة . واستوطن المجاطيون الذين ظلعوا الى المغرب قديما ملوية العليا ثم انتشروا في جبال الاطلس ، وعمرت طانغة منهم - مع أربع قبائل أخرى - مدينة محمد الحاج الدلائي في أواسط القرن الهجري الحادي عشر . وبعد انتهاء الأمانة الدلائية وفشل الثورات البربرية تفرق المجاطيون في البلاد . وتوجد اليوم في المغرب ثلاث قبائل يطلق على كل منها اسم مجاط : (28)

أولا - مجاط ناحية مكناس ، ويقسمون على بعد نحو 10 كلم من هذه المدينة في طريق الحاجب . ومن أشهر عشائريهم بنو محمد ، وبنو يحيى ، وشرفاء بوفكران .

ثانيا - مجاط ناحية مراكش . وتشتمل على فرقتين : مجاط التحتية ، وتقع مساكنهم على بعد نحو 30 كلم من مراكش في طريق الصويرة . وتكتنف مجاط التحتية قبائل الودايا شمالا وشرقا ، وقبيلة أحمر غربا ، وآيت يعور جنوبا . وأما مجاط الفوقية فيسكنون في نجد الدير على ضفاف نهر (أسيف المال) جنوبي مساكن اخوانهم التحتيين ، ويبعدون عن مراكش بنحو 70 كلم في طريق أمزميز . وتجاور مجاط الفوقية قبائل مزوضة وكدميوة . وهي تابعة من الناحية الادارية لدائرة ايمينتاونوت .

ثالثا - مجاط سوس . وهي أهم هذه القبائل الثلاث ، تسكن غير بعيدة عن تازروالت حيث زاوية الشيخ الشهير أحمد بن موسى السملالي . وتكتنفها شمالا قبيلة ايدا وسملال وجنوبا افران (بالاطلس الصغير) وشرقا آيت عبد الله ، وغربا آيت رخا . وتتبع اداريا دائرة بوزكارن . وينفق المجاطيون

27 يقال أن كلمة (سيكالي) هي تحريف لصنهاجة . فهل هذا يعني أن السيكاليين هم مغاربة صنهاجيون اسودت بشرتهم بتأثير الطقس الحار الذي يعيشون فيه وبامتزاجهم مع حيرانيهم السودانيين ؟

28 يحضر الأستاذ عبد الوهاب بن منصور في بعض كتاب الغز والصولة (154:1) لقبائل مجاط فذكر أن هناك اليوم بالمغرب أربع قبائل مجاطية . جماعة واحدة منها يحوز مراكش وأخرى يعور شوشاوة . كما عد زاوية سيدي أحمد بن موسى من جملة عشائر المجاطيين القاطنين يحوز شوشاوة !

السوسيون على زاوية الشيخ أحمد بن موسى التي يعتبرونها مدرستهم الخاصة ، فيصرفون من زكواتهم على من بها من الطلبة والمحتاجين حتى اليوم لذلك يحيط السوسيون جميعهم قبيلة مجاط بكثير من التقدير والاجلال ويعتقدون أن حقول المجاطيين لاتمحل حتى في السنين المجدة .

(ب) أحفاد الدلائيين في فاس والدار البيضاء والرباط

كانت أسرة الدلائيين كبيرة في فاس ، وتشعبت فروعها خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (I8 - I9م) حتى غدت كالدوحة العظيمة ، ثم بدأ عدد أفراد هذه الأسرة يقل الى أن لم يبق منهم في مستهل قرننا الحاضر بفاس الا بضعة رجال «أهل مروءة ودين غير أنهم لاعلم عندهم وإنما يحترفون بحرفة معاشية من تسفير كتب ونحو ذلك» (29)

واليوم تعيش في فاس خمس أسر دلائية ليس لها من اتصال بالدلائيين القدماء الا (الحيازة) والانتساب اليهم بالتواتر على الائمة ، حتى ان بعض الناس لما رغب في امتلاك مقبرة الدلائيين الشهيرة بالكفادين في رنقة باب الحمراء قرب وادي الزيتون داخل باب الفتوح بفاس (30) استغل ضعف هؤلاء الدلائيين المادي والمعنوي فاشتراها منهم - عن طريق الاحتيال والاكراه حسب زعمهم - وأشهد عليهم البيع الواحد تلو الآخر . ومهما يكن من أمر فان تملك مقبرة للمسلمين خصوصا مقبرة تضم أجداث علماء أعلام ، وتحويلها الى موقف للسيارات ثم الى ما لانعلم ، منكر يجب تغييره ، وبهتان لاينبغي السكوت عنه . وكان بعض الدلائيين قد انتقل في أواسط القرن الماضي الى السكنى برباط الفتح . ونشأ منهم في هذه المدينة أديب صوفي هو محمد بن العربي الدلائي . كان يلزم دروس الشيخ أحمد دنية ويحضر مجالسه الحديثية والفقهية ، ويشتغل في نفس الوقت بالتجارة في سوق العطارين . وقد مدح محمد بن العربي الدلائي شيخه دنية حينما ختم صحيح البخاري بقصيدة مطلعها :

بدا في سماء المجد والسعد طالع وأسفر عن وجه السعادة ساطع

(29) ادريس الغضيلي : الدرر البهية ، 345:2
(30) سبق للاستاذ عبد السلام بنسودة أن استنكر ذلك في أحد الأعداد الاولى لجريدة «الرأي العام» التي كانت تصدر بالدار البيضاء . ولمعرفة أسماء بعض العلماء الدلائيين الذين دفنوا في مقبرة الكفادين وتراجعتهم يمكن الرجوع الى سلوة الأنفاس ، ج 2 ، من صحيفة (8) الى صحيفة 100



زاوية محمد بن العربي الدلائي في الدار البيضاء
 - الزاوية الحراقية -
 من تصوير المؤلف

ثم مدحه لما ختم مختصر الشيخ خليل بقصيدة أخرى مطلعها :
خليلي حدثني حديث أحبتي فذكرهم أنس لأهل المحبة (31)

وصاحب محمد بن العربي الدلائى بعد ذلك الشيخين الصوفيين الشهيرين
العربى الدرقاوى ومحمد الحراق ، وسلمك على يدهما طريق القوم الى أن بلغ
درجة المشيخة . وأسس فى الرباط الطريقة الحراقية وعنه أخذها كثير من
الناس ، منهم العالم أحمد بن عاشر الحداد الذى شيد أركان هذه الطريقة فى
الرباط من بعده . ولمحمد بن العربي الدلائى أزجال كثيرة فى طريقة شيخه
محمد الحراق ، وأفاشيد صوفية حسنة ، وشعر كثير أغلبه فى مدح الرسول
عليه السلام . وقد ألّف محمد بن العربي الدلائى كتابين ، أحدهما فى مدح
الرسول الكريم بطريقة السماع أو الألحان الموسيقية ، سماه **فتح الأنوار فى**
بيان ما يعين على مدح النبى المختار ، ذكر فيه أن أركان (السماع) ثلاثة لابد
لكل منشئ من معرفتها وهى الشعر المتغنّى به ، والطبع المترنم بلحنه ، والوزن
المفروق ذلك المترنم فى قلبه . ثم أتى بعد ذلك بالبحور الشعرية وتفاعيلها
مختصرة ، والطبوع الموسيقية مجملّة ثم مفصلة . والكتاب الثانى الذى ألفه
محمد بن العربي الدلائى فى **ترجمة الشيخ محمد الحراق** ، ذكر فيه نسب
الشيخ ومشاركته فى العلوم ولاسيما علم الباطن ، وعرض لرسائله الى اخوانه
ومريديه ، وخصص فى الأخير بابا لقصائد الحراق وتوشيحاته ومقطعاته
مرتبة على البحور ، مبتدئا بالطويل :

أطلب ليلى وهى فيك تجلت وتحسبها غيرا وغيرك ليست ..

ثم انتقل الشيخ محمد بن العربي الدلائى الى مدينة الدار البيضاء حيث
أنس زاويته المشهورة فى البقعة التى كانت وهبت للشيخ الحراق ، غير بعيدة
عن المسجد العتيق بطريق دار المخزن فى المدينة القديمة ، وأخذ يلقي فيها
الأوراد ويعمر حلق الذكر بالسماع على الطريقة الحراقية . وكانت الدار
البيضاء فى ذلك الوقت (أواخر القرن 13 هـ / 19 م) خالية قهرا ليس فيها الا
المسجد العتيق المجاور لدار المخزن اذا أقيمت فيه صلاة الجمعة لايجتمع الحد
الأدنى الذى لاتصح هذه الصلاة الا به وهو اثنا عشر رجلا . وتزوج الشيخ
محمد بن العربي الدلائى فى الدار البيضاء ، وظل يحن الى مسقط رأسه
الرباط ، ويتردد عليه من حين لآخر الى أن توفى فى 15 شوال 1285 / 1869
ودفن بركن الصحن الاول عن يمين المستقبل داخل زاويته فى الدار البيضاء .

(31) انظر نص القصيدتين وترجمة ابن العربي الدلائى فى: محمد دنية، السمات الندية من الزاوية

ويخلفه ابنه الصالح عبد السلام الدلائى ، وكان مثله عالما ورعا يتجنب الظهور
 ويبيل الى الانعزال عن الناس . سلك سبيل والده فى التصوف والاتقطاع الى
 العبادة والذكر وتربية المريدين الى أن توفى عام 1310/92 - 1893 ودفن بجوار
 والده فى زاويتهم . وما يزال حتى اليوم بعض أقرباء محمد بن العربى الدلائى
 يعيشون فى الدار البيضاء والرباط ، وليس بأيديهم من الوثائق ما يوصل
 عمود نسبهم بالدلائيين القدماء .

هكذا تفرقت قبيلة مجاط العظيمة أيدى سببا ، وقل أفراد البيت الدلائى
 الجيد بعد كثرة ، وافتقروا بعد غنى ، وارتحل عنهم العلم بعد طول اقامة ،
 والله عاقبة الامور .



السيد محمد بن محمد بن حسن الدلائي

— تاجر في فاس —

اللوحة رقم 23



مقبرة العلماء الدلائيين الشهيرة بزقة باب الحمراء بفاس

— تحولت الى موقف للسيارات !! —

من تصوير المؤلف

الخاتمة

لقد تعاقبت على الزاوية الدلائية أطوار الحياة الطبيعية ، من نشوء وترعرع وارتقاء ، ثم تقهقر وفناء ، في أمد قريب لم يجاوز قرنا واحدا ، وهو عمر قصير بالنسبة للمؤسسات الدينية والعلمية التي يفرض فيها أن تخلد خلود الدين والعلم . لاسيما وقد تم تأسيس الزاوية الدلائية في موقع جليل هام بعيد عن العاصمتين المغربيتين فاس ومراكش ، على يد شيخ أصيل في هذه البيئة تتوافر لديه كل المؤهلات التي تضمن التفاف الناس حوله ، فلم يختلف اثنان في صلاح الشيخ أبي بكر الدلائى ، ولم يعرف عنه قومه المجاطيون وجيرانهم الزياتيون والتادليون الا النسك والعبادة منذ حداثة سنه ، والزهد في الدنيا والاعراض عن زخرفها الزائل على ما آتاه الله من بسطة في الرزق . ولم يمت هذا الشيخ حتى كانت الزاوية الدلائية قد سارت بذكرها الركبان ، واشتير أمرها في المغرب كله ، وقصدها الناس من جميع الجهات ، ومن بينهم علماء كبار استطابوا المقام فيها شهورا وأعواما ، وازدهرت بهم المجالس العلمية ازدهار حلقات الاذكار بالمريدين . وخلف محمد بن أبي بكر أباه على رأس الزاوية الدلائية ، وكان عالما كبيرا له خمسة من الاخوة بضاعتهم العلمية غير مزجاة ، تصدروا للتدريس جميعا فنفت سوق العلم في الدلاء ، وتكاثر فيها الطلبة الذين أووا الى مدارس كبيرة بلغت حجراتها ألفا وأربعمائة ، واتسعت المكتبة العلمية الدلائية التي كانت تستنسخ لها الكتب النادرة في المشرق والمغرب الى أن بلغ عدد الكتب فيها عشرة آلاف مجلد . ويكفى الزاوية المشرقية فخر أن يعد من تلاميذها الامام الحسن اليوسى صاحب المحاضرات الدلائية فخرا أن يعد من تلاميذها الامام الطيب ، ومحمد العربي الفاسى مؤلف القانون ، وأحمد المقرئ صاحب نفح الطيب ، وأن تنجب من أبنائها عشرات مرأة المحاسن ، وأضرابهم من فطاحل العلماء ، وأن تنجب من أبنائها عشرات الاعلام في مختلف ميادين المعرفة ، مثل محمد بن أبي بكر الدلائى شيخ الحفاظ بالمغرب ، وابنه محمد المرباط ، امام اللغة والنحو في عصره ، وأحمد ابن عبد الله الدلائى أشعر قومه وأعلمهم بالآداب .

وشاء القدر أن يتولى أمر الزاوية الدلائية في منتصف القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) رجل طموح من هذه الاسرة المجيدة ، بهره بريق الجاه والسلطان وأعماه حب الرياسة ، فانغمز في ميدان السياسة . وكانت له مؤهلات كثيرة للنجاح ، من عصبية صنهاجية قوية ونفوذ روحى كبير وثروة طائلة ، الى رجاحة عقل وحسن تدبير وبطولة نادرة . وملك السلطان محمد الحاج الدلائى أهم البلاد ، وامتد نفوذه فشمط وسط المغرب وشماله وغربه ، ودخلت في طاعته سلا ، والمرباط ، ومكناس ، وفاس ،

وتازا ، وتطوان ، وأسس بالسفح الغربى للأطلس المتوسط مدينته العظيمة
التي ورثت عن زاوية الدلاء الاولى اسمها وعلمها ونفوذها الروحى . وقد
انضوى تحت لواء الدلائيين المجاهدون البحريون أو القراصنة السلويون ،
وأقام عبد الله الدلائى فى قصبة سلا نائبا عن أبيه السلطان محمد الحاج فى
حكم مدن أبى رقراق وما يليها من بلاد الغرب ، وفى الاتصال بممثلى الدول
الأوربية الكبرى التى كان لها قناصل قارون فى سلا وتطوان يمثلونها لدى
الأمير الدلائى ، ويفاوضونه فى موضوع العلاقات التجارية ، والمشاكل الناتجة
عن القرصنة البحرية وخاصة مسألة الأسرى وفدائهم . وكان لاسطول الجهاد
المغربى وزنه الراجح أيام الدلائيين ، يرهبه الأوربيون أكثر من رعبتهم
الاسطول التركى فى الجزائر ، ويسعون بجد فى ميادنة الدلائيين والتحالف
معه ، رغبة منهم فى المحافظة على سلامة أساطيلهم التجارية التى كانت تمر
عباب البحرين الاطنطيقى والمتوسط ، وأمضى عبد الله الدلائى عدة معاهدات
مع هذه الدول ، ساعدت على نشاط الحركة التجارية فى الموانئ المغربية ،
واستغنت الخزينة الدلائية بالضرائب الجمركية المفروضة على الصادرات
والواردات ، وتزود الجيش الدلائى بالعتاد الحربى الحديث المطلوب من
أوربا . ووجه الدلائيون سفراءهم الى هولاندا ، فكانوا محل تقدير و إعجاب ،
واستطاعوا أن يحلوا كثيرا من المشاكل العويصة التى ظلت معلقة بين البلدين
طوال سنين عديدة .

لكن بالرغم من تمكن سلطنة محمد الحاج وانتشار نفوذه لم يستطع أو لم
يجرؤ على أن يوحد المغرب كله تحت سلطته ، واكتفى بنوع من التعايش
السلمى مع بقايا السعديين فى مراكش ، ومع العلويين فى تافيلالت ودرعة ،
وأبى حسون السملالى فى سوس . وبذلك أصبح لا يبعد أن يكون مجرد حاكم
مقاطعة - وإن اشتملت على أهم أقاليم البلاد - وغدا سلطانه غير شرعى
بالرغم من المبيعات التى حملها اليه علماء المدن والقبائل وأعيانها وفى مقدمتهم
أهل فاس ، إذ لم يكن من الطبيعى ولا من الممكن أن يظل المغرب مقسما إلى
مناطق نفوذ تحت سيطرة أربعة من السلاطين بلغ التنافر بينهم منتهاه ، بل
كان هذا النوع من حكم ملوك الطوائف مظهرا من مظاهر الضعف والانحلال
فى البلاد . ومرضا خطيرا أصاب الأمة أن لم تشف منه أدى بها إلى الهلاك .
وكان لابد أن يتغلب أحد المتزعمين الأربعة على منافسيه لتخلص له البلاد كلها ،
أو أن يأتى زعيم جديد قوى ينتزع السلطة من أيديهم جميعا . والحقيقة أنه
كانت للدلائيين فى السنين الاولى لامارتهم قوة حربية كبيرة تمكنهم من القضاء
على منافسيهم فى يسر . وقد جاربوا فعلا السعديين والعلويين والحقوا بهم

هزائم نكراء ، لم يكن من الصعب معها الاجهاز عليهم والتخلص منهم نهائيا
لولا نسبهم الشريف .

وكان ظهور السلطان الرشيد العلوي في المغرب الشرقي واستيلائه على
فاس ومكناس بداية النهاية بالنسبة للزاوية الدلائية . وفي الايام الاولى من
عام 1668/1079 غادر الدلائيون زاويتهم الى فاس ، والحسرة تملأ أفئدتهم ،
والدموع تترقرق من مآقيهم ، تاركين وراءهم الدور والقصور ، والمال والسلاح ،
والعز والجاه . وأعمل السلطان الرشيد معاول الهدم في الزاويتين الدلايتين ،
القديمة والحديثة ، فخر بهما وطمس ما استطاع أن يطمس من معالمهما ،
وتركهما خاويتين على عروشهما تعشش فيهما اليوم وتنق الغربان باكية
سوء طالع الدلائين وعثر جدهم . ثم بعد النكبة والغربة أدرك العلماء
الدلائيون منزلة رفيعة في العاصمة الادريسية ، وزاحموا علماءها على منابر
التدريس والخطابة في المساجد والمدارس الى أن أصبحوا يحتلون الصدارة في
هذا الميدان . وتولى كثير من الفقهاء الدلائين خطة القضاء والافتاء في فاس
ومكناس وتارودانت ، ودرس علماءهم في هذه المدن وفي غيرها كمراكش ،
وتعلم لهم كثير من الناس من جميع الطبقات ، حتى الامراء العلويون مثل
محمد العالم بن السلطان اسماعيل ، وعبد السلام بن السلطان محمد بن عبد
الله . وخلف الدلائيون تراثا علميا هاما يتمثل في عشرات الكتب التي ألفوها
في مختلف الفنون ، وفي آثارهم الادبية الرائعة المبعثرة في ثنايا الكتب
والكراسات والمجاميع في المكتبات العامة ودور الخاصة ، والتي لو جمعت
و درست على الوجه اللائق لكونت دواوين أدبية ممتعة .

وصفة القول أن الزاوية الدلائية أدت رسالتها الاولى على أحسن وجه ،
وظلت نبعها فياضا يكرع منه رجال العلم والدين طيلة قرن كامل . ولم ينجح
الدلائيون في ميدان السياسة لان البيئة الروحية التي كونتهم لم تعد لهم
ليكونوا ملوكا ذوي بطش وسلطان فحاولوا أن (يصوفوا) السياسة وقنعوا
بالرفعة التي انبسط نفوذهم عليها تاركين حوز مراكش للمشرفاء السعديين ،
وما وراء جبل العياشي للمشرفاء العلويين ، ولم يجاربوا أبدا حسون السلافي
لانه من سلالة الصالحين ، ثم ملكوا فاسا فلم يسكتوا قصر الامارة حتى
لازعجوا الشريفات السعديات . وظل الدلائيون هكذا حائرين بين الصادة
والروح والدين والدنيا الى أن جاء السلطان الرشيد بن الشريف العلوي الذي
قبض على الامر بيد من حديد ووحد المغرب كله تحت سلطته ، فرد الى
الدلائين رشدهم وحملهم الى فاس ليتابعوا أداء رسالتهم العلمية والدينية كما
أداها آباؤهم الاولون .

ملحق رقم (1)

ظهير السلطان محمد الشيخ السعدي

بتعظيم الشيخ سعيد بن أحمد الدلائي *

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما .

عن أمر عبد الله تعالى مولانا أمير المؤمنين ، المجاهد في سبيل رب العالمين
المؤيد المنصور بالله ، القائم بأمره ، الشريف الحسن أدام الله عزه وأيد ملكه
أمين ، محمد الشيخ بن محمد ، انا جددنا بحول الله وقوته لحامل أمرنا العلي
المبارك الكريم اسماء الله وخلد مآثره ، وهو ولينا في الله سبحانه ، الذي
نعظم قدره ، ونلتزم تبجيله وإيثاره ، السيد الأفضل الولي الاكمل ، المبارك
الخير الصالح ، الاستاذ المعلم الناصح ، سيدي سعيد بن أحمد الدلائي ، وصل
الله كرامته ، ووالى بمنه سعادته ، تجديدا تاما ، له خاصا ولاخوانه عاما ،
على ما بأيديهم من ظواهر أسلافنا الكرام ، وغيرهم رحمهم الله ، المتضمنة
لشرفهم وتوقيرهم واحترامهم ، ومحاشاتهم من سائر كلائفنا (1) ووظائفنا
المعمودة لغيرهم ، بعد أن تصفحنها فألفينها مؤسسة المبني ، ومستقيمة
اللفظ والمعنى ، في غاية ما يكون من التحقيق والتعظيم والرضى ، من غير
تغيير ولا تبديل ، ولا تحريف وتحويل . وتركتناهم على ما كانوا عليه من
التصرف في بلادهم المعروفة من غير اعتراض لهم فيها ولا نزاع من أهل
دائرتنا . ولنعلمهم كافة عبدا وحرا ، وقائدا ووزيرا ، بأننا البسناهم لباس
التوقير والاجلال والاحترام ، وتوجناهم بتاج العز والاكرام ، فلا سبيل
لخلق عليهم كائن من كان . ومن حاد عن أمرنا هذا أو خالفه فلا يلومنا الا
نفسه . وعليهم بطريق المسكنة (2) والوقوف على ما تعود منفعة ومصلحته
لدارنا العلية بالله ولا بد والسلام . وكتب في سادس محرم الحرام عام ثلاثة
وأخمسين وتسعمائة .

* سليمان الحوات ، البدور الضاوية ، ورقة 1/7
(1) الكلائف جمع محرف عن الكلف ، والمفرد : كلفة . وهي ما كان يفرضه الملوك على رعاياهم
من اتاوة أو خدمة خاصة ، ويقال للكلفة أيضا نائبة
(2) المراد بطريق المسكنة طريق التصوف وتسمى أيضا طريق الفقر لأن المتصوفين الصادقين
ينصرفون عن الدنيا ويزهدون فيها

ملحق رقم (2)

قصيدة الأستاذ أحمد بن قاسم المنصوري بمناسبة زيارة أطلال الزاوية الدلائية *

طالما تشوفت لزيارة رجال الدلاء بمقرهم الاول بالدلاء ، الى أن اقترح على الصديق الحميم الاديب النشيط سيدي محمد حجي المفتش بوزارة التربية الوطنية أن أرافقه لزيارة الزاويتين الدلائيتين ، الأولى التي كانت ينسوع رجالهم ومقر عرفاتهم في أول مستقرهم بتلك البلاد الزيانية من فخذ آيت اسحاق وحيث مدفن علمائهم وعظمائهم ، والثانية التي صارت دار علم وصلاح ومملكة بعد ، وهذه جاءت يسار الطريق الرئيسية من مراكش لفاس على نحو 5 كلم من قصبة تادلا . وتعرف الآن بزاوية آيت اسحاق . أما الزاوية الاصلية الأولى الآتفة الذكر ، فقد جاءت شرقي هذه بنحو 12 كلم في شعاب جبال الأطلس الزياني ، يسلك الذهاب إليها في شقة بمشقة من ثنايا وشعاب ، وتلال وعقاب ، تذكرك فيما أنشده الامام ابن حجر عند زيارته لقبر الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي حيث يقول :

قطعنا في زيارته عقابا وما بعد العقاب سوى النعيم

يسر الله هذه الزيارة عشية يوم الاربعاء 25 حجة 1381 هـ 30 ماي 1962 م وعندما وقفنا على تلك الآثار وهاتيك الديار التي كانت طافحة بالمعارف زاخرة بالصلاح والدين والكرم ثم ما آلت إليه من اطلال خربة ، وبلاقع ينقع الغراب وينعب فيها البوم ، هاج القريحة ذلك المشهد الغريب والمنظر الرهيب . ومن جهة أخرى أعادت لي تلك الزيارة ذكرى أيام الصبا والشباب التي مرت لي ببلاد زيان وأطلسها الفيكان ، وهذا ما تترجم بعضه هذه القصيدة :

ذكرت الصبا وعيده بمربع مضت بين هاتيك الربوع الروائع
عشية مرت بي التجائب خلصة خلال ثنايا شاهقات الطوائع
ثنايا (بكرض الخير) I تسمى وأسده 2 ثنايا «زيان» 3 لالنقا 4 والجارع 5

* نشرت هذه القصيدة في جريدة الميثاق ، لسان رابطة علماء المغرب ، العدد 12 من السنة الأولى بتاريخ فاتح ربيع الأول 1382/2 ششت 1962 . ص 4 تحت عنوان : على أطلال الزاوية الدلائية

- (1) كرض الخير : عقبة يصعد بها الذهاب لزيارة هذه الاضرحة ، ومعنى كرض بالعربية عقبة ، أي عقبة الخير والمراد بالخير رجال تلك الزاوية
- (2) والمراد بأسده الشعبة التي جاءت شرقي هذه الاضرحة المسماة (أقا ازم) بالبربرية أيضا ومعناها بالعربية شعبة الأسد
- (3) زيان هي القبيلة المشهورة وفيها جاءت الزاويتان في فخذ آيت اسحاق
- (4) النقا : رملة مستوية
- (5) والجارع : رملة مستوية لا تنبت

تعدت بي الذكرى لا يامها الا لى
 زمان شبابي (6) ينثنى بمراجع
 مرابع كان الجود يهني (8) حيا لها
 وينهمر العرفان من جذرائها انهمار رباهها من غزير الينابيع
 وينصب رقرق المحابر دفقة
 من اودية أم الربيع يمددها
 وكم رتعت في خصب عرفانها
 بها فتية بالدين كان هيامها
 عرائن (12) في أنسابها من برابر
 اعزاء في أحسابها ، ان يهب بها
 وفي ليلها تعشو (14) المحارب هجدا
 ولما أتيت اليوم شوقا أحجها
 وقد خلد التاريخ ذكرى رجالها
 وقلت اذا ما فاتني من زمانها
 بها قد توى المجد الرفيع يساق
 يفوح شذاها من أبي بكر الرضى (17)
 محمد (18) من قد طبق الافق جوده
 مضت ، وليال ، ما ترى برواجع
 سقتها غواد (7) بالغيت الهوامع
 بمعنى الدلاء يا لها من مرابع
 انهمار رباهها من غزير الينابيع
 كما انصب رقرق المياه الدوافع
 شبوكة 9 واسرو 10 لانضوب الوقائع 11
 ذوو النوايا الحسان في حسان المراتع
 وبالعلم شيب مثل كميل ويافع
 لصنهاجة أولى السيوف الشعاشع (13)
 غيوث لدى النكب ليوث الوقائع
 قياما قعودا جافيات المضاجع
 وفي حجتى حجتى جميل الطبايع
 رجال يراع أو رماح شوارع (15)
 لقاء ففى تلك القباب السواطع
 (16) العلا والمعالي وهى جند زوائع
 وقطب رضى ذا البيت دون مضارع
 بعلم ومال ، فهو جم الصنائع

(6) كانت نشأة الشاعر بزيان بمدينة خيبر . ولد بمكناس ولكن جاء به والده الى المعسكر الذى كان يراسه بخيبر قبل سابع الولادة ، وما برحها حتى هاجمهم الفرنسيون فى حملة الاحتلال

(7) الغوادى جمع غادية السحاب التى ينشأ صباحا او مطرة الغداة

(8) يهني يسيل لا يشبه شىء

(9) شبوكة : واد ينحدر من جبال شرقى مدينة خيبر وهو احد زوايد أم الربيع

(10) اسرو : واد ينحدر من شرقى خيبر . فى حين يهبط أم الربيع من جبال غربى خيبر ويصب واد شبوكة فى اسرو ويذهبان بصلة كلمترات فيصبان فى أم الربيع . وتجرى هذه قننر ازاء الزاوية بكلمترات

(11) الوقائع : جمع وقعة نقرة فى الجبل يستنقع منها

(12) العرائن : السيد الشريف

(13) الشعاشع : الطوال

(14) تعشو : تقصد ليلنا

(15) الرماح الشوارع : المسددة

(16) يساق : يفاخر

(17) أبو بكر هو قطب هذه الاسرة علما وصلاحا ودينا . ولد سنة 943 وتوفى سنة 1021

(18) محمد فتح هو الشجل الابن الذى ملا الدنيا علما وعملا وفضا ونوالا وصلاحا ولد حوال سنة 967 وتوفى سنة 1046

فجوزي ، ثم كان خير مضاجع
هوادي (19) العشايا أو صوب المطالع
رأيت الليالي قد رمت بفواجع
وعزة هاتيك القصور اللوامع
باطلال يوم تعبسن وبلاقم
يلد مذاقا أو يسوغ لجارح
وغصت بدمع من مآق مشايخ (21)
رويدك ، ذاك الدهر رب الفواجع
فلا تعبسن فالعتب ليس بنافع
فكن بقضاء خير راض وطائع

بسر برور الصالحين بوالد
سفتهم غواد رائحات تسوقها
فلماذا رأيت ؟ اذ أتيت لروضها
رمتها فهدت من شوامخ ركنها
بذل ذاك الفائق الحسن نضرة
وعاد رحيق شربها رنقا (20) فما
فنايت نواصي الزائرين بلوعة
الأبيا الملتاع منها تحسرا
عزاء ، فما ينفك بالقوم غادرا
وسلم ، قضاء الله حتم ونافذ

(19) هوادي الليل : أوائله

(20) رنقا : كندرا

(21) مشايخ : مرافق ومساعد

ملحق رقم (3)

أحدى القصائد التي كان يلقيها شاعر الزاوية الدلائية أحمد الدغوي في مواسم عيد المولد النبوي الشريف بين يدي الشيخ محمد بن أبي بكر يمدحه في آخرها بالكرم وأحياء الشريعة واتباع السنة *

رحلوا وقاطن شوقهم لم يرحل
فألفت من جسدي الذبول لفقدهم
فعلى الطلول تزايد الزفرات من
باربع أين ظبياء حيك والمها
باربع ويحك أين من يتقائهم
أجري الضواهر مدلجين حداتهم
ألقوا السهاد من الرقاد وحالفوا
وسرت بهم تجتأب كل مضلة
وغدت بهم تختال كل مفازة
لم لا وقصدهم الذي فضلت به
ويطيب طيبة حيث حل تعطرت
الهاشمي الأبطحى محمد
خير الأوائل والأواخر من له
وكذا إليه الجذع حن وأن من
ومن الزلال العذب على محافظا
وشكا البعير إليه فرط عنائه
والضرب أفصح معلنا بشائعه

وسروا بلبى بين تلك الأرحل
أسفا ومن خلدي ذهول البلب (1)
حرقى على عبرات دمعي الهبل (2)
وجأذر بهم جيبيدك كم حلى (3)
يزهو نقاك كأنه لم يعطل (4)
متحملي الانتقال أي تحمل
قطع الوهاد بكل حرف هو حل (5)
عيس ليا شرف يفوق ويعتلى (6)
من ركبهم حظيت برفعة منزل
أعلام مكة كل معنى أفضل
كل العوالم وهو أكرم مرسل
هادي الأنام وسيلة المتوسل
نطق الجهاد رضى بأفصح مقول
شوق لوطاته بمحضر محفل
من بين أنمله جرى بمسلسل
وشكا الغزال إليه خيفة موجل
والذئب سلم جيرة بتدليل

- سليمان الخوات ، الدور الضاوية ، ورقة 44/ب وما بعدها
- (1) في النسخ المخطوطة (الدهول البلب) وهو لا يستقيم من ناحية الفوائد الدلالية لذلك اختيرت أن يكون الأصل (ذهول البلب) . ولعل الشاعر يرى في تعريب البلب - براء غيره في سجع الحمام من تعبير عن الحزن وأثر للدهول
 - (2) تزايد : مضارع حذفت إحدى تاءيه ، والهيل - بضم الهاء وتسمية الممر المشوكة - حسم
 - (3) الهما : مفرد مهابة وهي البقرة الوحشية ، والجؤذر - بضم الجيم وفتح الهمزة والميم - هامل ، من عملت العين إذا قاضت دموعها
 - (4) النفا : مصدر نقي أى نظف وظهر ، والنفا من الرمل : القطعة لنقاد محدودة ، وهو يريد هنا مطلق المكان
 - (5) الحرف : الناقة الضامرة أو العظيمة ، والهرجل من النوق : السريعة في سيرها
 - (6) مضلة - بفتح الميم ويفتح الضاد وكسرهما - أرض يقل فيها السائر ، والعيس : كرام الأبل أو البيض التي يخالف بياضها سواد خفيف ، ويقال للجمل عيس وللناقة عيساء

وإرى انشقاق البدر أوضح آية
ويكفه صم الحصا لآخي الحصا
ومن الدليل على علاه سموه
ثم الملائكة الكرام معظما
ما زال يصحبه السعود صعوده
حتى دنا من قاب قوسى الاصطفاء
لولا ما حصل الوجود لواجد
لولا ما عرف الاله ولم يبدن
ماذا يحاول من ثنائك حادث
بك أقسم الجبار جل جلاله
يا مصطفى الرحمن أنت حبيبته
ها أنت أمنع من يلاذ به حمسى
كن لى بحقك منقذا مما دهى
وأدم لوارث. سرك السر الذى
يجب شرائعك الزكية حافظ
نعم الامام سميك العلم الذى
وعليك من صلوات ربك دائما
تنهل ديمتها على ربع به

لذوى الشقاق لو اعتدوا بتأمل
ة مسبحا أبدى العجاب لو اجتلى
ليلا على أعلى العلا شرفا على (7)
والمرسلين وساد كل معجل
والله يزلفه بكل تفضل (8)
بمنزل عنه الوجود بمعزل
لولا سبيل رشادنا لم تعزل
بتبتل لله حلف تبثل
بعد الشاء من القديم الاول
وعليك صلى فى الكتاب المنزل
ها أنت أنجح مأمى لمؤمل
ها أنت فى الدارين أكرم مؤمل
من أجل متوقع ومعجل
أورثته أبدا يزيد وخول
السنن السنينة ذو العطاء الاجزل
يسمو السماء سناؤه بك اذ حلى
أهمى سحائبها السوامى الهطل (9)
كملت سعادة جيلنا لا تأمل

(7) (على) فى آخر البيت مضارعة يعلى . كشرح يفرح . بمعنى ارتفع وسما . والإشارة هنا الى قضية المعراج وصعود الرسول الى سدرة المنتهى
(8) السعود مفعول به ثان مقدم للمفعول يصحب - الرباعى - والفاعل هو صعوده
(9) سير (سحائبها) يعود على السماء وهى مفهومة من السياق غير مذكورة . والسوامى جمع سامية . والهطل - بضم الهاء وتشديد الطاء المتنوعة - جمع هطل أى نازل متتابع . والسوامى والهطل وصفان للسحاب

ملحق رقم (4)

(أ) حزب الفلاح لمحمد بن سليمان الجزولي *

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم باسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيرا ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق . جزى الله عنا سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل ما هو أهله (ثلاثا) ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة أنت الوهاب (ثلاثا) أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (ثلاثا) باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (ثلاثا) سبحان ربى العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (ثلاثا) أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو بديع السماوات والأرض وما بينهما من جميع جرمي وظلمي وما جنيت على نفسي وآتوب اليه (ثلاثا) لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (تسعا) لا اله الا الله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثبتنا يا رب بقولها ، وانفعنا يا رب بفضلها ، واجعلنا من أخيار أهلها ، واحشرنا في زمرة قومها (ثلاثا) آمين آمين آمين رب العالمين .

(ب) الصلاة المشيشية لعبد السلام بن مشيش العلى :

اللهم صل على من منه انشقت الاسرار ، وانفلقت الانوار ، وفيه ارتقت الحقائق ، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق ، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق ، فرياض الملكوت بزهر جماله مونة ، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ، ولا شيء الا وهو به منوط ، اذ لولا الواسطة لذهب - كما قيل - الموسوط ، صلاة تليق بك منك اليه كما هو أهله . اللهم انه سرّ الجامع الدال عليك ، وحجابك الاعظم القائم لك بين يديك . اللهم الحقني بنسبه ، وحقني بحسبه ، وعرفني اياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل ، وأكرع بها من موارد الفضل ، واحملني على سبيله الى حضرتك ، حملا محفوفا بنصرتك ، واقذف بي على الباطل فأدمغه ، وزج بي في بحار الاحدية ، وانشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا

* العربى الفاسى ، مرآة المعاسن ، ص 54 وما بعدها
لم أعلق على نصوص هذا الملحق لاشتغالها على آيات قرآنية وأحاديث وإشارات صوفية يصعب تحليلها فى هامش صغير مكثفا بتصحيح النص تاركاً الشرح للتفسير والكتب المؤلفة فى الموضوع كشرح ابن زكريى للصلاة المشيشية وهو مطبوع

أجد ولا أحس إلا بها ، واجعل الحجاب الأعظم حياة روعي ، وروحه سر حقيقتي
وحقيقته جامع عوالمى ، بتحقيق الحق الاول ، يا أول يا آخر ، يا ظاهر يا باطن ،
اسمع ندائى بما سمعت به نداء عبدك زكرياء عليه السلام ، وانصرنى بك لك ،
وأيدنى بك لك ، واجمع بينى وبينك ، وحل بينى وبين غيرك . الله ، الله ، الله
إن الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد . (ربنا آتنا من لدنك رحمة
وهي لنا من أمرنا رشدا) .

(ج) المبيعات العشر :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم باسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب
العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (سبعا)
- بتكرير البسملة ، وأما التعوذ ففي الاولى فقط - سورة الناس (سبعا) .
سورة الفلق (سبعا) . سورة الاخلاص (سبعا) . ثم سورة الكافرون (سبعا) .
- بالبسملة فى الجميع مكررة مع كل واحدة - آية الكرسي (سبعا) . سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم (سبعا) . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم انك حميد مجيد (سبعا) . اللهم اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين
والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، الاحياء منهم والاموات (سبعا) . اللهم افعل
بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدنيا والآخرة ما أنت أهله . ولا تفعل بنا يا مولانا
ما نحن أهله ، انك غفور رحيم ، جواد كريم ، رؤوف رحيم (سبعا) .

(د) العشرينات التسع :

أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله (عشرا) . صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه وسلم (مرة واحدة) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
(عشرا) . باسم الله الرحمن الرحيم (عشرا) . اللهم صل على سيدنا محمد
النبي الامى وعلى آله وسلم (عشرا) . أستغفر الله ان الله غفور رحيم (عشرا) .
لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (عشرا) . لا اله الا الله وحده لا شريك له .
سبحان الله العظيم (عشرا) . الحمد لله رب العالمين (عشرا) . الشكر لله رب
العالمين (مرة واحدة) . حسبي الله ونعم الوكيل (سبعين مرة) .

ملحق رقم (5)

لشاعر الزاوية الدلائية أحمد الدغوغى فى إحدى ختمات الشيخ محمد
ابن أبى بكر الدلائى لصحيح الامام البخارى *

بخارى من تأرجها الهباء
وليس المسك والكافور الا
أمنكر فضليها أحسدت أرضا
تنبه ويك ان الى بخارى
أمير المؤمنين أولى انتقاد
كأن كتابه والكتب منه
فمنه به سميا بل سريسا
ونفس وجوده لما ادلهمت
وقاء علاك من بالارض طرا
ميت الجيل محيى العلم نصحا
فمن عن حجه أقصته منا
فمكة حننا ومنى منانا
وان لطيفة الغرا لطيبا
على انا بجاعك وهو باب
نؤمل أن نبلغ لا حرمنا

بخار دون مخبره الكباء (1)
شفا هو من تضوعيا شفاء
تقر لها وتحسدها السباء
لجامع جامع صبح انتماء (2)
به حسن انتقاء واتقاء (3)
تصد سمية والاولياء (4)
تصد الاولياء بما تشاء
دياجي النازلات هو الظيلاء
فأنت من الشقاء لهم وقاء
كما أحيا ميت القحط ماء
مآله وأقعد القضا
وكعبتنا وزهرنا الدلاء
يعطر منه ناديك الهواء
مفاتحه لبغيتنا الرجاء
هنا وهناك بفتنم الدعاء

سليمان الحوات ، البدور الضاوية . ورقة 30 ب

(1) الكباء - بكسر الكاف - عود البخور . والهباء : الغبار . ولعل معنى البيت أن هو مبدئيا
بخارى التى هي مسقط رأس امام المحدثين ابن عبد الله البخارى طبيب راحة من عود البخور
(2) يسمى كتاب البخارى فى الحديث جامع الصحيح . لذلك غير الدغوغى عن الإمام البخارى
بأنه (جامع جامع)

(3) يلقب البخارى بأمير المؤمنين فى الحديث . ويشير بالاستناد الى ما قام به البخارى من نقل
رجال الاستناد بتعديلهم وتجريحهم لتبميز الامانيث الصحيحة من غيرها
(4) القسير فى (كتابيه) و (سميه) يعود على البخارى . والمعنى أن سائر كتبه الحديث تمطيد
وتستمد من صحيح البخارى . كما أن سائر الاولياء والصالحين يستمدون ويستمدون
من سمي البخارى أى مثيله فى الاسم . وهو يقصد محمد بن أبى بكر الدلائى

ملحق رقم (6)

إجازة الامام محمد بن قاسم القصار لمحمد بن أبي بكر الدلاني *
الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

يقول كاتبه محمد بن قاسم بن محمد بن علي القصار القيسي الغرناطي
صلا وأبا ، القصار لقباً ، عفا الله عنه وعمن دعي (كذا) له . كان من نعم الله
على لقاء الفقيه المتفنن الصالح مربى طلبة العلم والدين ، الكثير الاحسان
لضعفاء والمساكين ، حاج بيت الله الحرام سيدي محمد بن ولي الله باتفاق ،
شهير ذكره في الآفاق ، سيدي أبي بكر بن محمد أبقاه الله فخرا للاسلام ،
ونفعا للفقراء والايتام ، آمين . فطلب من محبة اجازة فقلت له :

أجزت لكم مروينا مطلقا وما لنا سائلا أن تتحفوا بدعاء

وسمع من لفظي صحيح البخاري رضى الله عنه وأجزت له جميعه ، والموطأ
ورقة الستة ، ومسنند أحمد وسائر مصنفات الحديث الشريف ، وما في
الأوراق قبله (1) وجميع ما اشتملت عليه فهارس ابن الزبير (2) والزبير
العراقي (3) وابن حجر (4) والشيخ زكريا (5) وسيدي يحيى السراج (6)

- * سليمان الحوات ، البدور الضاوية . ورقة 1/30 ر ب . وقد نقلها من خط الامام القصار
- (1) يشير بذلك الى فهرسته الجامعة لاسانيده اذ هي التي كانت الإجازة عقبها . وفي قسم الوثائق
بالخزانة العامة بالرباط مخطوطة (رقم 71 ج) تشتمل على فهرست الامام القصار
- (2) علي بن الزبير السجلماسي الحافظ المشارك . اخذ عنه الامام القصار ثم تنقلت له مباشرة
الشيخ محمد بن أبي بكر الدلاني . توفي ابن الزبير في قاس عام 25/1035 = 1026
- (3) أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي . المعروف بالعراقي الكبير . من
أكبر حفاظ الاسلام . ومسندي الحجاز ومصر والشام . وهو شيخ الحافظ ابن حجر .
توفي بمصر عام 3/806 = 1404
- (4) الحافظ ابن حجر حجة الاسلام أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ابن حجر
المسقلاني . مؤلف كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري . والإصابة في تمييز الصحابة
توفي بمصر عام 1448/852
- (5) الشيخ زكريا الانصاري قاضي القضاة بالديار المصرية ومسندها . شيخ الاسلام صاحب
التأليف العديدة . وقد طال عمره وأخذ عنه كثيرون . توفي عام 19/925 = 1520
- (6) يحيى بن أحمد النفزي المعروف بالسراج حافظ قاس والمقرب الذي انتهت اليه رئاسة الحديث
لروايته . له فهرست جامعة لأشباخه . توفي عام 2/805 = 1403

والنيسابوري (7) وابن غازي (8) ومشايخ ابن النجار (9) وأجزت له جميع مرويأتي بأنواعها ، وجميع هالي . وكتب محمد المذكور أول ربيع الثاني عام اثني عشر وألف (10) مسلما على من يقف عليه وسائل دعائه . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

- 17 هناك محدثون كثيرون يسبون إلى نيسابور أولهم الإمام مسلم صاحب الجامع الصحيح وقد أورد منهم كحالة في معجم المؤلفين نشرت لم أستطع تمييز المذكور منهم ليس سلسلة الإمام القصار
- 18 أبو عبد الله محمد بن غازي النيسابوري الكندي ، توفى في ربيع الثاني عام 2/805 - 1403 مختلف العلوم ، وله فهرست جامعة لأشباحه توفى بفارس عام 2/805 - 1403 له عدة تأليف
- 19 الحافظ محمد بن محمود البغدادي المعروف بابن النجار أحد الحفاظ الكبار ، له عدة تأليف لم أقت على تاريخ وفاته
- 10 كانت وفاة الإمام القصار في نفس العام 1012/1004 . وبذلك تكون هذه الإجازة قد كتبت قبل موته ببضعة أشهر فقط

ملحق رقم (7)

إجازة الشيخ محمد الم رابط الدلائى للحسن اليوسى *

أما بعد حمد الله مؤهل أهل اصطغائه للاقتداء بسيد البشر، ومنه خاصة أوليائه مناهل السفن والأثر، الميسر لهم من طرق الإجازة مدارجها، ومن أعالي الأسانيد معارجها، حتى اجتتلوا من سماء معارفها أقمارها، ومن أدواح عوارفها أثمارها، ووقفوا بعرفات العرفان، فتدفقت لهم جداول الاحسان، والصلوة والسلام على سيدنا محمد واسطة عقد النبيين، وصفوة خلاصة الصديقين، وعلى أهل بيته الاطهار، وحماة دينه الانتصار، وبعد فإن اتصال الأسانيد غاية يتجارى لاجتيازها ذرو النباغة من فضلاء الاعصار، ويتبارى فى الاقتياز بشرفها الكبراء فى عامة الاعصار، حتى لقد ركبوا فى طلابها الشانف (1)، واقتحموا فى ابتغالها المخاوف، ورمضوا الاوطار والاطمان، وعجروا المعاهد والاخوان، وكيف وهى العروة التى مدار العرى عليها، والمآثرة التى مرجع المآثر اليها، وقد سلك ذلك السن الصنم الرئيس، فارس الاملاء والتدريس، شيخ الجماعة بالديار الكربية، والحضرة الدلائية، ذو التدقيق المعهود، أبو الحسن بن مسعود، صاحب النباغة الشامحة، والنزاهة الباذخة، والجلالة العليا، والهمة التى تبطت بالثريا، المتمسك من الرواية بأسبابها، ومن الدراية بأهدابها، من ألت اليه المعارف زمامها، وجمعت السيادة ما وراءها من المجد وأمامها، يرغب الى أن أجيزه، وأنشأ مع تبريزه، فأجبت مراده، وبأدريت اسعاده، فأجزته إجازة تامة، مطلقه عامة، فى كل ما يصح لى وعنى روايته، يرفع فى أندية الإجازة بنده ورايته، من كل مقرر ومسموع، ومقرر ومجموع، ومنشور ومنظوم، وماثور ومفهوم، على الخصوص والعموم، على نهج الرواية المعلوم، مما أحاطت به فهرسة الامام ابن غازى بروايتنا اياها عن تميم الاسلام أبى عبد الله محمد العربى بن أبى العباس يوسف الفاسى، عن أبى عبد الله القصار عن أبى التميم رضوان ابن عبد الله (2) عن أبى محمد عبد الرحمن بن على الشيبير بسقين (3) عن

فهرست اليوسى، مخطوط الخزائن العامة بالمرباط، رقم 1234 ك ورقة 67

الشانف جميع تنوفا وهى البيرية التى لا ماء فيها ولا أنيس
أبو التميم رضوان بن عبد الله الجنوى، المحدث الكثير الرواية، رحالة أهل زمانه، تولى
بقاس عام 991 هـ - 1583 م
أبو محمد عبد الرحمن بن على المعروف بسقين، الفقيه المحدث الرواية، رحل الى الشرق
وأخذ فيه عن جماعة من المحدثين، توفى عام 49/956 - 1550

مؤلفها أبو عبد الله بن غازي . وفهرسة أبي العباس المنجوز (4) والامام
المنتوري (5) وابن الزبير ، وحدثه بذلك عن مولانا المحدث الزاهد العارف
بالله عبد الهادي بن عبد الله الحسيني (6) ، عن والده الامام (7) وعن القصار
وأبي العباس المعروف بابا السودانى (8) وأبي العباس أحمد بن محمد الشهير
بأبي القاضى وغيرهم من مشايخه ، واجازة الشيخين أبي محمد عبد الهادي ،
وأبي عبد الله العربى اياى ، وهما عامتان فى كل ما يحملانه أو يقولانه أو
ينقلانه ، وأجزت له أن يروى ذلك عنى ، وأذنت له فيه اذنا تاما تلقاه لفظا
وكتابة منى على شرطه المعتبر ، عند آئمة الاثر . قال ذلك وكتبه بيده متلفظا
بالاجازة أواخر شهر الله الحرام مفتتح عام تسعة وسبعين بموحدة قبل العين ،
وآلف ، محمد بن محمد بن أبي بكر الدلائى عفا الله عنه بمنه آمين .

- (4) أبو العباس أحمد بن علي المنجوز المكناسى الاصل . الفاسى المولد والنشأة والوفاء . كان
أحفظ أهل زمانه وأعرفهم بالتاريخ مشاركا فى جميع القرون الاخرى من معقول ومنقول
له تأليف عديدة وفهرست جامعة . توفى عام 86/1587 -
- (5) أبو عبد الله محمد بن عبد الملك القيسى المعروف بالمنتوري (بكر الميم) من أشهر الحفاظ
المحدثين . توفى عام 30/834 - 1431
- (6) أبو محمد عبد الهادي بن الامام عبد الله بن علي بن طاهر الحسينى السجلماسى . كان من
أهل العلم والدين . وهو مؤلف كتاب فلك السعادة . الدائر فى فضل الجهاد والشهادة
توفى بالحرم الشريف عام 46/1056 - 1647
- (7) الامام عبد الله بن علي بن طاهر الحسينى السجلماسى . كان له باع كبير فى العلم والعمل
والدين واتباع السنة . توفى عام 34/1044 - 1635 ببلاد مدغرة من أعمال سجلماسة
- (8) أبو العباس أحمد بن أحمد المدعو بابا السودانى السنهالسى . ألف نحو 40 تاليفا . منها
كفاية المحتاج . وفيه ترجم لنفسه . ابتلى فى بلاده لما احتلها جيش المصوور الذهبى .
وسبق أسيرا فى القيد الى مراکش . ثم أطلق سراحه مع قومه . وقد تلمذ له كثير من
علماء المغرب قبل أن يرجع الى السودان حيث توفى عام 26/1036 - 1627

ملحق رقم (8)

رسالة بعث بها أحمد المقرئ من القاهرة إلى شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي حينما مر محمد الحاج بمصر لدى رجوعه من الحج عام 1041/1631 *

خليلي ان جئت الدلا وجرى ذكرى لدى حضرة الشيخ الرضى ابن أبي بكر
نتيجة سر الاولياء محمد معرف كلييات فضل بلا نكر
فانخبره انى لم أحل عن وداده ولم يوهن البين العلم قوى صبرى
ولا ما أقاسى فى اتقاء غوائل يكيد بها ظلما ذوو الضغن والمكر
أناس نسوا حد الزمان وفتكه بمن راح من راح الغواية فى سكر
نسل سيدى حسن الخلاص لحائر وختما بحسنى كى ينير به فكرى
يا مفردا علما اهتدى الجمع السالم بالألأئه ، وتشتت فى رياض ولأئه
نصون آلأئه ، وروى مسدد رأيه عن جابر سعيه عن علأئه ، وما يسنده فى
مجالس املاأئه . أهدي اليك يا بركة الزمان ، وبقية الناس بهذا الاوان ، الذى
حار فيه من يروم الامان ، وغلقت فيه الرهان (1) ، ولم يثق لولا وجودك
بضمان ، من ارتاب فى حال غريمه ومان ، تحية تنافح خلالك ، وتضافح
- أبقى الله جلالك - ظلالك ، وتؤدى بعض حقك الذى راق مرأى اجتلاأئه .
وأنهى الى معاهدك الشريفة ، ومشاهدك المربعة الوريفة ، على بعد الديار ،
وجرى بعض الاغراض على الاختيار ، أن العبد المخلص على ما تعهد ، من الود
الذى به القلب يشهد .

سلوا عن محبة الرجال قلوبكم فتلك شهود لم تكن تقبل الرشى
وقد مهد فى ديار الغربية فرشاً ، وسلم لأحكام الاقدار ، فى هذه الدار ، الكثيرة
الاقدار ، ولم يسلك منهج من عاند الدهر وقصد به تجرشاً ، والدهر ذو ألوان ،
ولبعض أفعاله على غيرها عوان ، فى امراره واحلاله . فأما الشوق الى سيدى
رولى فلا يستوفى وصفه القلم واللسان ، وحدث عن مسند أحمد (2) بما
شئت من طرق هى مع غرابتها حسان . وأما الحال ، فى الحال والترحال ، فقد
لبست من الصبر أحسن بزة ، كبر ورقة حالة وفراق أحبة أعزة ، معن لو أن
أقلها يرمى به جيل ليزه . اللهم غفرا ، وشكرا لا كفرا . حسح الفقير مرارا
خمساً ، وأضحى فى بعض مجاورا وأمسى ، واستجلى من طيبة المشرفة على
ساكنها الصلاة والسلام فى سبع مرار بدرا وشمساً ، وجاور هنالك ، ودرس

مخطوط الخزائن العامة بالرباط رقم 471 ك . ص 47 - 53
(1) غلق الرهن فى يد المرتين (من باب فرج) : صار ملكاً له بسبب عجز الرهن عن ائتمانه
(2) يورى المقرئ هنا بكتاب المستند للإمام أحمد بن حنبل ، وهو يقصد نفسه واشتياقه الى شيخه الدلا

وصنف وأضاء فكره الحال ك ، ونطق لسانه في الحضرة النبوية ، بالمطالب
الدينية والاخرية همسا ، ومما من الله به عليه أنه ألف بالحضرة قتح المتعال ،
في مدح النعال و أزهار الكمامة ، في أخبار العمامة وكل منهما مجلد كبير ،
فأح منه عنبر وعبير ، وحاز ان شاء الله الشرفين ، بالتصنيف في هذين
الطرفين ، الذين أحاطا بالذات الطاهرة ، وكان تصنيف كتاب العمامة تجاه
الرأس الشريف لمناسبة باهرة ، وكان قصد العبد أن يرسل بهما الى سيده
قبل هذا التاريخ فقدر الله أن بعض كبراء الدولة أخذهما ، ولم يبق والله
عندي الا الاصل فقط . وكانت اقامة ابن سيدى (3) في مصر قليلة ، لم يمكن
في مدتها كتبهما . ولعل الله ييسر في ذلك بعد . وقد ختمت كتاب العمامة
برجز اشتمل على زبدته وقد وجهته اليكم صحبة هذا المکتوب ، وهو مکتوب
بالمدينة المشرقة على صاحبها الصلاة والسلام ، ثم زرت بيت المقدس ثلاث
مرات ، ومواطن الانبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان بالتسام كرات ، ثم
عدت في هذا الوقت الى مصر بقصد الرحلة بالعيال الى الشام ، والله المسئول
في تيسير الامر ، ورفع الاصر (4) . وما ذكرت بعض هذا الا على وجه
التحدث بنعم الله ذي الامتنان ، لا على وجه التفاخر الذي ينبغي للموفق أن
يصرف الى غيره العنان ، نعم بقلبي ياسيدى سلمكم الله حسرة جلست ، وحيرة
جلت ، خلفته في كربة في بلاد غربة وتخلت ، وهي أمر البنت التي بفاس ،
وقد ضاقت وحق لها من أجلها الانفاس ، اذ لم يمكن اليها الوصول ، وتعسر
مجيئها الى على وجه محكم الوصول . والقصد من بركات سيدى شمولها
بالنظر ، والاعانة على تزويجها بلائق ممن حضر ، وهذا غاية المقدور ، بل
ومنتهى المرام ونقته مصدور ، وكم حسرات في نفوس كرام . وقد أرسلت
اليها مع النجل الاجل سيدى محمد شكر الله سعيه ، وأدام صونه ورعيه ،
سبعة وثلاثين ريالا كبيرة ، جهد مقل تراكت عليه لولا تشييت الله أمور
مبيرة (5) ، والقصد ارسالها اليها بفور بلوغه في السلامة ، واذا أبرم القدر
شيئا فلا عتاب ولا ملامة . وقد أرسلت الى الاصهار والفقيين سيدى عبد
الواحد (بن) عاشر وسيدى محمد بن سودة ببيع الكتب على طريقة الاذاعة
والاظهار والنداء عليها في محل الرغبات ، ومظان الطلبات ، ودفع ثمنها في
مؤن هذه البنت ، التي بوجودكم عليها أمنت . وأما أمها فقد كنت ملكتها
أمرها (6) قبل فلم ترض ، والآن وقد غلب الظن أنى لا أقدر على القيام بها لها
من فرض ، اذ قدومي متعسر ، والعكس غير متيسر ، ولا يليق تأخير المعسر الى

(3) الاشارة الى محمد الحاج ابن الشيخ محمد بن ابي بكر الدلاني

(4) الاصر : النقل والذنب

(5) المبيرة : المهلكة . من البوار . والفعل ابار بمعنى اهلك

(6) تسليم المرأة أمر نفسها عبارة عن أن يجعل الزوج حق الطلاق بين يدي زوجها لتفك
العصمة الزوجية ان شاءت

الاصفرار ، ولا الهروب من مواقف الابطال والقرار ، ولا ضرر ولا ضرار ،
والعزم عدم الاغترار ، فلها طلبة مملكة ان شاءت ، وقد صدرت منهم فعلة
أحرزت ، وفلانة سمات ، وهي بيع بعض الكتب التي تعبت في تحصيلها ،
وجعلت تصحيحها نتيجة العمر ، ومن جعلتها ابن غازي والعيني على الانسية
وغيرهما مما لا يجمل فضله حتى العمر ، وأخبرني بعض الجوراريين والثواتيين
بحضرة النجل أنها عنده بنوات (7) ، وذكر لي علامات في هذا الكتاب بخطي
والدهر بردها غير موات ، فهل يعدل الكتب شي . وما بعد الرشد الا الغي ،
وإذا كانت نفائس الكتب تباع خلسة ، فبيعها بالمال العام أنفي فلداسة ، وما
أظهرت مثل هذا لسيدى الا لعلمي أنه الثقة الوائق الالوف ، بل سيدى واحد
العصر المعداد بالالوف ، ولا يفنى ومالك بالمدينة ، اللهم احفظ مقام سيدى
ودينه . فليكن ما سطرته على شريف علمه ، وإن أسأت فليحفظني بردها حكمة ،
فلا عطر بعد عروس ، والمشاهدة قد ينوب عنها ما فى سطور الطروس ، وقد
أوصيتهم أن يكتبوا ما بقى من الكتب فى زمام ، ويرسلوه لسيدى لعله يختار
منها ما يراه وهو الامام ، الذى به التمام .

.. والواصل لسيدى العقيدة التى من الله بطلبها وهى اضاءة الدجينة
بعقائنا، أهل السنة وقد كتب من هذه العقيدة بالحرمين واليمن ومصر والشام
أكثر من ألفى نسخة كتبت خطى على أكثرها ودرستها بمكة وبيت المقدس
ودمشق ومصر والاسكندرية ورشيد وغزة ، ولله الشنة ، والعزم على شرحها
الآن متوفر ، وأما قصيدة العمامة ، الموجهة مع هذه فى خاتمة أزهار الكمامة ،
وأرسلتها مع ما فيها من الاصلاح تبركا بكونها كتبت بحضرة صلى الله عليه
وسلم فى تلك الاوراق غير الورقة الاولى فانها كتبت بمصر بدلا عن التى بالمدينة
لعذر اقتضى ذلك . والقصد استمطار الدعاء ، من تلكم الحضرة - علم الله -
لا التسبج بذلك على وجه الرياء ، والاعمال بالنيات ، ولم تر من سيدى مكتوبا
مع النجل العزيز ولا ندري ما سبب ذلك .

وما حسناته الا ذنوب

إذا كان المحب قليل سعيد

وكل ما يفعل المحبوب محبوب ، أستغفر الله لسيدى أجل من أن يعاتب ، وما
الفرق بين العبد فى الشهادة والمكاتب ، وقد أكثر على سيدى فليسمع ويصفح
والسلام معاد على حضرة مقامه وزحمة الله وبركاته . وكتب عن عجل أوأخر
شهر ربيع النبوى سنة واحد وأربعين بعد الألف وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

أ نوات اقلية بالصحراء الشرقية الممرسة كان الممرسون قد اقتطعوا أيام الحماية والمخوف بالحرارة

ملحق رقم (9)

أبو حامد محمد العربي الفاسي يمدح شيخه محمد بن أبي بكر
الدلائي *

أدار بذات السدر في الجانب الشرقي
واني لمن عيني عليك سحائب
وقفت على الرسم المحيل فشاقني
فما برحت مزن الغمام حوافلا
تساجلني أني لها دون حامل
وتذكرني ، لو كنت أنساهم ، الصبا
وساجدة تفتن في نغماتها
وأحسبها مثلي إذا قلت قد بكت
فما أذرت الدمع السفوح وشملها
ولي مقلة تهمني كأن شؤونها
ودون أفيراخي تنائف نيفت
وشمل على حكم الشتات مبدد
وعندي أفيراخ هنا ، وسواهم
فعندهم شق وآخرها هنا
تئات بنا الاقطار حتى كأننا

سقاك الحيا مادام صوب الحيا يسقي
تسبح اذا شحت بها أعين الودق (1)
فأبكي واستدعي العهاد واستسقي (2)
لحمل من الربيع في ربيعاً تلقى
ولي حامل الذكرى لأهلي والشوق
تهب بمسراها (ومؤتلق) البرق (3)
على الفتن اللدن الوريق من الورق
وأين بكاهها من بكائي على لفق (4)
جميع وقرخاعا لديها على لفق (5)
شآبيب قدفاضت من الواكف الشرقي (6)
على العشر للساري من أفق الى أفق (7)
وقلب على تلك التفاريق في فرق (8)
هناك ، وكم فلق لقلبي وكم فرق (9)
وما أن يكاد الشق يبلغ بالشق
حروف بأقطار البيوت من الوفق

* سليمان الحوات ، البدور الضاوية ، ورقة 170 - 171

- (1) الودق : المطر ، وسبح : نزل وهطل . عكس شح بمعنى انحبس
- (2) الرسم المحيل : آثار الديار القديمة التي أتت عليها أحوال وأغرام
- (3) في النسخ المخطوطة (مؤتلق) ويظهر أنها محرفة عن مؤتلق
- (4) اللفق - بكسر اللام وسكون الفاء - الجزء والشقة من شقني الملاحة . يقال للرجلين لا يفترقان هما لفقان ، واللفق الذي افتقده الشاعر ويكاه هو أيضا كما توضحه
- الآيات التالية
- (5) أذرت العين الدمع : صيته ، واللفق مصدر لفق اليه - من باب نصر - إذا نظر اليه
- (6) الشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر . والواكف : السحاب ، وآخر كلمة في هذا البيت في النسخ المخطوطة (الشرق) ولعلها محرفة عن الشرقي
- (7) التنائف مفردا تنوفة وهي القفر التي لا ماء فيها ولا أنيس
- (8) الفرق - بفتح فسكون - الانشقاق والتصدع
- (9) اللفق والفرق - بكسر فسكون - الجزء ، والقسم من الشيء . يقول الشاعر ان قلبه ممزق كثيرا ، بعضه مع أبنائه هنا ، وبعضه مع غيرهم هناك ..

وانسى ضرب من الفال أنها
ولم يبق منى الشوق الا حشاشنة
وان على ما لقيت ولم يهن
يعن على أن يروغ سربهم
وانى بأحوال الزمان لعارف
ولست على أبنائه الدهر عاتبا
وانى أنا الطاوى على اليأس كشبه
واعجز نفسى ان يمل بى وصلها
ولا أنسى ان صمم العزم جانحا
وان سرت عن من لى عليه ولادة
اذا لم تكن بالغرب أرض تقلنى
وما قيد النفس الشرود سوى الذى
نفس عن نفسى وأنسى غربتى
وسن لى الآمال حتى حسبتها
نجمع لى الشمل الشتيت ويلا
رناهيك بالشيخ الامام محمد
بعث توافى الحلم والعلم والندى
مقلد أعناق الرجال قلائدا
اليه طوى عرض البلاد مشرد
اليك اليك أبى العار حامى الـ
فأنتم بنو الشيخ أبى بكر الذى
وما كان ذاك الشيخ يسلم جاره
وقد كان حقا عنده نصر جاره
بقبتم وذاك الارث فيكم مؤبد

لجمع، وهل جميع يحاول بالفرق (11)
وللشوق ما يفنى وللشوق ما يبغى
على الذى لاقى الاحبة من ضيق
وأن يشربوا بعد الصفاء من الرنق (11)
فأونة يحلى وأونة يعقى
وان وكسوا حظي وان عمضوا حقه
اذا بان لى أن الرجاء من الحمى
على ظما منى الى المورد الطريق
الى وطن أو ساكن فيه أو غلق
كفانى فيه مالك الخلق والرنق
بعزة نفس كانت الارض بالشرق
أجاز وأجرى سيبه دائم الدفق
وفرج لى كربى وحل عرى خنق
تزف الى مسرعات على طرق
الفتيت ويلقى الله برا بما يلقي
امام الهدى الهادى الانام الى الحق
وحيث تساوى القول والفعل فى اصدق
من العرف تقليد الحمايم بالطوق
نجبا بدماء مستجيرا من البوق (12)
سذمار مجير الجار من كل ما يشقى
حمى وسما بالمجد والدين والخلق
ولو لامه الاملاك مع سائر الخلق
وأنتم لعمري وارثو ذلك الحق
ولله سر فيكم دائما يلقي

(11) الإشارة الى هذا البيت والذى قبله الى اصطلاحات علم الوق وسر الزملاء . فالشاعر يسميه نفسه وأهله بالحروف الموزعة على مربعات جدول الوق . غير أنه يتعادل بأن يجمع مع ذريته كما تجمع حروف الجدول . ثم يتساوى كلفه يمكن جمع الشمل وهو يضمن فى الابتعاد والاقتران

(12) الرنق - بفتح فسكون - الماء الكدر
(13) البوق : مصدر باق القوم عليه - من باب نصر - اذا اجتمعوا فقتلوه ظلما . ويشير الشاعر فى هذا البيت الى فراره من الشيخ المأمون السعدي الذى سلم مدينة المرائش الى الامباريين وارغم العلماء على أن يفتوه بشروعية تصرفه الطائش . ارجع فى هذا الموضوع الى صحيفتى 113 - 114 من هذا الكتاب

ملحق رقم (10)

رسالة بعث بها أحمد بن عبد الله الدلائي الى السلطان اسماعيل يعتذر
عن تخلفه بتلمسان *

باسم من يضع الملك حيث يشاء ، فاختار له علي علم قريشا . يتفيا
(تحت) ظلال الدوحة النبوية ، ويتنسم عرف أزهار عوارفها المصطفوية .
ويترقى الى حيث النجوم الشوائك ، والمعالى أرائك . من تحمر من هيبه جلالة
الانفاس ، على حدود الاطراس ، ويتشرف بلشم يمين طالما ازدحمت على تقبيلها
الإملاك ، وانجابت لحسن صنيعها عن بنى الآمال الاحلاك . أبقاها الله آخذة
بيد من زل به الزمان ، ولحل ربة كل عان . ولتقيل أفواه واعطاء نائل
وامسك هندی وحبس عنان ، وشيد لراقمه في كنف الدولة الهاشمية كنفًا (1)
واستوهب له منها عفوا لا يعقب ندامة ولا خوفا . دولة مولانا الذي ملك البواطن
يحسن بشره وعفوه ، والظواهر بشدة بأسه وسطوره ، محيى الدولة .
ودريئة (2) الابطال عند الجولة ، قاهر الملوك ، وواسطة عقد السلوك ، من دانت
لبيتته فتاكة الاقطار ، وترنمت لمآثره حداة القطار ، ظل الله على بريشته
الظليل ، أبو الفتوحات مولانا اسماعيل . لازالت رياح العز تنشر خوافيق
ألوته وراياته ، والنصر يتلو في مآزق الحروب محكم آياته . وليت شعري بم
أحى ذلك المقام النبوى ، والجناب العلوى ، وأى عبارة أرتضيها للافصاح عن
قدره ، أو تقوم بمواهب حقه وبره ، وغاية جهدى يستغرقه عفوفضائله ، ولو
كنت سحبان وائل ، ويخجله أسير فواضله ، حتى أكون فى الفياضة كباقل .
ان قلت تحية كسرى فى السنا وتبع (3) ، جف القلم استحياء من سلوك هذا

سليمان الحوات ، البدور الضاوية . ورقة 1/114 وأحمد بن الحاج ، الدر المنتقى
المتضمن ج 6 ، ورقة 34/ب . وكان السلطان اسماعيل بن الشريف قد كتب الى
الدلائيين المبعدين فى تلمسان عام 1085/1674 يأذن لهم بالرجوع الى المغرب ، ولتحققوا
مسيرين بغاس ماعدا أحمد هذا فإنه ظل بتلمسان ، إذ كان يدبر أمر الثورة مع أنراك
الجزائر . ولما ألح عليه قومه فى الدخول الى المغرب حسدا للمشايعات التى تضر بهم كتب
هذه الرسالة الى السلطان معتذرا وطالبا منه كتابا بالعفو يبعث به الى والده عبد الله
فى الجزائر

- (1) يعنى الكاتب نفسه بقوله «لراقمه» . وكنف الدولة : حرزها وظلها . وكنف الثانية : بيت
الكاف وسكون النون - الحفظ والصون
(2) الدريئة : آلة كالترس يتقى بها المحاربون الطعن والضرب . ويصفى الكاتب السلطان اسماعيل
بالشجاعة والاقدام حتى كأنه ترس يدرأ عن أبطاله مهالك الحروب
(3) يشير الكاتب هنا الى أعلام ضرب بها المثل قديما . فسحبان وائل عرف بالفصاحة فى الخطابة
والاسلام حتى قيل انه أخطب العرب . وباقل بن عمرو الأبادى أشهر فى الخطابة والعلم
والفياضة أى المعجز عن الكلام . وكسرى أتو شروان أعظم ملوك فارس عرفه العرب عن
طريق أمرائهم فى الحيرة وخربوا المثل بجلاله ورقة شأنه . وتبع واحد التبايعه ، وهم
ملوك اليمن القدماء المعروفون بحضارتهم وشدة بأسهم

الجميع . وأولى ما يحيى به ذلك المقام الذى اتخذ الافلاك مهادا ، والنجوم وسادا ،
بالسجدة التى أضاء الشرع نيراسها ، وأدار على أمته كاسها ، وأغفل الله عنها
إهم وأجناسها ، وخبأها لهذه الامة المحمدية تكرمة لها فلم تستنشق أمة
بوما وردها ولا آسها . سلام على سيدنا ورحمة الله تعالى وبركاته ، ورضوانه
لأم وتحياته . من عبد له يخر على طرف بساطه لاثما ، ويقضى من حقوق
الخدمة فرضا لازما . أحمد بن عبد الله . أوجبها الى الحضرة الكريمة التى
ينلقى فيها الصادر . الوارد بالبشائر ، ويسلو فيها الغريب الخائف بحسن
ملاطفتها عن الأهل والعشائر ، الاعلام لسيدنا بعذرى عن التخلف . فليعلم
مولانا السلطان نصره الله أن موجه ما معى من عيال أبى فكرهت أن أفتات (4)
عليه فى عياله وهو غائب ، فلم أزل أستدنيه حتى بلغ الجزائر . ولما خرج
برسم الوصول الى العباد حرم القطب الغوث أبى مدين نفع الله به وجد عده
الجنة بين يديه (5) ، فتأخر حتى يسكن هرجيا ، ويخدم وهجيا . ولا يصغى
مولانا نصره الله الى أقوال الوشاة فينا ان بلغه غير هذا ولا يقبله . فان الله
سبحانه وتعالى لم يقبل فى مولانا أقوالهم ، ولا وافق شهواتهم وأغراضهم .
ولو وافق أغراض البعض فى البعض ، ما أدى نفل ولا فرض . ولا يضيق علينا
مولانا من عفو ما وسع أهل المغرب . فقد مددنا الى سيدنا أكف الضراعة ،
مستشفعين اليه بجده صاحب الشفاعة ، يمن علينا بعفو يزيل أوجاسنا ،
ويسكن نجاستنا ، أبعثه الى والدى فان أحب فذلك هو المطلوب ، والأمل المرجو .
والأركبت الى سيدي عزما يحكى الرياح فى الهبوب ، فقد طالت فى النظارة
الغربة ، ونالتنى من ذلك كل كربة . والله سبحانه المسؤول . ان يبلغنى ما
أرجوه بكم من كل مطلوب ومطلوب . فإنا عبدكم المتشرف بخدمتكم والنبات
الذى أنبت تحت رباب سحابكم (6) .

ولكن ما يقضى فسوف يكون

والله ما فارقتكم على قلى لكم

والسلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته .

- 14 أنشأت عليه : استبد بالرائى دونه
- 15 يشير الكاتب الى احدى التورات التى قام بها التلمسانيون فقصى عليها الآثار
- 16 شديد . ولم يصيب الدلائيين المقيمين فى حرم العباد بللمسان غير هذه الدلائية لأن عبد
الله الدلائى الذى كان اذ ذاك فى عاصمة الجزائر أوصى قائد الحملة التركية المتوجهة
الى تلمسان أن يجنب جنوده مساكن الدلائيين
- 17 الرباب - بفتح الراء - السحاب الأبيض

مصادر الرسالة

أورد في الشبطين التاليين أهم المصادر العربية والأجنبية التي رجعت إليها ، وهي مرتبة على أسماء المؤلفين بحسب حروف الهجاء (الترتيب المغربي) مع ذكر سنة وفاة المؤلفين الأقدمين .

١ - المصادر العربية

ابن إبراهيم (1378/1959) عباس المراكشي .

١ - الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام ، ٥ أجزاء (فاس 1356/1937) .

ابن أبي زرع (حوالي 719/1319) أبو العباس أحمد .

٢ - الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس جزآن (الرباط 1355/1936) .

ابن بطوطة (777/1376) محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي .

٣ - تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، (الطبعة الاولى بمطبعة وادي النيل في القاهرة عام 1287) .

ابن الحاج (1235/1819) أحمد بن محمد بن حمدون السلمي .

٤ - الدر المنتخب المستحسن في مآثر مولانا الحسن ، (مخطوط مكتبة الشيخ خير الدين الزركلي بالرباط) .

ابن حزم (456/1063) أبو محمد علي بن سعيد الاندلسي .

٥ - جمهرة أنساب العرب ، (تحقيق ليفي بروفنسال - مصر 1948) .

ابن خلدون (808/1406) عبد الرحمن .

٦ - كتاب العبر - القسم الأخير المتعلق بالدول الاسلامية بالمغرب ، جزآن (نشره البارون دوسلان في الجزائر 1263/1847) .

ابن زيدان (1365/1946) عبد الرحمن العلوي .

٧ - اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ، ٥ أجزاء (الرباط 1347/1929) .

٨ - المنزع اللطيف في التلميح لمفاخر مولاي اسماعيل بن الشريف ،

مخطوط الخزانة العامة بالرباط 595 ج . (الطبعة الملكية بالرباط)

٩ - العز والصولة في معالم نظم الدولة ، (الطبعة الملكية بالرباط)

1381/1961) .

ابن الزيات (627/29 - 1230) يوسف التادلي .

١٠ - التشوف الى رجال التصوف (نشره أدولف فور بالرباط سنة 1958) .

ابن مرزوق (1380/782) الخطيب محمد (الأكبر) التلمساني .

11 - **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط III ق) .

ابن علي (1945/1364) محمد الدكالي السلاوي .

12 - **الاتحاف الوجيز بأخبار العدوتين المهدى لمولانا عبد العزيز** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 42 د) .

13 - **كتاب في الرباطات** ، (مخطوط مكتبة ابن غازي بمكناس) .

14 - **كناسة علمية** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 95 ج) .

15 - **مجموع فيه أخبار الدلائيين** ، (ميكرو فيلم الخزانة العامة بالرباط 36) .

ابن عسكر (1578/986) محمد بن علي السريفي الشفشاوني .

16 - **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر** ، (المطبعة الحجرية بفاس - بدون تاريخ) .

ابن القاضي (1616/1025) أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي .

17 - **جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس** (المطبعة الحجرية بفاس) .

18 - **درة الحجال في غرة أسماء الرجال** ، جزآن ، (نشرها ي . س . علوش بالرباط سنة 1934) .

19 - **لقط الفرائد من حقائق الفوائد** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 270 ك) .

ابن سودة (معاصر) عبد السلام المري .

20 - **دليل مؤرخ المغرب الأقصى** ، (تطوان 1950/1369) .

أكنسوس (1877/1294) محمد بن أحمد المراكشي .

21 - **الجيش العرمم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 965 د) وهي النسخة التي اعتمدتها . وقد طبع على الحجر بفاس عام 1336 هـ .

أفلاق (كان حيا أواخر القرن 13 هـ / 129 م) عبد القاهر بن محمد بن أحمد بن الحسن .

22 - **الخبر عن ظهور الفقيه العياشي بهذه البلاد وذكر سبب قيامه بوظيفة الجهاد** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 91 د) .

البناني (1819 - 18/1234) أحمد بن عبد السلام .

23 - **تحلية الآذان والمسامع بنصرة الشيخ أبي زكريا العلامة الجامع** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 650 ك) .

البيستاني (1883/1301) المعلم بطرس .

24 - **دائرة المعارف للبيستاني** ، 11 مجلدا . (بيروت 1876/1293) .

25 - **الاغتياب بتراجم أعلام الرباط** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1287 د) .

26 - **مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح** ، (مطبعة الجريدة الرسمية بالرباط 1345 هـ) .

البنازي (1247/31 - 1832) أبو محمد عبد الودود بن عمر .

27 - **نزهة الاخيار المرضيين في مناقب العلماء الدلائيين البكريين** (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1264 ك) .

جنون (معاصر) أبو محمد عبد الله الطنجي .

28 - **التبوغ المغربي في الادب العربي** ، 3 أجزاء ، الطبعة الثانية (بيروت 1961) .

29 - **خل وبقل** ، (المطبعة المهدية بتطوان ، بدون تاريخ) .

الحافى (كان حيا عام 1160/1747) أحمد بن عاشر بن عبد الرحمن السلاوي .

30 - **الفهرست** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 4121 ك) .

الحجوي (1376/1956) محمد بن الحسن الثعالبي .

31 - **الرحلة** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 123 ح) .

32 - **الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي** ، 4 أجزاء ، (الرباط -

فاس 1345) .

الحجوي (معاصر) محمد المهدي

33 - **حياة الوزان الفاسي وآثاره** ، (الرباط 1354/1935) .

الحوات (بعد عام 1233/1817) أبو الربيع سليمان بن محمد العلمي الشفشاوني

34 - **البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية** ،

(مخطوط الخزانة العامة بالرباط 261 د) .

35 - **ثمرة أنسى في التعريف بنفسى** ، (مخطوط الخزانة العامة

بالرباط 1264 ك) .

دارود (معاصر) أبو عبد الله محمد التطواني .

36 - **تاريخ تطوان** ، (تطوان 1379/1959) .

الدلائي (1046/1636) محمد بن أبي بكر .

37 - **الفهرست** ، (مخطوط مكتبة الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني

بالرباط) .

دنية (1358/1939) أبو عبد الله محمد بن علي الرباطي .

38 - **النسمات الندية من نشر ترجمة أحمد دنية** ، (الرباط 1355 هـ) .

الزركلي (معاصر) الشيخ خير الدين .

39 - **الاعلام** ، قاموس تراجم . 10 أجزاء ، (الطبعة الثانية بدون ذكر تاريخ ولا مكان الطبع) .

الزياتي (1055/45 - 1646) عبد العزيز بن الحسن المهدي .

40 - الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجمال عمارة .
(مخطوط الخزانة العامة بالرباط 66 ج) .

الزياتي (1249/1833) أبو القاسم .

41 - البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف ، (مخطوط
الخزانة العامة بالرباط 1577 د) .

42 - الترجمان المغرب عن دول المشرق والمغرب ، (مخطوط الخزانة
العامة بالرباط 658 د) .

43 - الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم برا وبحرا ، (مخطوط
الخزانة العامة بالرباط 659 د) .

44 - قصة المهاجرين المعروفين اليوم بالبلدين بفاس ، (مخطوط
الخزانة العامة بالرباط 270 ك) .

الكتاني (1323/5 - 1906) جعفر بن ادريس .

45 - الرياض الربانية في الشعبة الكتانية ، (مخطوط الخزانة العامة
بالرباط 497 ك) .

الكتاني (1345/26 - 1927) محمد بن جعفر

46 - سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء
بفاس ، ثلاثة أجزاء ، (المطبعة الحجرية بفاس 1310 هـ) .

الكتاني (1382/1962) عبد الحى

47 - فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والشيخات والمسلسلات
جزآن ، (فاس 1346) .

الكتاني (1350/1931) عبد الكبير بن هاشم .

48 - روض الانفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية ، (مخطوط
الخزانة العامة بالرباط 6412 ك) .

مؤلف مجهول

49 - تاريخ الدولة السعودية الدرعية التاكمادوتية ، (نشره جورج كولان
في الرباط 1353/1934) .

مؤلف مجهول

50 - التعريف بأحمد الششتري ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط
1419 د) .

العيسى (1111/1699 - 1700) أبو عبد الله محمد .

51 - خلاصة الاثر في أعيان القرن العاشر عشر ، (مصر 1284) .

النصوري (1384/1964) أحمد بن قاسم .

52 - تاريخ زيان ، مخطوط خزانة المؤلف بوادي زم .

المزوني (معاصر) محمد بن عبد الهادي المكتاسي .
53 - ركب الحاج المغربي ، (تطوان 1953)

المقري (1632/1041) أحمد بن محمد التلمساني .

293
54 - أزهار الرياض في أخبار عياف ، 3 أجزاء ، (مصر 1939/1358)

55 - نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين

ابن الخطيب ، أربعة أجزاء ، (المطبعة الأزهرية بمصر 1302 هـ)

المشرفي (1895/1313) العربي بن علي العسكري .

56 - الحسام المشرفي لقطع لسان الشاب الجعفري الناطق بخرافات

الجعموس سميء الظن الكنموس ، (مخطوط الخزانة العامة

بالرباط 2276 ك)

ميارة (61/1072 - 1662) محمد بن أحمد .

57 - اختصار الدر الثمين والموارد المعين في شرح المرشد المعين ،

(مصر 1348)

الناصرى (1897/1315) أحمد بن خالد السلاوي .

58 - الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، 9 أجزاء (الدار البيضاء 1954)

59 - طلعة المشتري في النسب الجعفري ، جزآن ، (المطبعة الحجرية

بفاس)

الناصرى (1716/1128) أحمد بن محمد بناصر الدرعى .

60 - الرحلة الناصرية ، جزآن (المطبعة الحجرية بفاس 1320 ع)

الناصرى (كان حيا عام 1745/1158) محمد الخكى بن موسى الدرعى .

61 - الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة ، مخطوط الخزانة العامة

بالرباط 265 ك)

الصومعى (من رجال القرن العاشر) عبد الرحمن .

62 - التشوف الصغير ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1103 د)

الضعيف (كان حيا عام 1820/1236) أبو عبد الله محمد الرباطي .

63 - تاريخ الدولة السعيدة ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 758 د)

العكاري (1746/1159) علي بن محمد - الحميد - الرباطي .

64 - مناقب الشيخ سيدي علي العكاري أو البدور الضاوية في ذكر

الشيخ وتلاميذه وبناء الزاوية ، (مخطوط الخزانة العامة

بالرباط 88 د)

العلمي (1135/22 - 1723) محمد بن الطيب .

65 - الانيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب ، (المطبعة الحجرية بفاس 1315) .

29

علوش (معاصر) ي. س. وعبد الله الرجراجي

66 - فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط . جزآن ، (الرباط 1958) .

عمار (معاصر) علي سالم .

67 - أبو الحسن الشاذلي ، جزآن ، (مصر 1952) .

عنان (معاصر) محمد عبد الله .

68 - نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتصرين ، (مطبعة مصر - بدون تاريخ) .

العياشي (من رجال القرن 12هـ/18م) أبو محمد عبد الله بن عمرو .

69 - الاحيا والانتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عياش ، (مصور الخزانة العامة بالرباط 1433 د) .

العياشي (1090/79 - 1680) أبو سالم الرحالة .

70 - الرحلة العياشية أو ماء الموائد ، جزآن ، (المطبعة الحجرية بفاس 1316) .

الفاسي (1052/1642) أبو حامد محمد العربي بن الشيخ أبي المحاسن .

71 - مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن ، (المطبعة الحجرية بفاس 1324/1906) .

الفاسي (1179/65 - 1766) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر .

72 - المورد الهني بأخبار مولاي عبد السلام بن الطيب القادري الحسني . (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1234 ك) .

73 - شرح درة التيجان ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1432 ك) .

الفاسي (1134/21 - 1722) محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر .

74 - المنح البادية في الاسانيد العالية والمسلسلات الزاهية والطرق الهادية الكافية ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1249 ك) .

الفاسي (1109/97 - 1698) محمد المهدي .

75 - تجفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية الزروقية . (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 76 ج) .

76 - ممتع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الاتباع . (المطبعة الحجرية بفاس 1313 هـ) .

الفاسي (1685/1696) عبد الرحمن بن عبد القادر .

77 - ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المعاسن وشيخه المجلوب
(مخطوط الخزانة العامة بالرباط 326 ك) .

295 78 - الاقنوم في مبادئ العلوم ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 15 ك)
79 - تحفة الاكابر بمناقب الشيخ عبد القادر - الفاسي - (مخطوط
الخزانة العامة بالرباط 2330 ك) .

80 - شرح العمل الفاسي ، مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 821 .
الفضيلي (1316/98 - 1899) ادريس بن أحمد العلوي .

81 - الدرر البهية والجواهر النبوية ، جزآن ، (المطبعة الحجرية بفاس)
الفشتالي (1623/1032) عبد العزيز .

82 - مناهل الصفا في تاريخ دولة الشرفا ، ميكرو فيلم الخزانة العامة
بالرباط رقم 779 .

القادري (1773/1187) محمد بن الطيب .

83 - نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني ، جزآن ، (المطبعة
الحجرية بفاس 1892/1310) .

84 - نشر المثاني الكبير ، جزآن ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط
2253 ك) .

القادري (1792 - 91/1206) عبد السلام بن عبد الله الخياط .

85 - التحفة القادرية ، في مناقب عبد الله الشريف الوزاني ورجال
الشاذلية عموما . جزآن ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط
2321 ك) .

86 - تقايد تاريخية ، (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط 248) .

السوسى (1963/1383) محمد المختار .

87 - المعسول ، 20 جزءا ، (الدار البيضاء 1960/1380) .

88 - خلال جزولة ، جزآن ، (المطبعة الجديدة بتطوان بدون تاريخ) .

الشتنواني (معاصر) أحمد ومن معه .

89 - دائرة المعارف الاسلامية ، (مصر 1933/1352) .

الولاي (1715/1128) أحمد بن يعقوب .

90 - مباحث الانوار في أخبار الاخيار ، (مخطوط الخزانة العامة
بالرباط 2305 ك) .

اليازغى (1823 - 22/1238) محمد بن أبي بكر .

91 - حدائق الازهار الندية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية
البكرية ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 261 د) .

يحيى (1132/19 - 1720) محمد بن أحمد بن الحسن .

92 - واسطة العقدين في ترتيب الكناشيتين ، جزآن ضخمان جدا كانا
مجزأين من قبل في 10 أجزاء ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط
330 ك) .

296

اليفرنى (1140/27 - 1728) محمد الصغير المراكشى .

93 - روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف ، (المطبعة
الملكية بالرباط 1382/1962) .

94 - نزهة الحادى بأخبار ملوك القرن الحادى ، جزآن ، (طبعة
أنجى 1888) .

95 - صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادى عشر ، (المطبعة
الحجرية بفاس) .

البوسى (1102/1690) أبو على الحسن بن مسعود .

96 - المحاضرات ، (المطبعة الحجرية بفاس 1317 هـ) .

97 - الفهرست ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1234 ك) .

98 - تأليف فى العكاكزة ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1224 ك) .

99 - مجلة البيئة ، الرباط ، السنة الاولى ، 1963 .

100 - مجلة تطوان ، تطوان ، السنوات 58 - 59 - 1963 .

- 297
- Archives berbères et bulletin de l'Institut des Hautes Études Marocaines.
Hesperis, (Paris, 1925 et suiv.).
 - CH. ANDRÉ JULIEN,
Histoire de l'Afrique du Nord de la conquête arabe à 1830, (Paris, 1952).
 - E. LEVI-PROVENÇAL,
Les historiens des Chérifs (Paris 1922).
 - GEORGES DRAGUE,
Esquisse d'histoire religieuse du Maroc, (Paris 1951).
 - HENRI TERRASSE,
Histoire du Maroc, T. II. (Casablanca, 1951).
 - JACQUES BERQUE,
Al Youssi, problèmes de la culture marocaine au XVII^e siècle, (Paris 1958).
 - JEAN-LEON L'AFRICAIN,
Description de l'Afrique, Nouvelle édition traduite de l'Italien, par
A. Epaulard, 2 volumes, (Paris 1956).
 - Le comte HENRY DE CASTRIES,
Les sources inédites de l'histoire du Maroc - de 1530 à 1845, (Paris 1905
et suite) Angleterre, France et Pays-Bas.
 - M. HENRY LAVOIX,
Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale, (Paris
Imprimerie Nationale, MDCCC CI).
 - Mission Scientifique du Maroc,
Archives marocaines, (Paris, 1904 et suiv.) T. XXVIII.
 - Mission Scientifique du Maroc
Villes et tribus du Maroc, (Paris 1918 et suiv.), Rabat et sa région T. I.
 - M. TH. HOUTSMA et co-auteurs,
Encyclopédie de l'Islam, (Paris, 1913 - 1942).
 - ROGER COINDREAU,
Les corsaires de Salé (Paris 1948).

فهرس اللوحات المصورة

رقم اللوحة	رقم الصحيفة
1	11
2	27
3	28
4	31
5	32
6	35
7	36
8	39
9	40
10	69
11	156
12	171
13	186
14	189
15	199
16	201
17	205
18	206
19	213
20	227
21	259
22	263
23	264

جدول الخطأ والصواب

300

في الكتاب بضعة أخطاء مطبعية لا تخفى على القارئ منها :

صفحة	سطر	بدلاً من	اقرأ
50	16	صحة	صحة
	26	المعجز	المعجز
52	11	الأخذ منه	الأخذ عنه
	13	المعرفة	المعروفة
37	20	الطريقة	الطريقة
	21	الصلحة	الصلحة
	22 - 29	بتامكورت	بتامكورت
73	8	وبقيت	وبقيت
88	12	مخاسين	مخاسين
89	6	اعتدله	اعتدلت
100	26	47	147
114	27	0120	1020
123	8	العقلى	العقلى
127	12	بتاليه	بتاليه
144	21	يتقلب	يتقلب
145	10	القها	القها
	21	الكتانى	الكتانى
146	28	وتغاذهم	وتغاذلهم
151	16	جمع	جمع
153	8	1638 -	1638 -
160	7	نجد	نجد
168	25	(4)	(5)
176	31	الطب	الطلب
188	17	السل	الذى
208	23	15	17
211	28	وتره	ثورة
212	30	رقم	رقم 19
222	9	الثانية	الثالثة
238	16	كفائن	كفائه
272	3	فاماذا	فماذا
274	15	يحيى	محيى
281	1	المنجوز	المنجور
282	22	عنوان	عنوان
283	21	واخلاله	واخلاله
	24	نفته	نفته
286	7	الياء	اليها
		كشحه	كشحه



1991



1990



1990



1991



1991